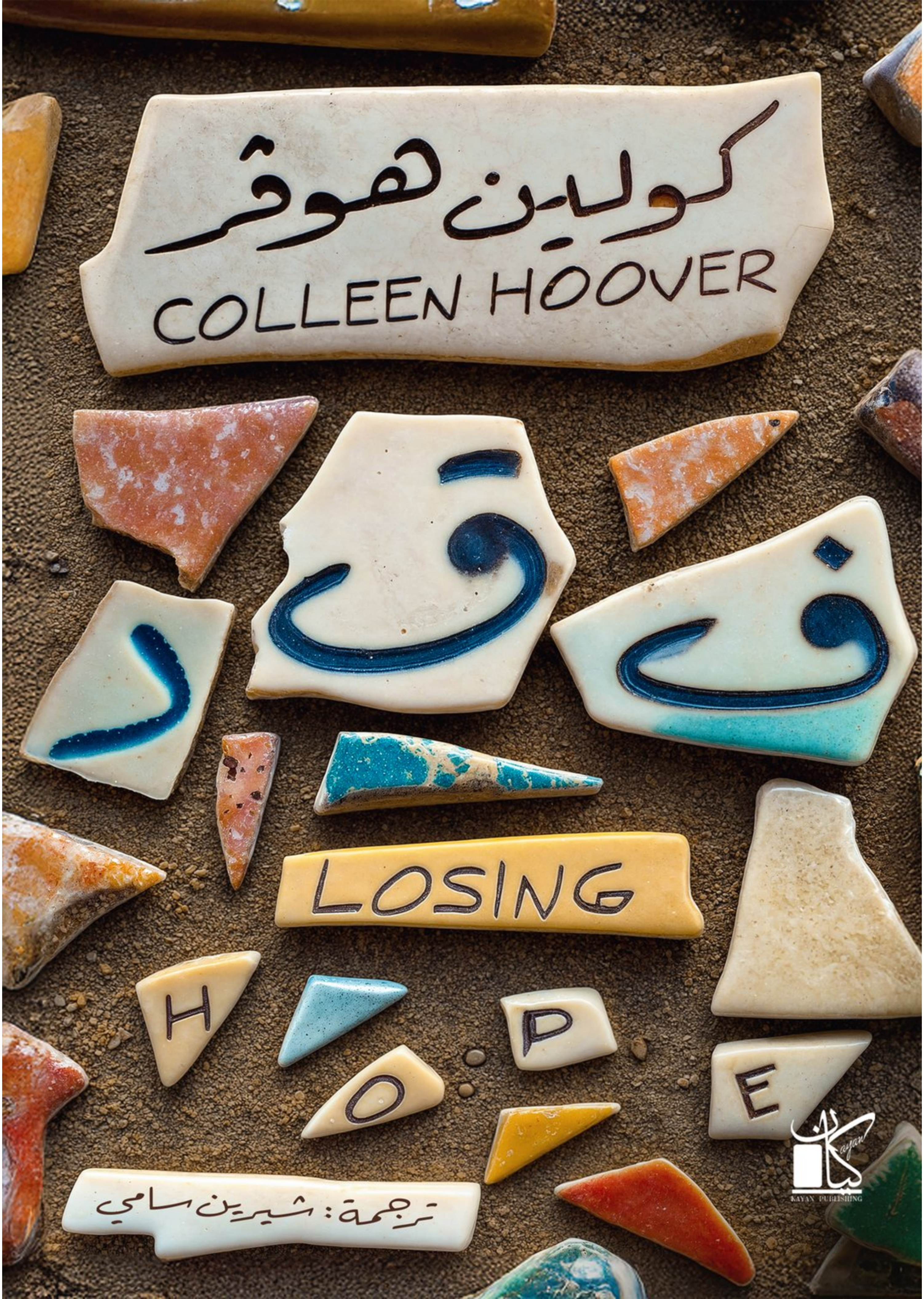
كولين هوفر
COLLEEN HOOVER
فقد
LOSING
HOPE
ترجمة: شيرين سامي
KAYAN PUBLISHING

فقد

هوفر، كولين
فقد : رواية/ كولين هوفر
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.
440 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-164-2
–ا القصص الامريكية .
أ– سامي، شيرين (مترجم)
ب– العنوان : 823
رقم الإيداع : 13374 / 2024
الطبعة الأولى : يناير 2025.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

-
كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2014 by Colleen Hoover

.Published in agreement with Simon & Schuster, Inc

.Arabic Language Translation copyright © 2025 published by Kayan Publishing

.All rights reserved

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني– الهرم– محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

- إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رواية

فقد

كولين هوفر

ترجمة

شيرين سامي

هذا الكتاب مُهدى إلى زوجي وأبنائي

لدعمهم المخلص غير المحدود

الفصل الأول

ترسل لي دقات قلبي إشارة لأرحل، وقد ذكَّرتني ليز أكثر من مرَّة بأنه ليس من شأني. إنها لم تجرب أن تكون أخًّا من قبل على أي حال، ولا تعرف كم هو صعب أن أسترخي دون أن أجعله من شأني. الآن، ولذلك، فإنه أهم أولوياتي.

أضع يديَّ في جيوبي الخلفية، أتمنى أن أبقيهما هناك. أقف خلف الأريكة وأشاهده. لا أعرف كم من الوقت استغرقه ليدرك أنني كنت هناك. بالنظر إلى قبضته على الفتاة في حضنه، أشك في أنه سيلاحظني لفترة طويلة. أقف وراءهم بضع دقائق، بينما تستمر الحفلة من حولنا، غير مدركين أنني على بعد ثوانٍ فقط من فقدان عقلي. من الممكن أن أخرج هاتفي لألتقط دليلا، لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا بليز. إنها لا تحتاج إلى دليل بصري.

أقول وأنا غير قادر على احتواء هدوئي لثانية أكثر: «مرحبًا». وإذا كان عليَّ أن أراه في أحضان هذه الفتاة مجددًا، دون أي احترام لعلاقته بليز، فسوف أقطع يده.

يرمي جرايسون رأسه إلى الخلف مبتعدًا عن الفتاة، وينظر إليَّ بعينين ساطعتين، وأستطيع أن أرى الخوف مستقرًّا حين يظهر، لأنه يدرك أخيرًا أن آخر شخص كان يتوقعه قد ظهر بالفعل أمامه.

يقول وهو يعدل وضعه: «هولدر»، يكافح حتى يقف مستقيمًا بصعوبة، وينظر إليّ متوسلًا، مشيرا إلى الفتاة، التي تعدَّل الآن تنورتها: «الأمر ليس كما يبدو».

أسحب يدي من الجيوب الخلفية، وأضع ذراعي فوق صدري. قبضتي أقرب الآن، ويجب أن أضغط عليها لأنني أعرف كم سيكون شعورًا جيدًّا أن أصفع وجهه.

أنظر إلى الأرض وأستنشق نفسًا، ثم الثاني، ثم واحدًا آخر للاستعراض؛ إذ إنني مستمتع حقا بمشاهدته، وهو في حالة ارتباك، وأهز رأسي وأرفع عيني إلى عينيه مجددًا، أقول: «أعطني هاتفك».

يمكن أن تصبح الحيرة على وجهه مضحكة، إن لم أكن غاضبًا للغاية. يضحك ويحاول أن يرجع خطوة إلى الخلف، لكنه يصطدم بطاولة القهوة، ويتماسك بأن يضغط بيده على الزجاج

ويستقيم ثانية.

ـ أخرج هاتفك.

يتمتم، ولا يعاود النظر إليَّ لأنه يناور في طريقه حول مائدة القهوة، وأسير بهدوء حول الأريكة، وأسد طريقه بيدي الممدودة.

ـ أعطني هاتفك يا جرايسون الآن.

أنا لست متفوقًا عليه، لأننا بالطول نفسه. ومع ذلك، إذا أخذت في الحسبان غضبي، فأنا بالتأكيد أفضل منه، ويمكن لجرايسون رؤية ذلك بوضوح. يأخذ خطوة إلى الوراء، ربما لم تكن خطوة حكيمة، نظرًا إلى تراجعه مباشرة إلى زاوية غرفة المعيشة. يتحسس جيبه، ثم أخيرا يخرج هاتفه.

يقول: «فيمَ تريد هاتفي؟».

ألتقطه من يديه، وأطلب رقم ليز دون أن أتصل بها، ثم أعيده إليه.

ـ اتصل بها، وأخبرها أنك أحمق، وأنهِ الأمر معها.

ينظر جرايسون إلى هاتفه، ثم إليَّ. يبصق ويسبني، آخذ نفسًا هادئًا، ثم أدير رقبتي، وعندما لم يهدئ ذلك رغبتي في أن أجعله ينزف، أتقدم إلى الأمام وأمسك بياقة قميصه وأدفعه إلى الحائط، وأثبِّتُ رقبته بساعدي. ذكَّرت نفسي بأنني إذا ركلته قبل أن يتصل، فإن هدوئي في الدقائق العشر الأخيرة لن يعني شيئًا.

أجز على أسناني، فكِّي محكم، ونبضي يخفق في رأسي. لم أكره أحدًا في حياتي بهذا الشكل قبل هذه اللحظة. إن رغبتي القوية في إيذائه تخيفني.

أنظر إليه بجدية في عينيه، وأخبره بما سيحدث في الدقائق القليلة المقبلة. وأقول وأنا أجزُّ على أسناني: «جرايسون، إذا كنت لا تريد مني أن أفعل ما أريد فعله حقًّا في الوقت الحالي، فضع الهاتف على أذنك، واتصل بأختي، واقطع كل شيء، ثم تغلق المكالمة، ولن تتحدث معها أبدًا مرة أخرى». وأحكم لف ذراعي حول رقبته، وألاحظ أن وجهه أصبح الآن أكثر احمرارا من قميصه، بسبب نقص الأكسجين.

يتذمر، ويقول: «حسنًا». مُحاولًا أن يخلص نفسه من قبضتي عليه. أنتظر حتى ينظر إلى الهاتف، وينقر زر الإرسال قبل أن أحرر ذراعه، وأترك قميصه. يضع الهاتف على أذنه دون أن

يتوقف عن النظر إليَّ، بينما لا يزال كلانا يقف في انتظار أن ترد ليز.

أعرف ما سيفعله هذا بها، لكنها لا تدري بما يفعله من وراء ظهرها. بصرف النظر عن كم مرة سمعت عنه من أناس آخرين، فإنه يستطيع أن يراوغ ليعود مجددًا لحياتها في كل مرة.

ليس في هذه المرة، وليس إذا كانت لدي أي سيطرة على الأمر. لن أجلس بالخلف وأدعه يفعل هذا بأختي بعد الآن.

ـ أهلًا.

يتحدث في الهاتف، ويحاول أن يستدير بعيدًا عني ليحدثها، لكنني أدفع بكتفه ثانية للجدار.

يقول بتوتر: «لا يا حبيبتي، أنا في منزل جاكسون».

يسكت طويلًا، بينما يستمع إلى حديثها.

ـ أعرف أن هذا ما قلته، لكنني كذبت. لهذا أتصل. أعتقد أننا في حاجة إلى بعض المساحة.

أهز رأسي، لأجعله يعرف أنه في حاجة إلى أن يجعل من الأمر انفصالًا مطلقًا، أنا لا أبحث عن أن يمنحها مساحة. بل أبحث عن أن يمنح أختي حرية دائمة.

يلف عينيه، ويقول بوضوح: «أنا أنفصل عنكِ». ويسمح لها بالحديث، بينما يبقى صامتًا، حقيقة أنه لا يظهر أي شعور بالأسف على الإطلاق، تثبت كم هو نذل بلا قلب. يداي ترتجفان وصدري يضيق، لعلمي بالضبط ماذا يفعل هذا بليز الآن، وأكره نفسي لأنني دفعت هذا ليحدث، لكنها تستحق الأفضل، حتى وإن لم تظن ذلك.

يقول في الهاتف: «سوف أرحل الآن».

أدفع رأسه للخلف عند الجدار، وأجبره على النظر إليَّ. وأقول بهدوء، غير راغب في أن أجعلها تسمعني في الخلفية: «اعتذر لها». يغمض عينيه ويتنهد، ثم يخفض رأسه.

ـ أنا آسف يا ليز. لم أرغب في فعل هذا.

ثم يسحب الهاتف من فوق أذنه، وينهي الاتصال فجأة، يحدق في الشاشة لمدة ثوانٍ. ويقول: «أتمنى أن تكون سعيدًا». ويتابع وهو يعاود النظر إليَّ: «لأنك كسرت قلب أختك للتو».

هذا كان آخر ما قاله لي جرايسون. تضرب قبضتي فكه مرتين قبل أن يرتطم بالأرض، وأرفع يدي عنه وأذهب إلى المخرج، حتى قبل أن أصل إلى سيارتي، يهتز هاتفي الخلوي في جيبي الخلفي. أخرجه ولا أنظر إلى الشاشة قبل الرد.

أقول، محاولًا التحكم في الغضب المرتجف في صوتي، عندما أسمع بكاءها على الناحية الأخرى: «أهلًا، أنا في طريقي. كل شيء سيكون بخير».

مر يوم كامل منذ اتصل بها جرايسون، لكنني ما أزال أشعر بالذنب، لذا أركض ميلين إضافيين في ركض المساء لأعاقب نفسي، لم أكن أتوقع رؤيتها وهي تتمزق كما كانت ليلة أمس. أدرك الآن أن إجباره على الاتصال بها بالطريقة التي فعلت، ربما لم تكن أفضل طريقة، لكنني لم أستطع أن أجلس فقط، وأسمح له أن يخدعها كما كان يفعل.

أكثر شيء غير متوقع في رد فعل ليز هو أن غضبها لم يكن موجهًا فقط إلى جرايسون. كان الأمر كما لو أنها غاضبة من مجتمع الذكور بأكمله. وتسير في غرفتها، وهي تطلق على الرجال «الأوغاد المرضى». بينما كنت أجلس، وأراقبها وهي تتنفس، وفي النهاية انهارت وزحفت إلى الفراش ونامت باكيةً. واستلقيت مستيقظًا، وأنا أعلم أنني محاصر في ألمها. بقيت في غرفتها طوال الليل، للتأكد من أنها بخير، لم أرغب في أن تلتقط الهاتف وتتصل بجرايسون في لحظة من الإحباط.

إنها أقوى مما ظننت بها، ولم تحاول الاتصال به ليلة أمس، ولم تحاول الاتصال به اليوم، ولم تأخذ كفايتها من النوم ليلة أمس، لذا ذهبت إلى غرفتها لتغفو قبل الغذاء.

ومع ذلك، كنت أقف على باب غرفة نومها خلال اليوم فقط، لأتأكد أنني لا أسمعها تتحدث في الهاتف، لذا أعرف أنها لم تُجرِ أي محاولات للاتصال به، على الأقل، بينما كنت في البيت. في الحقيقة، أنا متأكد تمامًا من أن اتصاله القاسي بها ليلة أمس، كان ما تحتاجه لتراه على حقيقته.

أركل بحذائي الباب، وأدخل المطبخ لأعيد ملء مياهي. إنها ليلة السبت ومن الطبيعي أن أخرج مع دانيال، لكنني راسلته لأعلمه أنني سأبقى الليلة. طلبت ليز وعدًا بأن أبقى معها، لأنها لم ترد أن تخرج وتخاطر بمصادفة جرايسون بعد.

إنها محظوظة لأنها رائعة، لأنني لا أعرف الكثير من الفتيان في السابعة عشرة، ويمكن لأحدهم التضحية بليلة السبت لمشاهدة فيلم نسائيّ مع أخته ذات القلب المكسور. لكن مرة أخرى، أغلب الإخوة لا يملكون ما نملكه أنا وليز. لا أعرف إذا كانت علاقتنا القوية متعلقة بحقيقة أننا توأمان. إنها أختي الوحيدة، لذا لا شيء يمكن مقارنته بنا، ويمكن أن تجادل بأنني أبالغ في حمايتها، ويمكن أن تكون هناك بعض الحقيقة في هذا، لكنني لا أخطط لتغيير هذا قريبًا، أو أبدًا.

أصعد السلم، وأخلع قميصي، وأفتح باب الحمام، أعبر الممر، وأقرع باب غرفة نومها.

ـ سأستحم بسرعة، هل ترغبين في طلب بيتزا؟

أضع يدي على بابها، وأنحني إلى الأمام لأخلع جواربي. أستدير وألقيها في الحمام قبل أن أطرق بابها مرة أخرى.

ـ ليز.

عندما لا ترد، أتنهد وأنظر إلى السقف، إذا كانت معه على الهاتف، فسوف أغضب. لكن، إذا كانت معه على الهاتف، من المحتمل أن هذا يعني أنه يخبرها أن الانفصال كان كله خطأي، وستكون هي الغاضبة حينئذ. أفتح باب غرفة نومها، مستعدًّا لسماع خطبة حماسية أخرى عن كيف أنني في حاجة إلى أن أهتم بشؤوني الخاصة.

أرى ليز على سريرها بعد أن أدخل الغرفة، وفجأة أعود إلى حيث كنت ولدًا صغيرًا، وأعود للحظة التي غيرتَّني. كل شيء عنِّي، كل شيء عن العالم من حولي، عالمي بأكمله تحول من مكان مليء بالألوان النابضة بالحياة، إلى مكان رمادي، معتم، بلا حياة. السماء، العشب، الشجر.. كل شيء كان في يوم من الأيام جميلًا، يتجرد من روعته في اللحظة التي أدرك فيها أنني مسؤول عن اختفاء هوب أفضل صديقة لنا.

لم أعد أنظر إلى الناس والطبيعة ومستقبلي بالطريقة ذاتها، كان لكل شيء معنى وغرض وسبب، أصبح بكل بسهولة نسخة من الدرجة الثانية، لما يفترض أن تكون عليه الحياة. عالمي أصبح فجأة نسخة غير واضحة، رمادية، وبلا لون.

تمامًا كعين ليز. اللون في عينيها قد اختفى.

فهذه الفتاة نسخة رمادية، بلا لون من أختي.

ليز

أتجمد في مكاني، منتظرًا أن ترمش، أن تضحك، أن تستمتع بالآثار الملتوية لمزاحها الممل الذي تمارسه الآن. أنتظر قلبي ليدق ليبدأ في العمل مرة أخرى، وأنتظر أن يعود ليَ التحكم في جسدي لأنني لا أعرف من يتحكم به الآن. أنا متأكد أنني لا أعرف، وأنتظر وأتساءل إلى متى ستستمر، وإلى متى يستطيع الناس أن يبقوا أعينهم مفتوحة بهذا الشكل؟ إلى متى يستطيع الناس ألا يتنفسوا قبل أن تنتفض أجسادهم من أجل الاحتياج البائس لاستنشاق الهواء؟

إلى متى لا أفعل شيئًا لأساعدها؟

أمد يدي لألمس وجهها، وأمسك ذراعها، وأهز جسدها كله، حتى تصبح بين ذراعي وأجذبها لحضني. زجاجة الأقراص الفارغة تسقط من يدها على الأرض، لكنني أرفض أن أنظر إليها. عيناها لا تزال بلا حياة، ولم تعد تنظر إليَّ، لأن الرأس الذي بين يدي يسقط للخلف في كل مرة أحاول أن أرفعه.

لا تنتبه عندما أصرخ باسمها، ولا تجفل عندما أصفعها، ولا تتفاعل عندما أبدأ في البكاء.

إنها لا تفعل أي شيء.

لا تخبرني حتى أن كل شيء سوف يكون على ما يرام، عندما أشعر بالفراغ في صدري في اللحظة التي أدرك فيها أن أفضل جزء مني قد مات.

الفصل الثاني

تسأل أمي: «هلا بحثت عن قميصها الوردي والبنطال ذي الطيَّات؟». تُبقي عينيها المتمرستين على الورق الراقد أمامها، فيما يعبر الرجل من المقبرة ويشير إلى مكان في الاستمارة.

يقول: «فقط القليل من الصفحات يا بيث». وقَّعت أمي آليًّا ودون أن تسأل. تحاول أن تتماسك حتى يرحلوا، لكنني أعرف أنهم بمجرد أن يخرجوا من الباب الأمامي ستنهار ثانية. لقد مر فقط ثماني وأربعون ساعة، لكنني أستطيع أن أقول بمجرد النظر إليها إنها ستعيد ما عايشته كله مرة أخرى.

تظن أن الشخص قد يموت مرة واحدة، وتظن أنك ستجد جسد أختك بلا حياة مرة واحدة، وتظن أنك سترى رد فعل أمك، بعد أن عرفت أن ابنتها الوحيدة ماتت لمرة واحدة.

مرة واحدة هو شيء بعيد جدًّا عن الدقة.

إنه يتكرر باستمرار.

كل مرة أغمض فيها عيني أرى عينَي ليز، وكل مرة تنظر فيها أمي إليَّ، تراني وأنا أخبرها أن ابنتها ماتت للمرة الثانية. للمرة الثالثة، للمرة الألف، كل مرة ألتقط فيها نفسًا أو أرمش أو أتحدث، أعايش موتها كله من جديد. أنا لا أجلس هنا، وأتساءل إنْ كانت حقيقة موتها ستغوص أبدًا، أنا أجلس هنا وأتساءل متى سأتوقف عن تكرار مشاهدتها وهي تموت.

ـ هولدر، يريدون ملابس لها.

تكرر أمي ثانية بعد أن تلاحظ أنني لم أتحرك، وتتابع: «اذهب إلى غرفتها، وأحضر القميص الوردي ذا الأكمام الطويلة. إنه المفضل لديها، كانت تريد أن ترتديه».

تعرف أنني لا أرغب في أن أذهب إلى غرفة نوم ليز، أكثر مما لا ترغب هي، وأدفع مقعدي بعيدا عن المائدة، وأتجه إلى الدرج. أتمتم لنفسي: «ليز ميتة. إنها لا تهتم بما سترتديه».

أتوقف خارج بابها، وأعلم أنني سأشاهدها تموت مجددًا في اللحظة التي سأفتح فيها الباب. لم آتِ إلى هنا منذ أن وجدتها، وليست لدي أي نيَّة للعودة إلى هنا أبدًا.

أدخل وأغلق الباب خلفي، ثم أتجه إلى خزانتها، وأبذل ما في وسعي كيلا أفكّر في الأمر.

قميص وردي.

لا تفكر بها.

أكمام طويلة.

لا تفكر في كم تريد أن تفعل أي شيء لتعود إلى ليلة السبت.

بنطال أسود ذو طيَّات،

ولا تفكر في كم تكره نفسك الآن لأنك خذلتها.

لكنني أفعل، وأفكر في هذا، وأنجرح وأغضب تمامًا من جديد، أمسك حفنة من القمصان المعلقة في الخزانة، وأنزعها بقدر ما أستطيع من قوة عن شمعاتها، حتى تسقط على أرضية الخزانة.

أمسك بالإطار فوق الباب، وأغمض عيني بقوة، مستمعًا إلى صوت الشماعات التي أصبحت فارغة الآن، وهي تتأرجح للأمام والخلف، وأحاول التركيز على حقيقة أنني هنا لألتقط شيئًا وأرحل، لكنني أتجمد، وأعجز عن التوقف عن استعادة اللحظة التي دخلت فيها إلى الغرفة ووجدتها.

أسقط على ركبتي على الأرض، أنظر إلى سريرها، وأشاهدها تموت مرة أخرى.

أجلس مُستندًا إلى باب الخزانة، وأغمض عيني، باقيًا على هذا الوضع، مهما طال بي الوقت، حتى أدرك أنني لا أريد أن أبقى هنا، وأستدير وأبحث بين قمصانها الموجودة على أرض الخزانة، حتى أجد الوردي ذا الأكمام الطويلة. وأنظر إلى السراويل المعلقة على الشماعات وألتقط الأسود ذا الطيَّات. أقذف بهما جانبًا، وأبدأ في النهوض من على الأرض، لكن فجأة أجلس ثانية، عندما أجد دفترًا مغلفًا بالجلد السميك في الدرج الأسفل لخزانتها.

ألتقطه وأشده إليَّ، ثم أستند إلى الجدار، وأحدق في الغلاف. لقد رأيت هذا الدفتر من قبل، وكان هدية لها من أبي منذ ثلاث سنوات، لكن ليز أخبرتني بأنها لن تستخدمه، لأنها تعرف أن الدفتر مجرد طلب من معالجتها النفسي، وقد كَرِهتْ العلاج، ولا أدري لماذا شجعتها أمي على الذهاب إلى المعالجة. كنا نتلقى العلاج لفترة قصيرة، عندما انفصل والداي، لكني توقفت عن الحضور، عندما تعارضت مواعيد الجلسات مع جدول تدريبات

فريق كرة القدم الذي انضممت إليه. ولم تبدِ أمي أي مانع في عدم حضوري، ولكن ليز استمرت في الجلسات الأسبوعية حتى قبل اليومين الماضيين، عندما أصبح واضحًا من سلوكها أن العلاج لا يساعد تمامًا.

أقلِّب الدفتر وأفتحه على أول صفحة، ولا يفاجئني أنه فارغ. أتساءل إن كانت استخدمت الدفتر، كما اقترحت عليها المعالجة، هل كان سيصنع هذا فارقًا؟

أشك في ذلك، لم أكن متأكدًا مما يمكن أن يساعد ليز حينها، فكنت محتارًا. بالطبع، لم يكن الحل في القلم والورقة.

أجذب القلم من الملزمة الحلزونية التي تمسكه، وأضغط بطرف القلم على الصفحة، ثم أبدأ في كتابة رسالة إليها. ولا أعرف لماذا أكتب إليها. لا أعرف إن كانت في مكان تستطيع أن تراني منه الآن، أو إن كانت في مكان على الإطلاق، لكن حال أنها تستطيع أن ترى هذا... أريدها أن تعرف كم أثرَّ فيَّ قرارها الأناني، وكيف تركتني ميؤوسًا منه. حرفيًّا أنا شخص ميؤوس منه، ووحيد تمامًا، وآسف إلى حد غير محتمل.

الفصل الثاني ونصف

ليز،

تركتِ بنطالكِ الجينز في منتصف أرضية غرفة نومكِ. يبدو أنكِ خلعتِه للتو. إنه أمر غريب، لماذا تتركين بنطالكِ على الأرض إذا كنتِ تعرفين ما أنتِ على وشك فعله؟ لماذا لم تُلقه على الأقل في السلة؟ ألم تفكري فيما يمكن أن يحدث عندما أجدكِ، وكيف يمكن لشخص في النهاية أن يلتقط بنطالكِ الجينز ويفعل به شيئًا؟ حسنًا، أنا لن ألتقطه، ولن أعلّق كل قمصانكِ ثانية.

على أي حال، أنا في خزانتكِ على الأرض، ولا أعرف ما أريد أن أقوله لكِ الآن، أو ما أريد أن أسألكِ عنه. بالطبع السؤال الوحيد في ذهن الجميع الآن هو: لماذا فعلتِ هذا؟ لكنني لن أسألكِ لماذا فعلتِ هذا لسببين:

الأول، أنك عاجزة عن إجابتي لأنكِ ميتة.

والسبب الآخر، لا أدري إنْ كنت حقًّا مهتمًّا لماذا فعلتِ هذا. لا يوجد شيء في حياتكِ يمنحكِ سببًا جيدًا كافيًا لتفعلي ما فعلتِه. ومن المحتمل أنكِ تعرفين أنكِ إذا كنتِ تستطيعين رؤية والدتكِ الآن، فهي مدمرة كلية.

أتدرين، أنا لم أعرف أبدًا ماذا يعني أن تكون مدمرًا حقًّا. ظننت أننا كنا مدمرين بعد أن فقدنا هوب. ما حدث لها كان مأساويًّا لنا بالتأكيد، لكن الطريقة التي شعرنا بها لا تعد شيئًا مقارنةً بما جعلتِ والدتكِ تشعر به.

إنها محطمة للغاية، إنها تمنح الكلمة معنى جديدًا كليًّا، وأتمنى لو حُظرت هذه الكلمة لمواقف مثل هذه، ومن السخف السماح للناس باستخدام هذه الكلمة لشرح أي شيء آخر غير كيف تشعر أم عندما تفقد طفلها، لأن هذا هو الموقف الوحيد في هذا العالم أجمع الذي يستحق هذا المصطلح.

أفتقدكِ بشدة، وأنا آسف لأنني خذلتكِ، وأشعر بالأسف لأنني عجزت عن رؤية ما كان يحدث حقًّا خلف عينيكِ في كل مرة تخبرينني فيها أنكِ بخير. لماذا يا ليز؟ لماذا فعلتِ هذا؟

هـ.

الفصل الثاني وثلاثة أرباع

ليز،

حسنًا، أهنئك، أنتِ تحظين بشعبية كبيرة، ليس فقط لأن ساحة انتظار السيارات في المدفن امتلأت، لكن أيضًا ساحة انتظار مجاورة، والكنيستان اللتان في الشارع، وهذا عدد كبير من السيارات.

ومع ذلك، تماسكت من أجل والدتي، ولم يبد والدي بأفضل حال من والدتي. كانت الجنازة كلها حقًّا غريبة، وجعلتني أتساءل، إذا كنتِ متِ في حادثة سيارة أم من شيء أكثر شيوعًا، هل كانت ردود أفعال الناس ستختلف؟ إذا كنتِ لم تموتي عمدًا من أثر جرعة زائدة «وهذا المصطلح الذي تفضله أمي»، إذًا، أظن أنه ربما كان سيجعل الناس أقل غرابة. كانوا كأنهم خائفون منا، أو ربما كانوا يفكرون في أن الموت كان نتيجة جرعة زائدة عمدًا أو بسبب معين، وقد ناقشوا ذلك كأننا لم نكن حتى في الغرفة نفسها. هناك الكثير من النظرات الحزينة والهمس والابتسامات المشفقة. وأردت فقط أن أمسك بأمي وأخرجها من هذا المكان، وأحميها من حقيقة أنني أعلم أنها تسترجع ذكريات وفاتك، كلما حضنتني أو بكت أو ابتسمت.

لدي صعوبة في عدم التفكير بأن الجميع تصرفوا تصرفًا معينًا نوعًا من اللوم، ربما لأنهم شعروا بالذنب أو بسبب عجزهم عن فهم ما نمر به.

كيف تستطيع عائلة ألا تعرف أن هذا سيحدث؟

كيف لم يروا العلامات؟

أي نوع من الأمهات هي؟

أي نوع من الإخوة الذي لم يستطع أن يلاحظ كم كانت أخته التوأم مكتئبة؟

لحُسن الحظ، بمجرد أن بدأت جنازتكِ تحول تركيز الجميع لحظيًّا من علينا إلى شاشة العرض. كان هناك الكثير من صورنا، وكنتِ سعيدة فيها جميعًا. كان هناك الكثير من صوركِ مع أصدقائكِ، وكنتِ سعيدة فيها جميعًا أيضًا. صوركِ مع والدينا قبل الطلاق، صورك مع أمي وبراين بعد أن تزوجت مرة أخرى، صوركِ مع أبي وباميلا بعد أن تزوج مرة أخرى.

لكن لم يكن الأمر كذلك، حتى أتت على الشاشة الصورة الأخيرة التي صدمتني. كانت صورة لكِ ولي أمام بيتنا القديم. الصورة التي التقطت بعد ستة أشهر من ضياع هوب، كنتِ ما زلتِ ترتدين السوار المتطابق مع السوار الذي أعطيتِه لها في اليوم الذي خُطِفت فيه. ولاحظت أنكِ توقفتِ عن ارتدائه منذ عامين، لكنني لم أسأل أبدًا عنه، وأعرف أنكِ لا تحبين حقًّا الحديث عنها.

على أي حال، نعود إلى الصورة. كنت ألف ذراعي حول عنقكِ، وكلانا يضحك ويبتسم للكاميرا. إنها الابتسامة نفسها التي تومض في كل الصور، ويجعلني هذا أفكر كيف أن كل صورة رأيتها لكِ، كانت لديكِ الابتسامة نفسها بالضبط، وليس هناك أي صورة لكِ بتعبير متجهم أو عبوس أو بتعبير فارغ، كما لو أنكِ قضيتِ حياتكِ كلها في محاولة الإبقاء على هذا المظهر المزيف. لمن، لا أعرف، ربما كنتِ خائفة من أن الكاميرا قد تلتقط تعبيرًا صادقًا لكِ.

كان علينا مواجهة الواقع، والتعامل مع الصعوبات التي كنا نمر بها. أنت لم تكوني سعيدةً طوال الوقت. كانت هناك ليالٍ كثيرة بكيتِ فيها نفسك حتى النوم، ولكنكِ لم تريدي أن تزعجيني وتخبريني بمشكلاتِك. لا يمكن لأي شخص أن يكون دائمًا بابتسامة صادقة، ويبكي في الوقت ذاته، وأدرك أن لديكِ مشكلات. أعلم أن حياتنا والأحداث التي مررنا بها أثرت بطريقة مختلفة في كلينا، ولكن كيف يمكنني أن أعرف أنها كانت بهذه الخطورة إذا كنتِ لم تظهري ذلك؟ إذا كنتِ لم تخبريني؟

ربما... أكره أن أفكَّر بهذه الطريقة، لكن ربما لم أعرفكِ. واعتقدتُ أنني فعلت، لكنني لم أفعل. ولا أعتقد أنني أعرفكِ على الإطلاق. عرفت الفتاة التي بكت في الليل، عرفت الفتاة التي ابتسمت في الصور، لكنني لم أعرف الفتاة التي ربطت تلك الابتسامة بهذه الدموع.

أعتقد أنه من الصعب جدًّا على الفتى أن يعرف كل شيء عن الفتاة التي يحبها، حتى لو كانت أخته. لا يمكن لأحد أن يعرف بالضبط ما يجعل الآخرين يشعرون بالسعادة أو الحزن، فكل شخص يمر بتجاربه الخاصة، ولديه أسبابه الخاصة للابتسام أو البكاء.

أشعر بالأسف يا ليز لأنني تركتكِ تستمرين في التظاهر بأنكِ بخير، بينما كان من الواضح أنكِ بعيدة تمامًا عن أن تكوني بخير.

هـ

الفصل الثالث

يقول براين لأمي: «بيث لماذا لا تذهبين إلى النوم؟ أنتِ منهكة. اذهبي للحصول على قسط من النوم».

تهز أمي رأسها، وتستمر في التحديق، على الرغم من ترجي زوجها لها لتأخذ استراحة. لدينا طعام في الثلاجة يكفي لإطعام جيش، لكنها تصر على الطبخ للجميع فقط، حتى لا نضطر لأكل طعام التعاطف، كما تشير إليه. أنا متعب من الدجاج المقلي. تبدو كما لو أنها وجبة يعتمد عليها أي شخص يطلب الطعام من خارج البيت. كان لدي دجاج مقلي لكل وجبة منذ الصباح التالي لموت ليز، وكان هذا منذ أربعة أيام.

أذهب إلى الفرن، وآخذ من يديها الملعقة، ثم أربت على كتفها بيدي الفارغة، بينما أقلَّب. تستند إليَّ وتتنهد، ليست تنهيدة جيدة حتى، إنها تنهيدة كل ما تقوله: «لقد انتهيت».

أقول لها: «أرجوكِ اذهبي واجلسي على الأريكة. أستطيع أن أنتهي من هذا». تومئ وتسير بلا هدف تجاه غرفة المعيشة. أشاهدها من المطبخ، وهي تجلس وتسند ظهرها إلى الأريكة، ناظرةً إلى السقف. يتخذ براين مكانه جوارها ويشدها إليه. لا أحتاج حتى إلى أن أعرف أنها تبكي مجددًا، وأستطيع أن أرى ذلك من طريقة انزلاقها في حضنه، وإمساكها بقميصه.

أشيح بوجهي.

يقول أبي مستندًا إلى منضدة المطبخ: «ربما يجب أن تأتي، وتبقى معنا دين، فقط لمدة قصيرة. ربما يكون جيدًا لك أن تبتعد».

إنه الوحيد الذي لا يزال يناديني دين، عشت بهولدر منذ أن كنت في الثامنة، لكن حقيقة أن اسمي يأتي بعده، ربما هي سبب أنه لا يناديني بأي شيء آخر إلا دين. أراه فقط مرتين في العام، لذلك لا يضايقني كثيرًا، بأنه لا يزال يناديني دين، وما زلت أكره الاسم، رغم ذلك.

أنظر إليه، ثم إلى أمي، وهي تضم براين في غرفة المعيشة. «لا أستطيع يا أبي، لن أتركها في هذه الظروف».

كان يحاول أن يجعلني أنتقل إلى أوستن معه منذ انفصالنا، والحقيقة هي أنني أحب هنا، ولا أحب زيارة مدينتي القديمة منذ انتقلت منها، وعندما أكون هناك، تذكرني الكثير من الأشياء بهوب.

لكنني أظن أن الكثير من الأشياء هنا، تذكرني بليز.

يقول: «حسنًا، عرضي ليس له تاريخ صلاحية، أنت تعرف».

أومئ، وأغلق الفرن. وأقول: «إنه جاهز».

يعود براين إلى المطبخ مع بالم، ونجلس جميعًا حول المائدة، لكن أمي تبقى في غرفة المعيشة، تبكي بهدوء على الأريكة طوال العشاء.

***

ألوِّح مودعًا أبي وبالم، بينما تقف آمي أمام بيتنا. تنتظر حتى تختفي سيارة أبي، ثم تتوقف بسيارتها في شارعنا الخاص، وأتجه إلى باب السائق، وأفتحه لها.

تبتسم بنصف حماسة، وتنزع قناعها، وتمسح عينها من وراء النظارة. لقد عمَّ الظلام لأكثر من ساعة الآن، ومع ذلك ما زالت ترتدي نظارة شمس، وهذا قد يعني فقط أنها كانت تبكي.

لم أتحدث معها حقًّا في الأيام الأربعة السابقة، لكنني يجب ألا أسألها كيف تتماسك. هي وليز كانتا صديقتين مقربتين لمدة سبعة أعوام. إذا كان هناك من لديه شعوري نفسه الآن، فسيكون هي. ولست متأكدًا حتى إذا كنت تحملت كل هذا جيدًا.

أسألها بينما تخرج من السيارة: «أين توماس؟».

تزيح شعرها الأشقر بعيدًا عن وجهها بنظارة الشمس، لتضعه فوق رأسها. «إنه في بيته. كان عليه أن يساعد أباه في بعض الأمور في الفناء بعد المدرسة».

لا أعرف منذ متى وهما يتواعدان، لكنهما معًا قبل حتى أن ننتقل أنا وليز إلى هنا. وقد انتقلنا إلى هنا في العام الدراسي الرابع. أي منذ مدة.

تسأل: «كيف حال أمك؟». وبمجرد أن تقول هذا، تهز رأسها معتذرة.

ـ أنا آسفة هولدر. كان هذا سؤالًا أحمق. لقد وعدت نفسي ألا أكون أحد هؤلاء الناس.

ـ صدقيني، لستِ كذلك.

أطمئنها، وأتحرك إلى الخلف، وأقول: «هلا دخلتِ؟».

تومئ وتحدق بالبيت، ثم بي.

ـ هل تمانع أن أصعد إلى غرفتها؟ سأتفهم إذا لم تردني أن أصعد إلى هناك بعد. إن الأمر فقط، أن لديها بعض الصور التي أريدها حقًّا.

ـ لا بأس.

استنادًا إلى علاقتها بليز، فإن لآمي الحق تمامًا مثلي في دخول غرفة نوم ليز. أعرف أن ليز ترغب في أن تأخذ آمي ما تريده أيًّا كان.

تتبعني إلى البيت وأعلى الدرج. لا أرى والدتي على الأريكة. يبدو أن براين أقنعها أخيرًا أن تذهب إلى النوم. أسير إلى قمة الدرج مع آمي، لكن بلا رغبة في الدخول إلى غرفة ليز معها. أشير برأسي تجاه غرفة نومي.

ـ «سأكون في غرفتي إذا احتجتِ إليَّ».

تتنفس بعمق، وتومئ وهي تزفر. تقول وهي تنظر إلى باب غرفة ليز بحذر: «شكرًا لك». تأخذ خطوة متكاسلة تجاه غرفة النوم، فأستدير وأذهب إلى غرفتي. أغلق الباب خلفي وأجلس على السرير، ألتقط دفتر ليز، بينما أستند إلى اللوح الأمامي للسرير.

لقد كتبت لها اليوم، لكنني أمسك بالقلم، لأنه ليس لدي شيء أفضل من الكتابة لها ثانية. أو على الأقل لا شيء آخر أريد أن أفعله، لأن كل شيء يؤدي إلى التفكير فيها، على أي حال.

الفصل الثالث والنصف

ليز

آمي هنا. إنها في غرفتك.

أتساءل ماذا لو كانت لديها أي فكرة عمَّا كنتِ تنوين فعله؟ أعلم أنه في بعض الأحيان تتشارك الفتيات مع صديقاتهن أمورهن التي لا تشاركنها مع أي أحد آخر، حتى إخوتهن التوأم. هل أخبرتها ذات مرة كيف شعرتِ حقًّا؟ هل أعطيتها أي تلميح على الإطلاق؟ أنا حقًّا أتمنى ألا يكون ذلك حدث، لأن هذا سيعني أنها على الأغلب تشعر بلعنة الذنب بشدة الآن. هي لا تستحق أن تشعر بالذنب على ما فعلتِ يا ليز. لقد كانت صديقتكِ المقربة منذ سبع سنوات الآن، لذلك تمنيت لو أنك فكرتِ في هذا قبل أن تتخذي قرارك الأناني.

أشعر بالذنب على ما فعلتِ، لكنني أستحق أن أشعر بالذنب. هناك مسؤولية تأتي مع الأخ، وليس بالضرورة أن تأتي مع الصديقة المقربة. كانت وظيفتي أن أحميكِ، وليست وظيفة آمي، وهي لا تستحق أن تشعر بالذنب.

ربما هذه هي مشكلتي. ربما قضيت الكثير من الوقت أحاول أن أحميكِ من جرايسون، ولم أفكر أبدًا أن مَن احتجت أن أحميكِ منه حقًّا، هو نفسكِ.

هـ

***

هناك طرق خفيف على باب غرفة نومي، لذا أغلق الدفتر وأضعه على منضدة السرير. تدفع آمي الباب لتفتحه، وأنا أجلس على السرير. أشير إليها لتدخل فتمر من الباب وتغلقه خلفها. تتجه إلى المكان الذي تتزين فيه، وتضع عليها الصور التي جمعتها، تمر بإصبعها على إحداها، والدموع تنهمر في صمت على وجنتيها.

أقول وأنا أمد يدي إليها: «تعالي هنا». تقترب مني وتمسك بيدي، ثم تنهار تمامًا في الثانية التي تتلاقى فيها عيوننا. أستمر في جذبها إلى الأمام، حتى تصبح على السرير، وألف ذراعي حولها. تتكوم على صدري، تنتحب بغير حساب، وتنتفض بقوة شديدة كأنه بكاء مدمر، ولكن كما قلت من قبل، يجب أن نحتفظ بكلمة مدمر للأمهات.

أغمض عيني بشدة، وأحاول ألا أجعل الأمر كله يصدمني كما يصدم آمي الآن، لكنه صعب، أستطيع أن أتماسك أمام أمي، لأنها تحتاج إلى أن أكون قويًّا من أجلها. أما آمي فلا،

وإذا شعرت آمي بأي مما أشعر به، إذًا فهي بحاجة إلى أن تعرف أن هناك شخصًا آخر مصدوم، وقلبه مكسور مثلها.

أعرف أنها لا تريدني أن أواسيها بكلمات جوفاء، مستهلكة. إنها فقط تحتاج إلى شخص يتفهم شعورها، وربما أنا الوحيد الذي تعرف أنه يفهمها حقًّا. لم أقل لها إنه يجب أن تتوقف عن البكاء، لأنني أعرف أنه مستحيل. أضغط رأسها بذقني، كارهًا حقيقة أنني الآن أبكي أيضا. لقد قدمتُ عملًا جيدًا في الاحتفاظ بمشاعري داخلي، لكنني لم أعد أستطيع. أستمر في ضمها وتستمر في التمسك بي، لأنه من اللطيف أن تتمكن من أن تجد العزاء، وأنت وحيد في مثل هذا الموقف القبيح.

الاستماع إلى بكاء آمي يذكرني بكل الليالي التي اعتدت فيها أن أبقى في الوضع نفسه مع ليز. لم ترد أن أتحدث معها أو أساعدها لتتوقف عن البكاء. أرادت ليز مني فقط أن أضمها وأدعها تبكي، حتى لو لم تكن لدي فكرة لماذا أرادت هذا. مجرد استطاعتي أن أكون هنا من أجل آمي ببساطة، يمنحني إحساسًا مألوفًا أن أحدهم بحاجة إليَّ تمامًا كما اعتدت أن أشعر مع ليز. لم أشعر أن أحدًا بحاجة إليَّ منذ قررت ليز أنها لم تعد تريد أكثر من ذلك.

تقول آمي بصوت مكتوم في قميصي: «أنا آسفة جدًّا».

ـ «من أجل ماذا؟»

تحبس نَفَسها، وتحاول أن تتوقف عن البكاء، لكن جهدها يضيع بالدموع الجديدة التي تتدفق.

ـ «كان يجب أن أعرف يا هولدر. لم أكن أعرف. كنتُ صديقتها المفضلة وأشعر أن الجميع يلومونني ولا أعرف. ربما يجب أن يفعلوا ذلك. لا أعرف. ربما كنت مشغولة للغاية بعلاقتي مع توماس، حتى إنني لم أنتبه لشيء حاولت أن تخبرني به».

أستمر في تمسيد شعرها، متعاطفًا مع كل كلمة تخرج من فمها. أتنهد، وأمسح الرطوبة من عيني بظهر يدي.

ـ «أتعرفين، أستمر في محاولة تحديد اللحظات التي ربما غيرت النتيجة. الأشياء التي ربما كنت سأقولها لها أو الأشياء التي ربما كانت ستقولها لي. لكن، حتى لو أنني أستطيع أن أعود وأغير شيئًا من الماضي، لست متأكدًا من أن هذا سيغير النتيجة. وأنتِ أيضًا لا تعرفين.

ليز هي الوحيدة التي تعرف بالتأكيد لماذا خاضت هذا، وللأسف هي الوحيدة التي يمكن أن تخبرنا، ولكنها، ليست هنا».

تطلق آمي ضحكة صغيرة، على الرغم من أنني لست متأكدًا لماذا أطلقتها. تعود إلى الوراء قليلا وتنظر إليَّ بتعبير رسمي.

ـ «من الأفضل أن تكون ممتنة أنها ليست هنا، لأني غاضبة منها جدًّا يا هولدر».

جعلتني كآبتها أبكي ثانية، وهي تضع يدها على عينيها.

تهمس: «أنا غاضبة منها جدًّا جدًّا، لأنها لم تثق بي، وأشعر كما لو أنني لا أستطيع أن أخبر أحدا بهذا إلا أنت».

أزيح يدها من فوق وجهها، وأنظر في عينها، لأنني لا أريدها أن تشعر أنني أحكم عليها، بسبب هذا التعليق.

ـ «لا تشعري بالذنب يا آمي».

تومئ وتبتسم ابتسامة تعاطف، ثم تنظر إلى يدينا المسنودتين إلى الوسادة بيننا. أبسط يدي فوق يدها وأمسدها بأصابعي مطمئنًا. أعرف بما تشعر، وتعرف بما أشعر، ومن الجيد أن تجد هذا، ولو لدقيقة.

أريد أن أقول لها شكرًا لأنكِ كنتِ هنا من أجل ليز كل هذه السنوات، لكن يبدو أنه من غير اللائق أن أشكرها، وهي تشعر بالعكس تمامًا الآن. بدلًا من ذلك أبقى صامتًا وأقرب يدي لوجهها.

لا أعرف إن كان هذا بسبب حجم اللحظة أم هي حقيقة أنها جعلتني أشعر أن أحدهم بحاجة إليَّ مرة أخرى، أم لأنه ببساطة عقلي وقلبي أصابهما الخدر لأيام طويلة. أيًّا كان، إنها هنا وأنا لا أريدها أن تذهب الآن بعد. أدعها تتولى الأمر، بينما أميل إلى الأمام ببطء وأضغط فمي لفمها.

لم أقصد أن أقبِّلها. في الحقيقة أتوقع من نفسي أن أنسحب في أي لحظة، لكنني لم أفعل. أتوقع منها أن تدفعني بعيدًا، لكنها لم تفعل. في اللحظة التي لامس فيها فمي فمها، تباعد بين شفتيها وتتنهد كما لو أن هذا بالضبط ما أرادته مني. الغريب أن هذا كان كافيًا لأن يجعلني أريد أن أقبِّلها أكثر. أقبلها وأنا أعرف أنها صديقة أختي المفضلة. أقبِّلها وأنا أعرف أن لها

صديقا حميمًا. أقبِّلها وأنا أعرف أن هذا شيء لم أكن لأفعله معها أبدًا تحت أي ظرف إلا هذه اللحظة.

تمرر يدها فوق ذراعي وتزلق أصابعها داخل تجويف قميصي، بخفة تتتبع شكل عضلات ذراعي. أجذبها أقرب إلي حتى منتصف السرير وأعمِّق من قبلتنا. كلما تبادلنا القبل أدركنا حقيقة أن الرغبة والاحتياج ربما كانا فقط الشيء الوحيد الذي قد يقلل من الحزن. فجأة نتوقف عن الصبر، نفعل كل ما في وسعنا لنتخلص أنفسنا من الحزن تمامًا. كل مداعبة من يدها على جلدي تشدني أبعد خارج عقلي، وأكثر داخل اللحظة معها، لذلك أقبلها بإلحاح يائس، محتاجًا إليها لتأخذ عقلي بعيدًا تمامًا عن حياتي الآن. يدي تجد طريقها فوق قميصها والأخرى تمسك بصدرها، تتأوه وتخمش بأظافرها ذراعي وهي تقوس ظهرها.

هذه أكثر إشارة غير منطوقة رأيتها لكلمة «نعم» على الإطلاق.

هناك فقط شيئان باقيان في عقلي بينما تبدأ هي في خلع قميصي ويداي تتحسسان بلهفة سحاب بنطالها الجينز.

1- أحتاج إلى أن أخلع هذه الثياب عنها.

2- توماس.

عادة أنا لا أفكر في فتيان آخرين بينما أعبث مع الفتيات، لكن عادة أنا لا أعبث مع صديقات فتيان آخرين. آمي ليست لي لأقبِّلها، لكن ها أنا مستمر على أي حال. ثيابها ليست لي حتى أساعدها لتخلعها، لكن ها أنا أفعل هذا على أي حال. سروالها ليس بشيء يجب علي أن أدخل يدي فيه، لكن ها أنا أفعل هذا على أي حال.

أبتعد عن فمها عندما ألمسها وأراها وهي تئن وتضغط رأسها على وسادتي. أستمر في فعل ما أفعله لها بيدي بينما أستند إلى السرير وألتقط عازلًا طبيًّا من الدرج بيدي الثانية. أفتحه بأسناني وأنا أشاهدها باهتمام طوال الوقت. أعلم أن كلينا خارج النطاق السليم للعقل الآن، وإلا ما كان هذا ليحدث. بصرف النظر عما إذا كنا في النطاق السليم أو لا، على الأقل نحن في النطاق نفسه. أتمنى ذلك على أي حال.

أعرف كيف أنه من الخطأ تمامًا ولا يصدق أن أسال فتاة عن صديقها الحميم عندما تكون على بعد ثلاثين ثانية من نسيانه تمامًا، لكن عليَّ أن أفعل ذلك. لا أريدها أن تندم أكثر مما

ستندم بالفعل. مما سنندم بالفعل.

أهمس: «آمي، ماذا عن توماس؟»

تئن قليلًا وتبقي عينيها مغمضتين بينما تضع كفيها على صدري. تتمتم دون إشارة إلى أن ذكر اسمه سيجعلها تريد أن توقف ما نفعله: «إنه في بيته، كان عليه أن يساعد أباه في بعض الأمور في الفناء بعد المدرسة».

إعادتها للإجابة نفسها التي أعطتني إياها عندما سألتها عنه في الطريق تجعلني أضحك. تفتح عينيها وتنظر إلي، على الأغلب أربكها سبب ضحكي في وقت مثل هذا. تبتسم فقط رغم ذلك. أنا شاكر لأنها ابتسمت، لأنني حقًّا متعب من دموع الجميع. أنا متعب للغاية من كل الدموع.

تبًّا، إذا لم تشعر بالذنب في هذه اللحظة، فأنا متأكد أنها لن تشعر بالذنب. يمكننا أن نندم على كل هذا فيما بعد.

أقرب فمي من فمها في اللحظة نفسها التي تشهق فيها وتئن بصوت عالٍ، تمامًا وبصدق ناسية كل شيء عن صديقها الحميمي. كل قطعة أخيرة من تركيزها هي مائة بالمائة مركزة على حركة يدي، وكل قطعة أخيرة من تركيزي هي مائة بالمائة مركزة على ارتداء الواقي قبل أن تبدأ في التفكير بصديقها الحميم ثانية.

أريح نفسي فوقها، وفمي على فمها، وأريح نفسي داخلها، وأستفيد تمامًا من الموقف، وأنا أعرف كم سأندم على هذا لاحقًا. وأعرف كم أندم عليه بالفعل.

لكن ها أنا أفعلها على أي حال.

***

ارتدت ثيابها وهي تجلس على طرف سريري، تضع حذاءها. ارتديت بنطالي الجينز بالفعل، وأنا ذاهب إلى باب غرفة النوم لست متأكدًا ماذا أقول. لا أعرف كيف أو لماذا حدث أيٌّ من هذا، وبناءً على النظرة التي تعلو وجهها، هي أيضًا لا تعرف. تقف وتتجه إلى الباب، تلتقط الصور التي جلبتها من غرفة ليز، بينما تمر بمرآتي. أبقي الباب مفتوحًا، وأنا لست متأكدًا إذا كان عليَّ أن أتبعها أم أقبّلها مودعًا، أم أخبرها بأنني سأتصل بها.

تبًّا، ما الذي فعلته لتوي؟

تسير إلى الممر وتتوقف، ثم تستدير لتواجهني. لا تنظر في عيني مباشرةً، رغم ذلك. هي فقط تحدق في الصور التي في يديها. تسأل بحذر: «لقد جئتُ هنا فقط من أجل الصور، صحيح؟». تكسو تقطيبة قلقة وجهها، أدرك أنها قد تكون خائفة، وربما تخشى أن أفكر في أن ما حدث بيننا كان أكثر مما كان عليه الحال في الواقع.

أريد أن أطمئنها أنني لن أقول شيئًا. أمسك بذقنها لأجعلها تنظر في عيني وأبتسم لها.

ـ «أتيتِ من أجل الصور. وهذا كل شيء آمي. وتوماس في البيت يساعد أباه في أمور الفناء».

تضحك، إذا استطعت أن تسميها ضحكة، ثم تنظر إليَّ بامتنان. هناك صمت محرج للحظة قبل أن تضحك ثانية أخيرًا. تقول مشيرة بيدها تجاه غرفة نومي: «تبًّا، ماذا كان هذا؟ هذا ليس نحن هولدر. نحن لسنا هذا النوع من الناس».

نحن لسنا هذا النوع من الناس، أوافقها على هذا، وأسند رأسي إلى إطار الباب، وأشعر بالندم وهو يتسرب. لا أعرف ماذا دهاني أم لماذا لم توقفني عما فعلت حقيقة أنها ليست لي. العذر الوحيد الذي أستطيع أن أصل إليه أنه أيًّا كان ما حدث بيننا الآن فقط، هو نتيجة مباشرة لحزننا. وحزننا هو نتيجة مباشرة لقرار ليز الأناني.

أقول وأنا مغتاظ بعض الشيء: «دعينا نضع اللوم على ليز. لم يكن هذا ليحدث، إن كانت هنا».

تبتسم آمي. وتقول وهي تحدق بمرح: «نعم، هي سيئة، جعلتنا نفعل شيئًا غير أخلاقي مثل هذا. كيف تجرؤ؟».

ضحكت، ثم قلت: «حقًّا؟».

تمسك الصور بيدها، وتقول: «شكرًا لـ...».. تنظر إلى الصور وتتوقف ثانية، ثم تعيد النظر إليَّ، وتقول: «فقط... شكرًا هولدر للاستماع».

أقدر شكرها بإيماءة واحدة وأشاهدها، بينما تستدير متجهة إلى الدرج. أغلق الباب وأعود إلى سريري، ألتقط الدفتر في طريقي، وأفتحه على الرسالة التي تركتها، عندما دخلت آمي غرفتي قبل ساعة.

الفصل الثالث وثلاثة أرباع

ليز،

ما حدث مع آمي الآن كان كله خطأك. فقط لنكن واضحين.

هـ

الفصل الرابع

ليز،

ذكرى سعيدة لأسبوعين من الموت. هل هذا قاسٍ؟ ربما، لكنني لا أعتذر. عليَّ أن أعود إلى المدرسة يوم الاثنين، ولا أتطلع لهذا على الإطلاق. يطلعني دانيال على كل الشائعات، مع أني في الحقيقة أخبره مرارًا بأنني لا أهتم. بالطبع، يعتقد الجميع أنكِ قتلتِ نفسك بسبب جرايسون، لكنني أعرف أن هذا ليس صحيحًا. لقد كنتِ تتظاهرين بأنكِ حيَّة قبل أن تلتقي جرايسون كثيرًا.

ثم كانت هناك الحادثة برمتها التي لم أخبرك عنها. الحادثة التي جعلتني أجبر جرايسون على أن ينفصل عنكِ، إنها قصة معقدة، لكن بسبب هذه الليلة، يقول الجميع الآن إنني مسؤول عن انتحاركِ بطريقة غير مباشرة. يقول دانيال إن الناس متعاطفون مع جرايسون، والأحمق يستغل هذا.

الجزء الأفضل من هذه الشائعة أنه ظاهريًّا، ذنبي الهائل أن لي يدًا في انتحاركِ، يجعلني أفكر في الانتحار. وإذا كان هذا ما يقوله العامة، فلا بد أن يكون صحيحًا، أليس كذلك؟

لأكون صادقًا، أنا خائف جدًّا من أن أقتل نفسي. لا تخبري أحدًا بهذا، ليس لأنه يمكنكِ الآن، حتى إذا أردتِ ذلك. لكن هذا حقيقي، أنا شخص جبان، عندما يأتي الأمر لحقيقة أنني لا أعرف ماذا أتوقع بعد هذه الحياة. ماذا لو كان ما بعد الحياة أسوأ من الحياة التي هربتِ منها؟ آملًا أن الغوص رأسًا على عقب في المجهول، يستلزم بعض الشجاعة الجادة. عليَّ أن أسلم الأمر لكِ ليز، أنتِ أشجع مني جدًّا.

حسنًا، سأوقع، لست معتادًا على الكتابة كثيرًا. ستكون الرسائل الإلكترونية القصيرة مرضية أكثر، لكنكِ تحبين أن تفعلي كل شيء بأصعب طريقة، أليس كذلك؟

إذا رأيت جرايسون في المدرسة يوم الاثنين، سوف أخصيه وأرسل أعضاءه إليكِ. ما عنوانكِ الجديد؟

هـ

***

ينتظرني دانيال في سيارته، بينما أصف سيارتي في موقف السيارات.

يقول بمجرد أن أفتح بابي: «ما خطة اللعب؟».

أجهد عقلي في تذكر أي شيء، ربما أكون قد نسيته. لا أتذكر أي شيء مهم في اليوم قد يحتاج إلى خطة لعب.

أسأل: «خطة لعب لماذا؟».

ـ «خطة لعب لهذا اليوم، الهرائي».

يشير بجهاز التحكم إلى السيارة ويغلق الأبواب، ثم يبدأ في السير معي تجاه المدرسة.

ـ «أعرف كم رغبت في عدم العودة إلى المدرسة، لذلك ربما سنحتاج إلى خطة لعب لنواجه التركيز عليك. هل تريدني أن أكون حزينًا ومدمرًا معك حتى لا يواجهنا الناس؟ أشك في ذلك»

يجيب نفسه: «هذا قد يشجع الناس على أن يتملقوك بكلمات العزاء، وأنا أعرف أنك تعبت من هذا السخف. إذا أردت أستطيع أن أكون منفعلًا للغاية، لآخذ منك الاهتمام. بقدر ما لا تريد أن تعترف بهذا، أنت كنت حديث الجميع لنحو أسبوعين. وأنا سئمتُ من هذا».

أكره أن ليس لدى الناس شيء أفضل ليتحدثوا عنه، لكنني أحب أن دانيال مستاء من هذا مثلي تمامًا.

ـ «أو أن نكون فقط طبيعيين، ونتمنى أن يجد الناس أشياء أفضل من الكلام عمَّا حدث لليز».

يقول وهو يستدير ليواجهني بينما يسير إلى الخلف: «يمكن أن أتصرف بغضب، وأسير أمامك كأنني حارسك الشخصي، بالرغم من أنك أضخم مني، وإذا حاول أحدهم أن يقترب منك سوف ألكمه في وجهه. أرجوك هلا لعبت دور الأخ الغاضب الحزين؟».

أضحك، وأقول: «أظن أننا سنكون بخير فقط، دون خطة لعب».

يتجهم أمام عدم رغبتي في المشاركة.

ـ «أنت تقلل من شأن الاستمتاع الذي ينال الآخرون من النميمة والتكهنات. فقط ابقَ هادئًا، وإذا كان هناك شيء يحتاج إلى أن يقال اليوم، سأكون أنا مَن يقوله. كنت أموت من أجل أن أصرخ في هؤلاء الناس لأسبوعين، الآن».

أمتن لاهتمامه، لكنني أتوقع حقًّا أن اليوم سيكون مثل أي يوم آخر. إذا حدث شيء، أعتقد سيكون من غير الملائم للناس أن يذكروه، عندما أكون بينهم بالفعل. سيكون من غير المريح أن يقولوا لي أي شيء على الإطلاق، وهذا تمامًا ما أفضله.

لم يدق جرس الحصة الأولى بعد، لذا لا يزال الجميع يقفون بالخارج. إنها أول مرة أسير في المدرسة دون وجود ليز إلى جانبي. مجرد التفكير فيها يعيدني إلى هذه اللحظة، عندما دخلت غرفة نومها ووجدتها. لا أريد أن أسترجع هذه اللحظة ثانية، ليس الآن.

أسحب هاتفي من جيبي، وأتظاهر بأنني مهتم به فقط من أجل أن أصرف ذهني عن حقيقة أن دانيال يمكن أن يكون على حق. الجميع حولنا هادئون للغاية، وأتمنى حقًّا أن يعود كل شيء إلى طبيعته قريبًا.

ليست لدى دانيال وأنا حصة معًا حتى الحصة الثالثة، لذا عندما دخلنا المبنى لوَّح لي، واتجه إلى الطريق المعاكس. أفتح باب فصلي، وغالبًا يسقط فوق الفصل، على الفور، صمت مفاجئ. كل العيون تحدق فيَّ، يشاهدونني بصمت، وأنا أسير إلى مكتبي.

أبقي هاتفي في يدي، وأستمر في التظاهر بأنني مشغول به، لكنني واعٍ تمامًا لكل من حولي. إنه يجنبني تقاطع النظر مع أحدهم برغم ذلك. إذا لم أنظر إليهم سيكون الاقتراب مني أقل احتمالًا.

أتساءل إذا كنت فقط أتخيل فرقًا في الطريقة التي يتعامل بها الناس اليوم عكس قبل أن تقتل ليز نفسها. ربما أنا فقط. لا أريد أن أفكر أنه أنا، وإذا كانت هذه هي المسألة، فكم سيستمر هذا؟ إلى متى سيكون عليَّ أن أمر بكل ثانية في اليوم، وأنا أفكر في موتها وكيف يؤثر في كل نواحي حياتي؟

أقارن بين فقدان ليز وفقدان هوب كل هذه السنوات الماضية. بدا في ذلك الوقت أن كل ما حدث لشهور بعد اختطاف هوب بطريقة ما أدى إلى انشغالي بها. أستيقظ في الصباح وأتساءل أين تستيقظ. أغسل أسناني وأتساءل إذا كان من أخذها فكَّر أن يشتري لها فرشاة أسنان جديدة، إذ إنها لم تأخذ أي شيء معها. أتناول فطوري وأتساءل إن كان من أخذ هوب يعرف أنها لا تحب عصير البرتقال.

وإن كان يدعها تحصل على الحليب السادة، لأنه كان المفضل لديها. أذهب إلى السرير مساءً، وأنظر من نافذة غرفة نومي التي عادة تواجه نافذتها، وأتساءل إذا كانت لديها حتى نافذة في غرفة النوم التي تنام بها.

أحاول أن أتذكر متى توقفت عن التفكير أخيرًا، ولكنني لست متأكدًا أنني توقفت. ما زلت أفكر بها أكثر مما يجب. لقد مرت سنوات الآن، لكن في كل مرة أنظر إلى السماء أفكر بها.

كل مرة يناديني أحدهم دين بدلًا من هولدر، أفكِّر بها، وكيف اعتدت أن أضحك على الطريقة التي تنطق بها اسمي، ونحن صغار. كل مرة أرى سوارًا في يد فتاة أفكر في السوار الذي منحته لها ليز قبل دقائق من أن تُختَطَف من بيننا.

الكثير من الأشياء تذكرني بها، وأكره إدراكي أن هذا سيكون أسوأ الآن بعد رحيل ليز أيضا. كل شيء أفكر فيه أو أراه أو أقوله يذكرني بليز. وفي كل مرة أتذكر ليز، يؤدي هذا إلى التفكير في هوب. وفي كل مرة أفكر في هوب، أتذكر كيف خذلتهما. لقد خذلت كلتيهما. كما لو أنه اليوم الذي منحتهما فيه اسم هوبليس «ميؤوس منه». كنت بطريقة ما أسمي نفسي أيضا، لأنني متأكد أن لدي شعورًا مُلحًّا بأنني الآن ميؤوس منه.

***

بشكل ما مرت حصتان دون أن يكلمني أحد، كأنهم ظنوا أنني لست هنا حتى من الطريقة التي يهمسون ويحدِّقون بها، ويتكهنون بما يحدث في رأسي.

أتخذ مقعدي بجانب دانيال، بمجرد أن أصل إلى فصل الأستاذ موليجان. وبعد ذلك، يسألني دانيال في صمت بنظرة عينيه عن حالي. يبدو أننا وجدنا طريقة ما غير لفظية للتواصل بيننا خلال السنوات الماضية. أهز كتفيَّ، جاعلًا إياه يعرف أن الأمور تسير. بالطبع، كنت أفضل ألا أكون هنا الآن على الإطلاق، لكن ماذا أفعل؟ أمتصها. هذا ما أريد.

تهمس الفتاة التي أمامي للفتاة التي أمامها: «سمعت أن هولدر لا يتحدث لأحد».

من الواضح من درجة الصوت التي تتحدث بها، أنها لا تعرف أنني أجلس خلفها تمامًا. يرفع دانيال رأسه لينظر إليهما، وأستطيع أن أرى علامات الاشمئزاز على وجهه، من معرفته أنني يمكنني سماع محادثتهما.

تتكهن الفتاة الأخرى:

ـ ربما أنه يأخذ نذر الصمت.

ـ نعم، ربما. لم يكن يؤذي ليزلي أن تأخذ نذر الصمت كل حين وآخر. ضحكتها كانت مخيفة ومزعجة للغاية.

فورًا أرى لونًا أحمر، وأطبق قبضتي وأتمنى لأول مرة في حياتي ألا يكون من الخطأ أن يضرب فتى فتاة. أنا لست غاضبًا من أنهما تتحدثان عنها من وراء ظهرها، توقعت هذا. لست حتى غاضبًا من أنهما تتحدثان عنها من وراء قبرها. أنا غاضب لأن الشيء الوحيد الذي أحببته للغاية في ليز هو ضحكتها. إذا كانتا ستقولان أي شيء عنها، من الأفضل ألا تذكرا ضحكتها ثانية.

يقبض دانيال على أطراف مكتبه، ويرفع قدمه، ثم يركل مكتب الفتاة بأقصى قوته، دافعًا إياها لاثني عشر إنشًا على الأرض. تصرخ وعلى الفور تلف كرسيها لتواجهه.

- «تبًّا، ماذا دهاك يا دانيال؟»

يسأل رافعًا صوته ويميل إلى الأمام بكرسيه ويحدق بها: «ماذا دهاني أنا؟. سوف أخبركِ ماذا دهاني. أنا غاضب لأنكِ فتاة، لأنك لو كنتِ فتى، كنت سألكمكِ على فمكِ السمين الآن».

تفتح فمها بذهول، ومن الواضح أنها مشوشة، ولا تعرف لماذا يستهدفها. يُفسَّرُ تشوشها أخيرا في الثانية التي تلاحظ بها أنني خلفها تمامًا. عيناها تتسعان، وأبتسم لها، وأنا أرفع يدي ملوحا بفتور.

لا أقول شيئًا، على الرغم من ذلك. لا أشعر حقًّا بالحاجة لإضافة أي شيء لما قاله دانيال، ومن الظاهر أنني آخذ نذر الصمت، لذلك أبقي فمي مطبقًا فقط.

بجانب أن دانيال قال إنه يتوق إلى الصراخ في وجه هؤلاء الناس منذ أسبوعين. اليوم ربما هي فرصته الوحيدة، لذا أتركه يفعل ما يريد. تستدير الفتاة فورًا للأمام دون أن تمنح حتى أدنى تلميح لاعتذار.

ينفتح باب الفصل، ويدخل الأستاذ موليجان، كاسرًا التوتر ومستبدلًا به نفسه. ليز وأنا فعلنا كل شيء نستطيع فعله لنتجنب أن نكون معه هذا العام، لكننا لم نكن محظوظين تمامًا. لم أكن محظوظا على أي حال. لن تقلق ليز من الجلوس في ساعات محاضراته المضجرة بعد الآن.

يقول بمجرد أن يصل إلى مكتبي: «دين هولدر. ما زلت أنتظر ورقتك البحثية التي استحق تسليمها الأسبوع الماضي. أتمنى أن تكون معك، لأننا سنعرض اليوم».

تبًّا. لم أفكر حتى فيما يمكن أن يكون استحق مني خلال الأسبوعين الماضيين.

ـ «لا، ليست معي».

يرفع بصره ـ أيًّا كان الذي ينظر إليه على مكتبه ـ وينظر إلي، ويقول: «إذًا قابلني بعد الحصة».

أومئ وربما ألف عيني قليلًا. لف العينين متعذر اجتنابه في حصته. إنه المتعجرف الذي يخرج عن السيطرة التي يظن أنه يهيمن بها على الفصل. من الواضح أنه جرى تخويفه عندما كان صغيرًا، وأي أحد لا يرتدي حافظ جيب يتعرض لانتقامه المضلل.

أتجاهل العروض التقديمية في أثناء الحصة، وأحاول أن أضع قائمة بالواجبات المستحقة مني. ليز كانت المنظمة بيننا. كانت دائمًا تعرّفني ما الواجب المستحق ومتى يستحق، وفي أي فصل.

بعد ما مرَّ كما لو أنه ساعات، يدق الجرس أخيرًا. أبقى في مقعدي حتى يفرغ الفصل، ويتمكن الأستاذ موليجان من ممارسة انتقامه عليَّ. بمجرد أن يخرج الجميع ولا يبقى سوى الأستاذ وأنا فقط في الفصل، يمشي تجاه مكتبي، ويميل علي، وهو يعقد ذراعيه أمام صدره.

ـ «أعرف أن أسرتك كانت في محنة، وأنا آسف لخسارتك».

ها نحن ذا.

ـ «أنا فقط أتمنى أن تفهم أن أشياء مؤسفة مثل هذا قد تحدث خلال حياتك، لكن هذا لن يمنحك العذر ألا تفعل ما هو مطلوب منك».

يا إلهي. إنها مجرد ورقة بحثية ملعونة. إنها ليست مثل إعادة كتابة الدستور. أعرف أنني يجب أن أومئ فقط وأوافقه، لكنه اختار اليوم الخطأ ليلعب دور الواعظ.

ـ «أستاذ موليجان، ليز كانت أختي الوحيدة، لذا لا أتوقع حقًّا أن يحدث هذا ثانية. بقدر ما يبدو أنه يتكرر، هي تستطيع أن تقتل نفسها مرة واحدة فقط».

تظهر الطريقة التي يجعد بها حاجبيه معًا، ويزم شفتيه في خط ثابت، أنه لم يجدني مسليًا على الإطلاق. وهو أمر جيد، لأنني لا أحاول أن أكون مسليًا.

يقول بفتور: «بعض المواقف يجب أن تبقى خارج حدود سخريتك. كنت أتمنى أن تتحلى بالقليل من الاحترام لأختك أكثر من هذا».

وبقدر ما كرهت حقيقة أنني لا أستطيع أن أضرب فتاة اليوم، أكره حقيقة أنني لا أستطيع أن أضرب المعلمين أكثر. أقف فورًا، وأسير بسرعة إلى حيث يقف، أقف على بعد إنشات فقط منه، قبضتاي على جانبي. قربي منه يجعل جسده يتصلب ولا أستطيع إلا أن أشعر بالرضا، لإحساسي بأنني أخفته. أنظر إليه مباشرة في عينيه، وأنا أجزُّ على أسناني، وأخفض صوتي.

ـ «لا أهتم بكونك معلمًا، أو طالبًا، أو واعظًا ملعونًا. لا تذكر أختي ثانية أبدًا».

أحدق فيه لثوانٍ أخرى، وأنا أغْلِي منتظرًا ردَّ فعله. عندما يفشل في قول أي شيء، أستدير وأمسك حقيبة ظهري.

أقول مغادرًا الفصل: «سوف تحصل على تقريرك غدًا».

***

لقد اقتنعت أنني على بُعد دقائق من الطرد. ومع ذلك، اختار الأستاذ موليجان ظاهريًّا عدم الإبلاغ عن تفاعلنا الصغير، لأنه لا شيء قد قيل أو حدث، والآن فسحة الغذاء.

أتقدم، وأحدهم يقول من خلفي في المدخل: «هولدر». أستدير فأجد آمي تلحق بي.

«أهلًا آمي». أتمنى لو أن وجودها يمنحني أدنى مقدار من الراحة، لكنه لا يفعل. رؤيتها تقف هنا، تذكرني بما حدث منذ أسبوعين، ثم هذا يذكرني بالصور التي جاءت إلى بيتي من أجلها، ثم هذا يذكرني بليز، ثم هذا يذكرني بهوب، ثم بالطبع أنا مستهلك من الشعور بالذنب ثانية.

تسألني بتردد: «كيف حالك؟ لم أسمع عنك منذ..».. يتأثر صوتها، لذا أجاوبها بسرعة، غير راغب في أن أجعلها تشعر بأنها يجب أن تدخل في مزيد من التفاصيل.

أرد شاعرًا بالذنب، لأنها تبدو محبطة أنني لم أتصل بها: «أنا بخير». ظننت أنها كانت مدركة تمامًا لما حدث بيننا. أتمنى لو أنها كذلك على أي حال.

ـ «هل أنت...»

أنظر إلى حذائي وأتنهد، غير متأكد كيف أصل إلى الأمر، دون أن أجعله يبدو حماقة تامة. أنقل ثقلي على قدمي الأخرى وأنظر إليها مجددًا.

ـ «هل أردتِ أن أتصل بكِ؟ لأنني ظننت أن ما حدث...»

تقول بسرعة: «لا، لقد صح ظنك. أنا فقط لا أعرف». تهز كتفيها وتنظر كما لو أنها تندم على هذه المحادثة.

ـ «هولدر، أردت فقط أن أتأكد أنك بخير. لقد سمعت شائعات، وأكذب إن لم أقل إنها أثارت قلقي. شعرت بالأنانية لأنني جعلت ذاك اليوم في بيتك كله عني، ولم أفكر أبدًا أن أسألك كيف تماسكت».

يبدو أنها تشعر بالذنب حتى من ذكر الشائعات، لكنها يجب ألا تشعر بهذه الطريقة. إنها الشخص الوحيد في اليوم كله الذي بذل جهدًا نشطًا ليتأكد أن الشائعات غير حقيقية.

ـ «أنا بخير». أؤكد لها: «الشائعات شائعات يا آمي».

تبتسم، لكن لا يبدو أنها تصدق الكلمات التي خرجت من فمي. آخر شيء أريدها أن تفعله، هو أن تقلق عليَّ. ألف ذراعي حولها وأهمس في أذنها: «أقسم لكِ آمي يجب ألا تقلقي عليَّ».

تومئ، ثم تبتعد عني، وهي تنظر بتوتر إلى يسار المدخل ويمينه. تهمس: «توماس». أتخذ لها العذر على حقيقة أنها ابتعدت عني، ثم أبتسم لها مطمئنًا.

أقول بإيماءة: «توماس. أخمن أنه ليس في البيت يساعد أباه في أمور الفناء».

تزم شفتيها معًا وتهز رأسها. وتقول وهي تستدير لترحل: «انتبه لنفسك هولدر».

أضع أشيائي في الخزانة، ثم أتجه إلى الكافيتريا. أسير دقائق عدة بالداخل بعد أن امتلأت الكافيتريا بالناس، وفي البداية كانت تبدو الأمور مثل غداء أي يوم آخر. لكن بمجرد أن يبدأ الناس في اكتشافي وأنا أجد طريقي إلى المائدة التي يجلس عليها دانيال، تنخفض ترددات الأصوات، ولا يبدو أن العيون تهتم بشؤونها الخاصة.

كمية الدراما التي شاهدتها في هذا اليوم مضحكة حقًّا. كل شخص أمر به، حتى أولئك مَن كنت صديقًا لهم لسنوات، يبدو أن جميعهم يفكرون في أنهم إذا لم يراقبوا تحركاتي بهدوء، ربما يفقدون اللحظة التي سأتحطم فيها، وتضيع منهم. أكره أن أحبطهم، لكنني أسيطر جيدًا على الأمور اليوم. لن يفقدوا هذه اللحظة، لذا، ربما يعودون إلى روتينهم العادي.

مع الوقت الذي أصل فيه إلى المائدة فعلًا، ينخفض الصوت كله في حجرة الغداء إلى همهمة خفيفة. كل العيون ترمقني وبجدية أتمنى لو أنني أستطيع أن أسب الجميع، لكن هذا

سيمنحهم الانهيار الذي يريدونه تمامًا، لذا بدلًا من هذا، أبقي فمي مغلقًا.

ومع ذلك، فإن الشيء الوحيد الذي لم أفعله، هو أن أخبر دانيال أنه لا يمكن أن يقول ما أتمنى أن أقوله. أنظر إليه مباشرةً في عينيه، عندما أصل إلى المائدة، ونجري واحدة من محادثاتنا السريعة، غير المنطوقة. محادثة أمنحه فيها موافقتي على أن يطلق سراح أي إحباط مكبوت ما زال بداخله.

يبتسم ابتسامة شريرة، ويصفع المائدة بكفيه مصدرًا صوتًا عاليًا، يصرخ وهو يقف على كرسيه: «تبًّا لهذا الهراء»، ويومئ بعنف تجاهي.

ـ «انظروا جميعًا. إنه دين هولدر».

يستمر في الصعود فوق مائدة الغذاء، وهو يجذب كل الانتباه بعيدًا عني، ويضعه عليه.

يصرخ: «لماذا يحدق في الجميع؟»، مشيرًا بإيماءات مبالغ فيها إليَّ.

ـ «لدينا دين هولدر هنا، الواحد والوحيد».

عندما ينظر قلة من الناس بعيدًا عنه، تجاهي، يلقي ذراعيه لأعلى في الهواء، كما لو أنه غاضب منهم.

ـ «هيا يا فتيان، لقد كنا نتوقع هذه اللحظة منذ أسبوعين، والآن بما أنه هنا أخيرًا، كلكم قررتم أن تتوقفوا عن الكلام؟ ماذا في ذلك؟»

ينظر إلى الأسفل إليَّ ويتجهم، وهو يخفض كتفيه بانهزام.

ـ «أنا آسف هولدر، ظننت أن اليوم سيكون أكثر متعةً لك. كنت آمل في فقرة أسئلة وأجوبة لتنقية الهواء نوعًا ما، لكنني لم أدرك أن كل شخص في هذه المدرسة ضعيف الشخصية».

يبدأ في النزول من المائدة، ثم يطلق ذراعيه في الهواء، ويرفع إصبعًا. يقول: «انتظروا»، وهو يلف ليواجه الحشد كله.

ـ «هذه حقًّا فكرة جيدة».

أنظر حولي، وأتوقع أن يذهب إليه أحد مراقبي الكافيتريا ليضع حدًّا لمشهده، لكن المراقب الوحيد في الكافيتريا الآن يشاهد دانيال فقط مثل الآخرين، منتظرًا أن يرى ماذا يريد.

يقفز دانيال من مائدتنا إلى المائدة التي جوارنا، واقفًا على صوانٍ عدة. يسكب الشوكولاتة بالحليب على الموائد ويكاد ينزلق، لكنه يستند بيده إلى قمة رأس فتى، ويستقيم واقفًا من جديد. المشهد برمته مسلٍّ جداًّ، لذا أتخذ مقعدي على مائدتنا وأشاهده، كما لو أنني لست السبب وراء انفجاره الكامل.

ينظر إلى الأسفل إلى فتاة تجلس إلى المائدة التي تحت قدمه، ويمد ذراعه مشيرًا بإصبعه إليها.

ـ «ماذا عنكِ ناتالي؟ الآن لدينا دين هولدر، بشحمه ولحمه، هل تريدين أن تسأليه إذا كانت نظريتكِ عن لماذا قتلت ليز نفسها صحيحة؟»

يحمر وجه ناتالي وتقف.

ـ «أنت أحمق دانيال».

تمسك بطبقها، وتسير بعيدًا عن المائدة، لكن سبابته الممتدة تتبعها خلال الكافيتريا.

ـ «انتظري نتالي ماذا لو أن ليزلي قتلت نفسها، لأن جرايسون تخلى عنها في الأسبوع الذي أخذ فيه عذريتها؟ ألا تريدين أن تعرفي إن كنتِ على حق؟ ألا تريدين أن تعرفي ماذا كسبت؟»

تغادر ناتالي الكافيتريا، فيحول اهتمامه مباشرةً إلى توماس، الذي يجلس بجوار آمي على بعد موائد عدة. تضع يدها على فمها، وهي تنظر إلى دانيال في صدمةٍ مثل باقي من في الكافيتريا. يشير إلى توماس، ثم يقفز عبر ثلاث موائد، حتى يصل إليه.

يصرخ دانيال بانفعال: «توماس. ماذا عنك؟ هل تريد أن تشارك في السؤال والجواب؟ سمعت نظريتك هذا الصباح في الحصة الأولى، وكانت غير طبيعية».

يقف توماس ويمسك بطبقه تمامًا مثل ما فعلت ناتالي.

ـ «دانيال، أنت وغد».

يومئ تجاهي.

ـ «هو لا يحتاج إلى هذا الآن».

لا أقول أي شيء، لكنني آمل في أن يبتعد توماس دون أن يصاب بأذى. لا أعرف أي شائعة يروج لها، على الرغم من ذلك، أنا متأكد بشدة أن ما فعلته مع آمي كان انتقامًا كافيًا،

حتى لو لم يكن من الاحتمال أن يعرف عنه أبدًا.

يقول دانيال وهو يرفع يديه على فمه في صدمة زائفة: «أواه؟». ينظر إلي، ويقول: «هل تحتاج إلى هذا الآن هولدر؟ هل أنت في حداد أو شيء من هذا القبيل؟ هل علينا أن نحترم هذا؟».

أحاول ألا أبتسم، لكن دانيال يؤدي واجبه جيدًا في قلب هذا اليوم السخيف رأسًا على عقب. يتحرك من مائدة إلى الأخرى، عائدًا إلى مائدتنا.

ـ «هل تريد أن تشارك في السؤال والجواب يا هولدر؟ أظن أنك ربما تريد أن تصحح الأمور».

يستدير ويخاطب الكافيتريا كلها ثانية دون انتظار إجابة مني. العديد من الطلبة يبدؤون في التقاط أطباقهم، والخروج من الكافيتريا، خوفًا من أن الإشارة إليهم بعد ذلك.

ـ «أين يذهب الجميع؟ يبدو أن لا أحد منكم يهتم بمناقشة ذلك في مرة لاحقة. لماذا ليس الآن، عندما يمكننا أن نحصل على بعض الإجابات الصادقة؟ ربما يريد هولدر أن يخبرنا جميعًا لماذا فعلت ليز هذا. أو الأفضل حتى الآن، كيف فعلت هذا. وربما نستطيع أن نجد الحقيقة خلف التكهنات، بأن لديه ميولًا انتحارية أيضًا».

ينظر دانيال إليَّ ثانية، ويسند يديه إلى فخذيه.

ـ «هولدر. هل الشائعات حقيقية؟ هل حقًّا حددت التاريخ الذي خططت أن تقتل نفسك فيه؟»

الآن كل العيون بالتأكيد عليَّ، قبل أن أستطيع الإجابة، ليس أنني كنت سأجيب، لكن دانيال رفع ذراعيه، ووضع بطن كفيه تجاهي.

ـ «انتظر لا تُجِب عن هذا يا هولدر».

يستدير ليخاطب الحشد المتضائل مجددًا.

يقول وهو يشد محفظته من جيبه: «أعتقد أن علينا أن نفتح المجال للمراهنات. سأراهن على الخميس المقبل».

فيما يبدو أن مراقبة الكافيتريا تضع خطًّا أحمر للمراهنات غير القانونية، لأنها تسير الآن بعزم تجاه دانيال. يلاحظ المراقبة التي تطارده، فيدفع بمحفظته ثانية إلى جيبه. يقول بسرعة

وهو يقفز عن المائدة: «حسنًا، نفتح المجال للمراهنات بعد المدرسة».

أستدير وأتجه إلى أبواب الكافيتريا، ويتبعني. ومجرد أن تتأرجح الأبواب منغلقة من خلفنا، تعود همهمة الكافيتريا مجددًا، لكن بصوت أعلى بكثير هذه المرة. وبمجرد أن نعود إلى المدخل بجوار الخزانات، أدير جسمي لأواجهه.

لا أستطيع أن أقرر ما إذا كنت أريد أن ألكمه على ما فعله للتو، أم أنحني له شكرًا.

أضحك قائلًا: «أنت عابث يا رجل».

يمرر كفيه على وجهه، ويهوى على الخزائن، وهو يتنهد تنهيدة كبيرة.

ـ «نعم، لم أقصد حقًّا أن تسير الأمور في هذا الاتجاه. أنا فقط لم أستطع أن أتحمل لحظة ثانية من هذا السخف. لا أعرف كيف تتحمل هذا.

أقول: «أنا أيضًا». أفتح خزانتي وألتقط مفتاح سيارتي.

ـ «أعتقد أنني سأدع اليوم يمر دون أن أفعل شيئًا. أنا حقًّا لا أريد أن أبقى بالجوار الآن».

يفتح دانيال فمه ليرد، لكنه يقاطع بنحنحة أحدهم خلفي. أستدير لأجد المدير جوينر يطالع دانيال غاضبًا، وأستدير ثانية لدانيال وهو يرفع كتفيه ببراءة.

ـ «أخمِّن أنني سأراك غدًا. يبدو أن لدي أنا والمدير جوينر موعد غذاء».

يقول المدير جوينر بحزم من خلفي: «يبدو أكثر كموعد احتجاز». يدير دانيال عينيه، ويتبع المدير إلى المكتب.

أمسك بالكتاب الذي أحتاج إليه لأنهي الورقة البحثية للأستاذ موليجان، وأغلق خزانتي، ثم أسير في القاعة تجاه المخرج. قبل أن أتجول في الردهة، أسمع أحدهم ينطق اسم ليز من خلفي، فأتوقف عن مساراتي. أنظر حول الركن وأجد مجموعة صغيرة من أربعة أشخاص يستندون إلى خزائنهم. أحد الفتيان يمسك بهاتف محمول، وكلهم يميلون عليه، يشاهدون الفيديو الذي يعرضه. صوت دانيال يأتي من مكبر الصوت. من الواضح أن أحدهم سجل عرضه أثناء الغذاء الآن، وهو ما يتداول بالفعل. حسنًا، هناك المزيد من الوقود للنميمة.

يقول الفتى الذي يحمل الهاتف: «لا أفهم لماذا فعل دانيال هذه الضجة الكبيرة».

ـ «هل يتوقع حقًّا منا ألا نتحدث عن الأمر؟ إذا كان أحدهم مثيرًا للشفقة كفاية ليقتل نفسه، فسنتحدث عن هذا بالطبع. إذا سألتني، كان ينبغي لليز أن تتمسك بالحياة، بدلًا من أن

تأخذ الطريق الأسهل».

لم أنتظره حتى يُنهي حديثه. يتهشم هاتفه عندما ألقيه على الخزانة، لكن الصوت لم يقترب حتى من الصوت الصادر من قبضتي، عندما تقابل فكه للمرة الأولى. لم أعرف إذا كانت الكلمات التالية تصدر أصواتًا أعلى، لأنني برغم ذلك أتجاهل كل شيء حولي على الفور. هو على ظهره على أرض المدخل الآن وأنا فوقه، أضربه بقوة كافية، آملًا أن أجعله غير قادر على فتح فمه اللعين ثانية. الناس يشدونني من كتفي وقميصي وذراعي، لكنني أستمر في ضربه. أكرر غضبي وأشاهد قبضتي تصبح أكثر احمرارًا من الدم الذي يلطخ يدي في كل مرة أتأرجح عليه.

أشعر بأنهم قد حققوا ما يريدونه في النهاية بانهياري.

هذا يجعلني أشعر باليأس والفشل.

وأنا حقًا لا أهتم.

الفصل الخامس

ليز،

ذكرى سعيدة لخمسة أسابيع على الموت. آسف لم أطلعك على الأحداث المتلاحقة مؤخرًا، لكن، لقد حدث الكثير. سوف تحبين هذا. أنا دين هولدر أُلقي القبض عليَّ.

دخلت في مشاجرة في المدرسة مدافعًا عن شرفكِ منذ أسبوعين. أظن أنني لا أستطيع حقًّا أن أسميها مشاجرة في حد ذاتها. أعتقد أن المشاجرة يجب أن تكون بين شخصين، وهذه الحادثة كانت من جانب واحد.

على أي حال، لقد أُخِذت إلى الحجز، وبقيت هناك بالكاد ثلاث ساعات قبل أن تصل أمي وتخرجني بكفالة، يبدو هذا همجيًّا أكثر مما كان عليه في الواقع. سأعترف، كانت أول مرة أشعر فيها بأنني ممتن للغاية لأن أمي محامية.

أنا أكثر من غاضب بقليل الآن، ولا أعرف حقًّا ماذا أفعل حيال ذلك. أصبحت أمي تكافح كثيرًا مؤخرًا، وحادثتي الصغيرة في المدرسة حقًّا أفسدت الأمور. تظن أنها خذلتنا، وأنتِ تقتلين نفسكِ وتتركينها تشك في قدرتها كأم تمامًا، وهو حقًّا ما يصعب عليَّ رؤيته. الآن بعد أن انكسرت أيضًا، أصبحت تشك في نفسها أكثر، حتى إنها تجبرني على الذهاب والبقاء مع أبي لفترة.

أظن أن كل هذا كثير جدًّا عليها. بعد أن ضربت هذا الأحمق في المدرسة، اعترفت لي بأنها تعتقد أنني أحتاج للمساعدة أكثر مما تتمكن هي من منحه لي الآن. فعلت كل شيء أستطيعه لأغير رأيها، لكن بعد جلسة محاكمتي هذا الصباح، بدا أن القاضي قد اتفق معها. أبي في طريقه الآن ليأخذني، وبعد خمس ساعات سأكون عائدًا في طريقي إلى مسقط رأسنا، عائدًا، حيث بدأت الأمور في الانحدار.

هل تذكرين كيف كانت الأمور عندما كنا صغارًا؟ قبل أن أدع هوب تركب هذه السيارة؟

كانت الأمور جيدة. أبي وأمي كانا سعيدين، ونحن كنا سعيدين. أحببنا جيراننا وبيتنا وقطنا الذي استمر في القفز في هذه البئر البائسة في الفناء الخلفي. لا أتذكر حتى اسم هذا القط، لكنني أتذكر أنه أغبى قط بائس عرفته على الإطلاق.

لم يكن الأمر كذلك حتى اليوم الذي رحلت فيه عن هوب، تاركًا إياها تبكي أمام حديقة المنزل، وبدأت حيواتنا تسقط في المنحدر. بعد هذا اليوم كل شيء تغير. ظهر المراسلون، وتكثف الضغط العصبي، واختفت ثقتنا البريئة بالآخرين تمامًا.

أرادت أمي أن تخرج من المدينة، ولم يرد أبي أن يترك وظيفته. ولم تحب حقيقة أننا ما زلنا نعيش بجوار ما حدث. تذكرين كيف لم تدعنا نخرج وحدنا لسنوات بعد أن خُطِفت هوب؟ كانت مرعوبة للغاية من أن يحدث لنا الشيء نفسه.

حاولا ألا يدعا الضغط العصبي يؤثر في زواجهما، لكن الأمر انتهى لكونه أكثر من اللازم. أتذكر اليوم الذي أخبرانا فيه أنهما سينفصلان ويبيعان البيت، وأن أمي ستنقلنا هنا حتى نصبح أقرب لعائلتها. لن أنساه أبدًا، لأنه كان أسوأ يوم في حياتي، بالإضافة إلى أن هوب خُطِفت. لكن بدا أنه كان أفضل يوم لكِ.

كنتِ متحمسة جدًّا للانتقال. لماذا يا ليز؟ أتمنى لو أنني فكرت في أن أسألكِ وأنتِ حيَّة. أريد أن أعرف ما الذي كرهته في حياتكِ هناك لهذه الدرجة، لأنني حقًّا لا أريد العودة للعيش في أوستن. لا أريد أن أغادر أمي. لا أريد أن أبقى مع أبي، وأتظاهر أنني أوافق على تخليه عن عائلته كل هذه السنوات. لا أريد العودة إلى المدينة، حيث كل مرة أستدير في زاوية، أبحث عن هوب.

أفتقدك ليز كثيرًا، لكن بطريقة مختلفة عن طريقة افتقادي لهوب. أعرف أنه لا يوجد احتمال لرؤيتك ثانية. أعرف أنكِ لا تعانين بعد الآن. لكن ليس لدي هذا الشعور مع هوب، لأنني غير متأكد من أنها لم تعد تعاني. لا أعرف إن كانت حيَّة أم ميِّتة. عقلي يتخيل أسوأ سيناريوهات محتملة لها، وأنا أكرهه.

ما فرص أن أفقد الفتاتين الوحيدتين اللتين أحببتهما في حياتي؟ إنه شعور يقتلني كل يوم. أعرف أنه ربما عليَّ أن أجد طريقة لأحاول تجاوز هذا... أن أدع اللوم يمر. لكن لأكون صادقًا، لا أريد تجاوز هذا، ولا أريد أن أنسى أن عجزي عن حماية أي منكما، هو سبب أنني الوحيد الباقي. أستحق أن أتذكر كل ثانية أحيا بها، أنني تخليت عنكما، حتى أصبح واعيًا ألا أدع نفسي أقع في هذا مرة أخرى، مع أي أحد آخر. نعم، أحتاج إلى تذكير، ربما عليَّ أن أحصل على وشم.

هـ

الفصل الخامس ونصف

ليز،

يا له من عام. نسيت على الأغلب أمر هذا الدفتر. بالتأكيد تركته خلفي في عجلة حزم الحقائب سبتمبر الماضي. ما زال على خزانتي، يبدو ذلك من طبقة التراب التي تغطيه، وأخمن أن أمي لم تتطفل عليه. إذا كان رد فعل أمي على انتقالي للعيش مع أبي العام الماضي هو رد فعلها نفسه على موتكِ، سأتأكد أنها لم تضع قدمًا في غرفة نومي منذ اليوم الذي رحلت فيه. يبدو أنه أسهل عليها أن تغلق الأبواب، ولا تفكر في سكون الغرف من خلفهم.

يبدو أن الخطة كانت أن أبقى في أوستن حتى أتخرَّج، لكنني أحبطت هذه الخطة بقدرتي السحرية على بلوغ الثامنة عشرة. لن يستطع أبي حقًا أن يتمسك بي رغمًا عني بعد ذلك. وبالحديث عن إتمامي الثامنة عشرة، لم يكن عاديًا بالنسبة لي عدم مشاركتكِ في احتفال عيد ميلادي، ولكن كانت هدية أبي المميزة لي هي سيارة جديدة. ولو كنتِ حيَّةكان سيطلب مني مشاركتها معكِ، ولكن بما أنكِ لستِ حيَّة، فسأحتفظ بها لنفسي. والجيد أيضًا أنه لم يطلب مني تركها في أوستن عندما عدت إلى المنزل قبل أيام عدة.

لقد افتقدت والدتي كثيرًا، وهذا هو السبب الرئيس لعودتي إلى المنزل. ومع أنني لا أحب الاعتراف بهذا، فإني أفتقد دانيال كثيرًا. وفي الواقع، أنا على وشك الخروج معه خلال دقائق، لأنها ليلة السبت، وأعتقد أننا سنجد مكانًا مناسبًا للذهاب إليه والاستمتاع بوقتنا معًا. ولعلنا نترك بصمة إيجابية بما نحدثه مع الآخرين.

يقول دانيال إنه كانت هناك بعض الشائعات حول مكان وجودي خلال العام الماضي، وهو لم يضع وقته في تبديد أي منها، فهو الوحيد الذي يعرف حقيقة ما حدث بالفعل. أنا ممتن له لعدم وضع أي شخص في مكانه الحقيقي، وأعتقد أنه يحب أن يكون الوحيد الذي يعرف الحقيقة.

يمكن أن يكون شيء آخر صغير للغاية مسؤولًا عن عودتي. شجاري الكبير مع أبي. ذكّريني أن أحكي لكِ عنه لاحقًا. انتظري، أظن أنكِ لن تذكِّريني؛ حسنًا، سأذكر نفسي. لا تنسَ هولدر أن تخبر ليز عن شجارك مع أبي.

هـ

الفصل السادس

لا يمكنني أن أصدق أنه يدعوني في أي مناسبة اجتماعية خلال الأسبوع الأول من عودتي. كنت قد أقسمت على نفسي أنني لن أكون بين هؤلاء الناس مرة أخرى، ولكن بمرور الوقت، تأقلمت وربما تغيرت الأمور. فقد مر عام كامل، وكان لدي الوقت الكافي للتأقلم، ومن الممكن أنهم أيضًا تغيروا.

أسير إلى البيت غير المألوف بضع خطوات في اتجاه دانيال، لكنني أتوقف على مسافة قصيرة من العبور خلال الباب الأمامي. من بين كل الناس من المدرسة الذين لم أرهم منذ العام الماضي، كان آخر شخص توقعت أن أواجهه هو جرايسون، لكن آخر شيء أتوقعه دائمًا ما يكون أول شيء يحدث.

لم أرَه منذ الليلة قبل موت ليز عندما تركته ينزف في غرفة المعيشة ببيت صديقته الحميمة. كان يخرج بينما أدخل، ولثوانٍ قليلة، كنا وجهًا لوجه، نحدق بعضنا في بعض. حقيقةً لم أفكر فيه كثيرًا منذ رحلت، لكن رؤيته الآن تُخرِج الكُره الذي أحمله له كله ثانية إلى السطح، كما لو أن الكره لم يغادر أبدًا.

أستطيع أن أقول من النظرة في عينيه إنه ليس لديه ما يقوله لي. أمنع خروجه، وهو يمنع دخولي، ولا أحد منا يبدو أنه يريد أن يكون الشخص الذي يتنحى جانبًا. كلتا يداي مشدودتان في قبضتين دفاعيتين، جاهزتين لأي شيء يقوله. قد يصرخ ويبصق عليَّ، ويستطيع حتى أن يعتذر لي. لا يهم، أيًّا كانت الكلمات التي ستخرج من فمه. ما أرغب فيه الآن هو ألا أسمعه يتكلم، وأن أُسكته.

يتبعني دانيال بعد لحظات، ويلاحظ المواجهة الصامتة التي تحدث بيننا. بدأ يدور حولي، يقف مواجهًا لي، حاجزًا طريقي لرؤية جرايسون. يصفع وجهي بكلتا يديه حتى تقابله عيناي، ويصرخ في وجهي: «لا وقت للحمقى، لدينا مشروبات كحولية تحتاج إلى شربها»، يمسك بكتفي ولا يزال يحجب رؤيتي لجرايسون، ويجذبني باتجاه اليمين. ومع أنني أستمر في المقاومة، لم أرغب في أن أكون أول من يتراجع عن المواجهة البصرية بيننا.

يأتي جاكسون ويضع يده على ذراع جرايسون جاذبًا إياه إلى الجهة المقابلة. ويصرخ فيه: «دعنا نذهب لنرى ما أمر سيكس وسكاي».

يومئ جرايسون، ينظر بحدة وهو يتراجع. ويجاوب جاكسون: «نعم، هذه الحفلة أصبحت لعبة قديمة».

إذا حدث هذا العام الماضي، كان سيصبح على الأرض، وركبتاي مستندتان إلى حلقه، لكنه ليس العام الماضي، وحلقه لا يستحق هذا. أبتسم ببساطة له، بينما أستمر في السماح لدانيال بجذبي بعيدًا تجاه المطبخ.

ما إن يخرج جاكسون وجرايسون من الباب الأمامي، أُطلق نفسًا مكبوتًا، وقد ارتحت من قرار مغادرتهما الحفلة بحثًا عن الفتيات المثيرات للشفقة للترفيه عنهما.

أتجهم من الخاطر الأخير، بمعرفة أنني عن غير قصد جمعت ليز مع هذه الفئة من الفتيات. لكن لحُسن الحظ، ليس عليَّ أن أقلق على الفتيات اللاتي يصطادهن جرايسون بعد ذلك. ليست ليز هنا لتنخدع به، لذا يستطيع جرايسون أن يصطاد أيَّ فتاة بائسة بما يكفي لامتلاكها.

يقول دانيال بينما يمد يديه نحوي: «اضغط شفتيك على الحافة، أمِلْ رأسك إلى الخلف، واشرب هذا، واجعل نفسك سعيدًا». لم أسأل عن مكوناته، بل أفعل ما يقوله دانيال وأشرب.

***

بعد تناول شراب آخر واثنين من البيرة، دخلنا أنا ودانيال إلى غرفة المعيشة، حيث أجلس على الأريكة، أستند بقدمي إلى مائدة القهوة، وكان دانيال إلى جانبي، يتحدث عن قائمة أصدقائنا ويخبرني عما كانوا يفعلونه السنة الفائتة... لقد نسيت كيف يجعله الكحول ثرثارًا، يصعب عليَّ مجاراته. أضع أصابعي على أنفي لأخفف الصداع، ولكني لا أعرف أحدًا في الحفلة، يقول إنهم كانوا أصدقاء الفتى الذي يعيش هنا، لكني لا أعرف حتى من يعيش هنا.

أسأل دانيال لماذا نحن هنا إذا كان لا يعرف أحدًا، وأدرك أنه لا يملك إجابة. ينظر دانيال خلفي إلى المطبخ، ويشير برأسه في ذلك الاتجاه، ويقول: «هي».

أنظر خلفي وأجد فتاتين مستندتين إلى البار، واحدة منهما تحدق مباشرةً في دانيال، وهي تقلب مشروبها بإغواء.

ـ «إذا كانت هي السبب أننا هنا، لماذا أنت لست هناك؟»

يستدير دانيال، وينظر أمامه طاويًا ذراعيه على صدره.

ـ «لا أمل يا رجل، لم نتحدث منذ انفصلنا من أسبوعين. إذا أرادت أن تعتذر لي تستطيع أن تتحرك، وتأتي إلى هنا».

أنظر إلى الفتاة مرة أخرى، وألاحظ أنها ربما لا تنظر إليَّ بإغواء كما كنت أعتقد في البداية. فالإغواء والابتسامات الخبيثة قد يفصلهما خط ضئيل، ولم أكن متأكدًا على أي جانب من الخط تقف هي الآن، وأنا أشاهد نظرتها الساخطة.

ـ «كم من الوقت واعدتها؟»

يقول بلهفة: «أشهر عدة. مدة طويلة كافية لأكتشف أنها مجنونة، وكافية لأدرك أن السبب وراء حبي لها هو أنها مجنونة». يلتقط نظري وأنا أحدق فيها، ويضيق عينيه، ويقول: «توقف عن النظر إليها يا رجل. سوف تدرك أننا نتحدث عنها».

أضحك وأنظر بعيدًا، لكن ليس بسرعة كافية لأتجنب مشاهدة الثنائي يعود من خلال الباب الأمامي. يتبع جرايسون جاكسون، وكلاهما يتجهان إلى المطبخ. أريح يدي على الأريكة، وأتمنى لو أنني أسقطت المزيد من الشراب في جوفي. أنا لا أريد حقًّا أن أكون مشغولًا بجرايسون لبقية الليلة.

يبدأ دانيال في الحديث بلا توقف مجددًا، وأنا أتوقف عن الاستماع إليه بعد أن يحكي لي عن إطاراته الجديدة للمرة الثانية في هذه الليلة. أبلي بلاءً جيدًا في البقاء داخل رأسي، حتى يتحرك جاكسون وجرايسون قريبًا من غرفة المعيشة، دون أن يدركا أنني أجلس على الأريكة، وأنني حقًّا أريد البقاء هنا. والآن، إذا صمت دانيال لفترة كافية، سأخبره بأنني جاهز للرحيل.

أسمع جرايسون يتحدث: «أنا تعبت من هذا. كل ليلة سبت الشيء نفسه. أقسم إذا لم تستسلم لي نهاية الأسبوع المقبل، فسأنهي العلاقة».

يضحك جاكسون ويقول: «أنا متأكد تمامًا أن كل ما تحتاجه سكاي هو جرعة جيدة من الرفض. البنات تحب الرفض».

لست متأكدًا من هي سكاي، لكنني أحبها وهي ترفض أن تستسلم لجرايسون، فتاة ذكية.

يقول جرايسون ضاحكًا: «أشك في أن هذا سيفرق معها. إنها عنيدة للغاية».

يوافقه في الرأي جاكسون: «نعم هي كذلك. كنا نظن من كل شيء سمعناه عنها أنها ستكون أقل صعوبة. هذه الفتاة يجب أن تكون أقذر عذراء قابلتها على الإطلاق».

يضحك جرايسون على تعليق جاكسون، وأبذل جهدًا أكبر في محاولاتي للتوقف عن الاستماع لهم. يغضبني سماع الطريقة التي يتحدثان بها عن تلك الفتاة، لأنني أعرف أنه من المحتمل أن جرايسون تحدث عن ليز بالطريقة ذاتها عندما كان يواعدها.

يستمر جرايسون في هرائه عنها، وكلما جلست هنا وسمعته، كان عليَّ أن أسمع ضحكته المثيرة للشفقة تخرج من فمه. كل هذا يجعلني أريد أن أخرسه.

أشد قدمي خارج مائدة القهوة، وأبدأ في الاستدارة من أجل أن أقول لهما تبًّا، لكن دانيال يضع يده على كتفي، ويهز رأسه. يقول مع ابتسامة شريرة: «اسمح لي». يشد ساقيه أعلى الأريكة، ويستدير مواجهًا جرايسون وجاكسون.

يقول رافعًا يده في الهواء كأنه في الفصل: «عذرًا». هو دائمًا مفعم بالحيوية، حتى عندما يعرف أنه على وشك أن يُركل، ربما أستطيع مقاومة جرايسون، لكن دانيال يعرف أنه لا يستطيع، ومع ذلك لا يبدو أن هذا يمنعه.

يستدير جرايسون وجاكسون له، لكن عيني جرايسون تتوقفان توقفًا قصيرًا بمجرد أن يرى عيني. أقابل نظرته البغيضة، بينما يحضن دانيال الوسادة التي في ظهر الأريكة، وهو يكمل حديثه لهما.

ـ «لم يسعني إلا أن أسمع محادثتكما الآن. وبقدر ما أحب أن أوافق على أن سكاي هي أقذر عذراء قابلها أي منكما، أشعر بالرغبة في أن أشير إلى أن هذه الملاحظة غير دقيقة تمامًا. أترى، بعد أن قضيت معها الليلة الماضية، لا يمكن عدها حقًّا عذراء لأكثر من هذا. لذا، ربما ليست عذريتها ما تحاول أن تتمسك بها برفضك جرايسون، من المرجح أنها كرامتها».

في بضع ثوانٍ فقط كان جرايسون على ظهر الأريكة، ويثبت دانيال على الأرض. أعطي دانيال عشر ثوانٍ ليقلب الوضع قبل أن أتدخل، وأشعر ببعض الإحباط لعدم ثقتي في قدرات دانيال، خاصة بعد أن ينقلب جرايسون على ظهره في أقل من خمس ثوانٍ، ويبدو أن دانيال كان يتدرب عندما لم أكن هنا.

أقف ببطء عندما أرى جاكسون يتخذ طريقه أمام الأريكة ليساند جرايسون، يمسك بكتف دانيال ليبعده عن جرايسون، لكنني أمسك بقميص جاكسون من الخلف، وأشده حتى يجلس على الأريكة. أقترب أكثر بمجرد أن يلكم جرايسون فك دانيال، لكنني أمسك بذراع دانيال، وأشده قبل أن يتمكن من الرد.

على مدى السنوات، أصبحت هذه لعبة دانيال. يحث الناس على المشاجرة، معتمدًا على أنني سأتدخل وأضع نهاية للمشاجرات قبل أن ينالوا منه. لسوء الحظ، بسبب أنني دائمًا أظهر في الخلفية خلال هذه الأحداث، أصبح اسمي مرتبطًا بكل المشاجرات، وعدوانية طباع دانيال. ومع ذلك، في الحقيقة، لقد ضربت فقط ثلاثة أشخاص:

1.الأحمق الذي تحدث بالهراء عن ليز.

2.جرايسون.

3.أبي.

وأندم فقط على الأخير.

يندفع الناس من الباب الأمامي ليلقوا نظرة على ما يحدث، لكنهم جميعًا يحبطون، لأنني أدفع دانيال خارج البيت قبل أن يفعل أو يتفوه بشيء آخر. آخر شيء أريده الآن هو أن أجد عذرا لأضرب جرايسون. لقد عدت منذ أقل من أسبوع، ومتأكد للغاية أنني لا أريد أن أمنح أمي سببًا آخر لتجبرني على العودة إلى أوستن.

عندما نصل إلى سيارته، يمسح دانيال الدم من شفتيه، وما زلتُ أمسك بذراعه. يحرر ذراعه ويمسك بأسفل قميصه رافعًا إياه حتى فمه. يقول وهو يرفع القميص مجددًا ليتحقق من وجود الدم: «اللعنة، لماذا أصر على استفزاز السخافات التي تتسبب في إصابة وجهي الجميل؟». يبتسم ويمسح الدم من على فمه مرة أخرى.

أضحك على اهتمامه الدائم بمظهره، وأقول بضحكة: «لا تقلق. لا يمكن لأحد أن يكون أوسم منك».

يبتسم دانيال، ويقول مغتاظًا: «شكرًا حبيبي».

أحدهم يسير خلف دانيال، وفي ثانية أحكم قبضتي، معتقدًا أنه ربما يكون جرايسون. أسترخي عندما أجدها فقط الفتاة التي كان يشير إليها، والتي كانت تحدق فيه من المطبخ في

وقت مبكر. لا أعرف لماذا أسترخي رغم ذلك، لأن هذه الفتاة لديها نظرة محددة قاتلة. ما زال يمسح دانيال الدم من فمه، بينما تسير إلى جواره.

ـ «من سكاي حقًّا؟»

يحول دانيال رأسه تجاهها، وعيناه تتسعان من الدهشة.

ـ «عن ماذا تتكلمين حقًّا فال؟»

تلتفت عيناها، وترفع يدها مشيرةً إلى البيت.

ـ «سمعتك هناك تقول لجرايسون إنك قضيت معها ليلة أمس!»

يحدق دانيال بالمنزل، ثم بفال، وفجأة يكتشف. يقول دانيال وهو يسير تجاهها ممسكًا بيديها: «لا، فال. كان يتحدث بالهراء، وقد حاولت فقط أن أضايقه. لا أعرف حتى الفتاة التي يتحدث عنها. أقسم لكِ».

تسير بعيدًا عنه، ويتبعها متوسلًا إليها أن تسمعه. أقرر الآن أن أتجه إلى البيت، لأنه وقت جيد. أتيت مع دانيال، لكن يبدو أنه سيكون مشغولًا لبعض الوقت. أنا فقط على بُعد أربعة أميال من بيتي، لذا أراسله وأخبره أنني متجه إلى البيت، ثم أبدأ بالسير في هذا الاتجاه.

هذه الليلة بأكملها ذكرتني بكل الأشياء التي لا أريد أن أكون حولها. الدراما والتيستوستيرون، وجرايسون، وكل شيء عن المدرسة الثانوية في العموم. من المفترض أن أملأ ورقة نقلي يوم الاثنين، لكن لا أعرف إن كنت حقًّا أريد أن أعود. أعرف أن هناك طرقًا يمكنني أن اخْتَبَر بها، دون أن أحضر. لكن ليست هناك طريقة حقًّا تجعل أمي تسمح بذلك.

الفصل السادس ونصف

ليز،

حسنًا، ها نحن.

في الأسبوع الماضي، زوجة أبيكِ العزيزة باميلا دخلت علينا أنا وفتاة. لم تكن أي فتاة. اسمها ماكينا، وقد خرجت معها مرات عدة. كانت ظريفة، لكنه لم يكن شيئًا جادًا، وهذا كل ما يمكن أن أصف به الأمر. لكن على أي حال، عادت باميلا مبكرًا إلى البيت، وكنت وماكينا نوعًا ما في وضع مخل على أريكة غرفة المعيشة. هل تتذكرين الأريكة التي أبقتها باميلا ملفوفة بالبلاستيك لمدة ثلاث سنوات، لأنها كانت خائفة من أن تتسخ؟

نعم، لم يكن أمرًا جميلًا، خاصة منذ أن اتخذنا أنا وماكينا طريقنا إلى غرفة المعيشة بعد أن ترك حمام السباحة أثره في ثيابنا، وعلى المدخل، وعلى الأريكة. لذا ليس الأمر فقط أننا كنا عاريين تمامًا، لكن كان عليَّ أن أسير إلى المدخل وأعود إلى الخارج لأجد سروالي القصير وثياب ماكينا. كانت باميلا تصرخ طوال طريقي إلى الخارج، وطوال طريقي للعودة إلى البيت، وطوال طريقي إلى سيارة ماكينا.

أحرج هذا ماكينا وجعلها نوعًا ما تنهي علاقتنا بعد هذا. لكن هذا جيد، لأن لدي هذا الوشم الجميل الآن، الذي يقول «ميؤوس منه» (تتذكرين الاسم الحركي الذي منحته لكِ ولهوب؟)، وهو يذكرني بألا أقترب جدًّا من أحد، حتى لا أسمح لنفسي بأن أطوِّر أي مشاعر حقيقية لها. كان الأمر حقًّا حول المتعة فقط.

لا أصدق أنني قلت هذا للتو لأختي. آسف.

على أي حال، كما يمكن أن تتوقعي، كان أبي حانقًا عندما عاد إلى البيت. لديه قاعدة واحدة في بيته، وهي:

لا تغضب باميلا.

لقد كسرت القاعدة بشدة.

في الواقع، حاول أن يعاقبني، وربما ضحكت قليلًا عندما قال ذلك. لم أحاول أن أكون غير محترم، لأنه كما تعلمين، رغم أنه خيب أملي مرات عدة في السنوات الماضية، ما زلت أحترمه صراحة. ولكن، حقيقة أنه حاول أن يعاقبني بعد أربعة أيام من إتمامي الثامنة عشرة، ضربت وترًا مضحكًا.

لم يجد شيئًا ظريفًا على الإطلاق؛ وغضب وبدأ بالصراخ فيّ، يدعوني بعديم الاحترام والجاحد، أفقدني هذا أعصابي بسبب ما به من سخف يا ليز. أنا في الثامنة عشرة، أنا شاب، والشباب يفعلون هذه الأشياء مثل مضاجعة الفتيات في بيوت أهاليهم عندما

يكونون في الثامنة عشرة. لكن، لو أنه لم يتعامل معي كأنني قتلت أحدهم. لقد أغضبني، وربما أكون فقدت أعصابي.

لكن هذا ليس الجزء السيئ، فالجزء السيئ حدث بعد أن صرخت في وجهه في المقابل وتهجم عليَّ. في الحقيقة لديه الجرأة ليتهجم عليَّ، ليس لأنه أكبر مني، لكن لأنني ما زلت ابنه، وتهجم عليَّ، كما لو أنه أراد أن يتشاجر معي.

لذا ماذا فعلت؟

ضربته.

لم أضربه بقوة شديدة، لكنه كان كافيًا ليؤلمه في المكان الأكثر حساسية؛ في كبريائه.

لم يضربني، ولم يصرخ فيّ. رفع يده لفكه، ونظر إليَّ كأنني خيبت أمله، ثم استدار وسار بعيدًا. وغادرت بعدها بساعة، وقد توجهت بالسيارة إلى البيت، ولم نتحدث منذ ذلك الحين.

أدرك أنه كان ينبغي لي أن أتصل به وأعتذر، ولكن هل لاحظت كيف بدأ هو بالتهجم عليَّ؟ ولو قليلاً؟ ما نوع الأب الذي يفعل هذا مع ابنه؟

لكن أيضًا أي نوع من الأبناء الذي يفعل هذا مع أبيه؟

يا إلهي ليز. أشعر بالسخافة. لم يكن عليَّ أن أفعل هذا، وأعرف أن عليَّ الاتصال به، لكن، لا أعرف. تبًّا.

على حد علمي، فهو لم يخبر أمي بما حدث، لأنها لم تذكره على الإطلاق. تفاجأت برؤيتي عائدًا، عندما دخلت من الباب الأمامي منذ أيام عدة. كانت سعيدة، ولكنها كانت متفاجئة. لم تسأل عن سبب عودتي، لذا لم أتبرع بالمعلومة، وهي تبدو مختلفة الآن. ما زلت أستطيع أن أرى وجع القلب في عينيها، لكنه ليس واضحًا كما كان، حين غادرت العام الماضي. هي تبتسم الآن، وهذا جيد.

لن تدوم سعادتها طويلًا، إذ إنه يوم الاثنين وقد بدأت المدرسة اليوم، وهو اليوم الأول في السنة الدراسية الأخيرة. ذهبتُ إلى العمل قبل أن أستيقظ، لأن لدي منبهًا، وكل شيء جاهز. ذهبت إلى المدرسة ومارست تماريني، لكن كل ما أستطيع التفكير فيه، بينما أجري في المضمار، هو كم أنا غير راغب في البقاء هنا. لا أريد أن أبقى هناك دونك، ولا أريد أن أواجه كل شيء أكرهه في المدرسة وأغلب الموجودين بها.

عندما انتهيت من الركض، ذهبت إلى موقف السيارات وركبت سيارتي وقدتها إلى المنزل وعدت إلى النوم. الآن الساعة الثالثة بعد الظهر تقريبًا، وستعود أمي إلى المنزل خلال ساعتين. أنا على وشك الذهاب إلى متجر البقالة لشراء بعض المواد الغذائية، لأنني أريد أن أطبخ لها الغداء اليوم.

أخطط لإخبارها عن تسرّبي من المدرسة، وأعلم أنها لن تكون سعيدة بأنني أجريت اختباراتي عبر الإنترنت بدلًا من الحصول على دبلومة تقليدية، لذا وضعت «الكوكيز» في قائمة مشترياتي أيضًا، لأنني أعلم أن النساء تحب «الكوكيز»، أليس كذلك؟

لا أصدق أنني لن أعود إلى المدرسة، لم أتصور أبدًا أن يصل الأمر إلى ذلك، وألومك على هذا أيضًا.

هـ.

الفصل السابع

يسأل الكاشير: «حسنًا، هذا كل ما تحتاجه اليوم؟».

أمر بذهني على الأغراض، منتهيًا بالكوكيز، أقول وأنا أشد محفظتي من جيبي لأحاسب الكاشير: «نعم». أنا فقط مسترخٍ، لأنني دخلت وخرجت دون أن أرى أحدًا أعرفه.

ـ «أهلًا هولدر».

لقد سبقت الأحداث.

أنظر إلى الأعلى لأرى الكاشير التي تعمل على الصف المجاور لي تحدق بي. هي عمليًّا تقدم نفسها على طبق بالطريقة التي تنظر لي بها. أيًّا كانت هذه الفتاة، فإن تعبيراتها تسترعي الانتباه. أشعر بشيء من السوء حيالها، خاصة بالطريقة التي تغير بها صوتها لهذه النبرة العالية المزعجة. لماذا تظن الفتيات أن التحدث مثل الأطفال الرضع شيء مثير؟ أنظر إلى الأسفل على بطاقة اسمها، لأنني لا أستطيع تذكر أين رأيت وجهها في حياتي.

ـ «أهلًا... شايلا».

أمنحها إيماءة سريعة، ثم أعود للنظر إلى الكاشير أمامي، آملًا أن يكون رد فعلي المتحفظ كافيًا ليجعلها تعرف أنني لست في مزاج يسمح بتغذية غرورها.

تقول بغضب: «إنها شاينا».

أووو.

أنظر إلى بطاقة اسمها مرة أخرى، محبطًا لأنني أعطيتها سببًا آخر للحديث. لكن بطاقة اسمها تقول بوضوح شايلا، وأشعر الآن بالتعاطف معها. أقول لها: «آسف، لكن هل تدركين أن بطاقة اسمك تقول شايلا؟».

تقلب فورًا بطاقة الاسم لأعلى، وهي عابسة متجهمة. أتمنى أن يكون هذا محرجًا بقدر كافٍ حتى لا تنظر إليَّ مرة أخرى، لكن ذلك حتى لم يزعجها.

تسألني: «متى عدت؟».

لا أعرف من هي هذه الفتاة، لكنها تعرفني بطريقة ما. ليست فقط تعرفني، لكنها تعرف أنه كان عليَّ أن أرحل حتى أعود. أتنهد، غاضبًا من أنني ما زلت أقلل من شأن ميل الجميع للنميمة.

أقول دون مزيد من الشرح: «الأسبوع الماضي».

تسأل: «إذًا هل سيسمحون لك بأن تعود إلى المدرسة؟».

ماذا عن جزء «يسمحون» في السؤال؟ منذ متى وأنا غير مسموح لي بالعودة إلى المدرسة؟ ربما يتعلق هذا بنوع من الشائعات.

"لا يهم. لن أعود".

لم أقرر حقًّا إذا كنت سألتحق غدًا، بما أنني فشلت أن أفعل هذا اليوم. إنه يعتمد فعلًا على محادثتي مع أمي الليلة، لكن يبدو أن الأسهل أن تمنح الناس ما يريدونه، الذي سيكون المزيد من الوقود للنميمة. بجانب أنني إذا بددت كل شيء قاله عني الجميع في العام الماضي، سوف أتركهم بدون من ينشرون الشائعات حوله.

يقول الكاشير بهدوء وهو يشد البطاقة الائتمانية من يدي: «أنت بغيض يا رجل. لقد تراهنا على كم ستحتاج من الوقت حتى تدرك أن ببطاقة اسمها خطأ إملائيًّا. إنها ترتديها منذ شهرين، وقد كان رهاني على ثلاثة. لقد أفقدتني للتو عشرين دولارًا».

أضحك، وهو يعيد إليَّ بطاقتي الائتمانية وأضعها في محفظتي. أقول: «إنه خطأي». أسحب من المحفظة عشرين دولارًا، وأخرجها له.

ـ «خذ هذه، لأنني متأكد أنك كنت ستكسب».

يهز رأسه رافضًا أن يأخذ العشرين دولارًا.

أعيد النقود إلى محفظتي، عندما ألاحظ بطرف عيني أحدهم بجوار صف الخروج التالي. استدارت الفتاة كليًّا وهي تحدق بي أكثر، فمن المحتمل أنها تحاول أن تلفت انتباهي بطريقة شاينا أو شايلا. أتمنى ألا تبدأ هذه الفتاة بالحديث مثل صوت الرضع.

أرمقها بنظرة سريعة. أريد حقًّا أن أتجنب التحديق فيها، لكن عندما يحدق بك الناس، من الصعب ألا تلتقي أعينكم، حتى لو لثانية، لكن في الثانية التي التقت أعيننا بها، تجمدت.

لا أستطيع النظر بعيدًا الآن، حتى رغم محاولتي المستميتة في هز الصورة التي تقف أمامي. قلبي يتوقف.

الوقت يتوقف.

العالم كله يتوقف.

تتحول نظرتي السريعة، وتبدأ في التحديق بغير قصد.

أتعرف إلى هاتين العينين.

إنهما عينا هوب.

إنه أنفها، فمها، شفتاها، شعرها. كل شيء عن هذه الفتاة هو هوب. من بين كل المرات الماضية التي اعتقدت فيها أنني رصدتها وأنا أرمق الفتيات في مثل سني، لم أكن متأكدًا أكثر مما أنا متأكد الآن. أنا متأكد تمامًا للغاية حتى إنني فقدت قدرتي على الكلام. لا أعتقد أنني سأقول اسمها، حتى لو أنها ترجتني لأفعل.

تدور الكثير من المشاعر داخلي الآن، ولا أستطيع أن أقول إن كنت غاضبًا أم مبتهجًا أم مرعوبا رعبًا قاتلًا.

هل تعرفتْ إليَّ أيضًا؟

ما زلنا نحدق بعضنا ببعض، ولا أستطيع التوقف عن التساؤل عما إذا كنت أبدو مألوفًا لها. إنها لا تبتسم، وأتمنى لو أنها تبتسم لأنني أستطيع التعرف إلى ابتسامة هوب في أي مكان.

تخفض ذقنها وتشيح بعينيها، وبسرعة تستدير لتواجه الكاشير مرة أخرى. من الواضح أنها مضطربة، لكن ليس بالطريقة نفسها التي أميل لأن أترك بها الفتيات مثل شاينا أو شايلا مضطربات. إنه رد فعل مختلف تمامًا، ما ضاعف فضولي لمعرفة إن كانت فقط تذكرتني.

تندفع كلمة «أهلًا» بصوت عالٍ، لا إراديًّا من فمي، وألاحظ أنها تجفل عندما أتكلم. إنها تستعجل الكاشير في هذه اللحظة، ممسكة بأكياسها بجنون. يبدو على الأغلب أنها تحاول الهرب مني.

لماذا تحاول أن تهرب مني؟ إذا كانت فقط لم تعرفني... لماذا يبدو عليها الانزعاج؟ وإذا كانت عرفتني، لماذا لا تبدو سعيدة؟

تغادر المتجر في عجلة، لذا أمسك بأكياسي، وأترك الإيصال مع الكاشير. يجب أن أخرج قبل أن ترحل بعيدًا. لن أدعها تذهب مرة أخرى. أتوجه مباشرة إلى المخرج، وأمر في موقف

السيارات حتى أرصدها. لحسن الحظ ما زالت تضع أشياءها في المقعد الخلفي. أتوقف قبل أن أسير خلفها، آملًا ألا أبدو مختلًّا، لأن هذا تمامًا ما أشعر به الآن.

هي على وشك أن تغلق بابها، لذا أقترب خطوات عدة.

لم أعتقد أبدًا أنني كنت من قبل خائفًا جدًّا من أن أتكلم.

ماذا أقول؟ ماذا أقول حقًّا؟

لقد تخيلت هذه اللحظة لثلاثة عشر عامًا، ولم تكن لدي أي فكرة كيف سأصل إليها.

ـ «أهلًا».

ماذا؟! أهلًا؟ هولدر، يا إلهي. إنك لطيف حقًّا.

تجمدت في منتصف الحركة، وبالاستناد إلى طريقة رفع كتفيها، يمكنني ملاحظة أنها تأخذ نفسا عميقًا لتهدئة نفسها. هل تحاول التهدئة بسببي؟ يدق قلبي بسرعة فائقة، وأشعر بالأدرينالين يتدفق بقوة في جسدي، لأن ثلاثة عشر عامًا تستحق ذلك.

لقد بحثت عنها لمدة ثلاثة عشر عامًا، وأخيرًا وجدتها حية، وهي في المدينة نفسها التي أعيش بها. يفترض أن أكون سعيدًا لكنني لا أستطيع التوقف عن التفكير في كيفية قضاء ليز كل يوم في البحث عن هوب. هل كانت تتمنى أن نجدها؟ الآن أنا محتار، إذا كانت هذه الفتاة حقا هوب، فسأكون محطمًا، لأنها ظهرت متأخرة بثلاثة عشر شهرًا.

حسنًا، ربما ليس محطمًا. لقد نسيت أن هذه الكلمة محجوزة، لكنني سأكون غاضبًا للغاية.

إنها أمامي الآن، وتنظر إليّ، وهذا يقتلني، لأنني أريد أن أمسك بها وأحضنها، وأقول لها كم أنا آسف لأنني أفسدت حياتها، لكنني لا أستطيع أن أفعل أيًّا من هذه الأشياء، لأنها تنظر إليَّ نظرة من يجهل من أنا. أنا فقط أريد أن أصرخ: «هوب. أنا دين».

أُمسك بعنقي من الخلف، وأحاول التعامل مع هذا الوضع عامة. لم تكن هذه الطريقة التي تخيلتها لإيجادها. ربما كنت قد تخيلتها وبالغت في أهميتها كل هذه السنوات، لكني اعتقدت أن استعادتها ستكون أكثر من لحظة فائقة. ظننت أنها ستكون مليئة بالدموع والمشاعر، وأنها لن تظهر كأنها... منزعجة؟

لا تبدو النظرة على وجهها الآن اهتمامًا على أقل تقدير. تبدو مرعوبة، ربما لم تتعرف إلي. ربما تبدو مضطربةً من الداخل بسبب الطريقة الحمقاء التي كنت أحدق فيها بها. ربما تبدو

مرعوبة الآن، لأنني طاردتها عمليًّا دون أن أمنحها أي شرح. أقف فقط هنا مترصدًا غريب الأطوار، ولا أدري كيف أسألها، حتى إذا كانت الفتاة التي فقدتها كل هذه السنوات.

تنظر إليَّ بحذر من أعلى إلى أسفل. أمد يدي آملًا أن أخفف من خوفها بمقدمة: «أنا هولدر».

تنظر إلى يدي الممدودة، وبدلًا من أن تقبل مصافحتي، تأخذ خطوة بعيدة عني.

تقول بحدة، وهي تحدق بحذر في وجهي: «ماذا تريد؟».

ليس هذا رد الفعل الذي توقعته.

لا أريد أن أبدو أني تفاجأت. لكن هذا لا يسير في الاتجاه الذي تمنيت أن يسير فيه. لا أعرف ما الاتجاه في هذه اللحظة. أبدأ في الشك في صحتي العقلية. أرمق سيارتي في موقف السيارات، وأتمنى لو أنني فقط استمررت في السير، لكنني أعرف أنني لو فعلت ذلك، فسوف أندم على عدم مواجهتها.

أحذر وأعيد بصري إليها: «هذا قد يبدو غبيًّا، لكنكِ تبدين حقًّا مألوفة. هل تمانعين إذا سألتك ما اسمكِ؟».

تطلق زفيرًا وتتحول عيناها، تتوجه نحو باب سيارتها وتأخذ تمسك مقبضه. تقول بسرعة: «لدي صديق». تستدير، وتفتح الباب، ثم تصعد إلى السيارة بسرعة. تحاول جذب الباب لتغلقه، لكنني أمسك به بيدي.

لن أدعها ترحل قبل أن أتأكد أنها ليست هوب، ولم أكن متأكدًا من أي شيء في حياتي من قبل، ولن أكون على مقربةٍ من أن أدع ثلاثة عشر عامًا من الشعور بالذنب والاستحواذ، وتحليل اختفائها، تضيع فقط لأنني خائف من أنني قد أضايقها.

ـ «اسمكِ. هذا كل ما أريده».

تحدق في يدي التي تمسك الباب مفتوحًا. تقول وهي تجز على أسنانها: «هل تسمح لي؟». عيناها تستقران على الوشم الذي على ذراعي والأدرينالين يرتفع، وهي تقرأه، أتمنى أن يضيء لها بعض الشيء فتتعرف إليَّ من جانبها. إذا كانت لا تتذكر وجهي، فسوف تتذكر الاسم الحركي الذي أعطيته لها ولليز.

لم يظهر حتى أدنى شعور في عينيها.

تحاول أن تجذب الباب مرة أخرى لتغلقه، لكنني أرفض أن أتركه حتى أحصل على ما أريده منها.

ـ «اسمكِ أرجوكِ».

عندما أقول أرجوكِ هذه المرة، تسترخي قسماتها قليلًا، وتعيد النظر إليَّ. لم يكن الأمر كذلك قبل أن تنظر إليَّ بهذه الطريقة، دون كل الغضب، حينها أدرك لماذا أنا مضطرب للغاية. والسبب هو أنني أهتم بهذه الفتاة أكثر من أي فتاة أخرى في العالم ليست ليز. أحببت هوب كأخت عندما كنا صغارًا، ورؤيتها مرة أخرى أعادت كل المشاعر نفسها. إنها تجعل يدي ترتجفان وقلبي يدق وصدري يؤلمني، لأن كل ما أريده هو أن ألف ذراعي حولها، وأشكر الله لأننا أخيرًا وجدنا بعضنا بعضًا.

لكن يتوقف صرير كل هذه المشاعر، عندما خرجت من فمها الإجابة الخطأ. تقول بهدوء: «سكاي».

أقول بصوت عالٍ حتى أشعرها: «سكاي»، لأنها ليست سكاي. إنها هوب، ولا يمكن إلا أن تكون هوب.

سكاي

سكاي، سكاي، سكاي

إنها لم تقل هوب، لكن اسم سكاي ما زال مألوفًا بشكل مخيف. ما المهم في هذا الاسم؟

يصدمني إدراكي.

إنها الفتاة التي كان يشير إليها جرايسون ليلة السبت.

أسألها: «هل أنت متأكدة؟»، آملًا في معجزة أن تكون حمقاء مثل شاينا، وأعطتني الاسم الخطأ. إذا كانت حقًّا ليست هوب، سأتفهم حينها رد فعلها على سلوكي الذي يبدو غبيًّا.

تتنهد وتشد بطاقة هويتها من جيبها الخلفي. تقول، وهي تظهر رخصة قيادتها أمامي: «متأكدة أنني أعرف اسمي».

آخذها منها.

ليندن سكاي دافيس.

موجة إحباط تلفني وتبتلعني، وتغرقني. أشعر أنني أفقدها مرة أخرى.

أقول وأنا أتراجع عن سيارتها: «آسف، إنه خطأي».

تشاهدني، بينما أبتعد أكثر من ذلك، حتى تستطيع أن تغلق بابها. تبدو بطريقة ما محبطة. لا أريد حتى أن أفكر في أي نوع من التعبير تراه على وجهي الآن. أنا متأكد أنه مزيج من الغضب، الإحباط، الحرج... لكن الأكثر من ذلك، الخوف. أشاهدها وهي تقود بعيدًا، وأشعر كأنني فقط تركت هوب تذهب مجددًا.

أعرف أنها ليست هوب، وأثبتت أنها ليست هوب. لذا لماذا يخبرني حدسي أن أوقفها؟

أصرخ: «سحقًّا».

وأنا أمرر يدي في شعري، أنا عابث حقًا، لا أتمكن من تجاوز هوب، ولا أتمكن من تجاوز ليز. يصبح الأمر أسوأ حتى إنني أطارد بنات عشوائيات في موقف سيارات متجر البقالة الملعون؟

أستدير وأضرب بقبضتي سيارة كانت متوقفة بجواري، وأشعر بالغضب من نفسي، لأنني كنت أعتقد أنني أخيرًا حصلت على كل شيء. ولكن الحقيقة هي أنني لم أحصل على أي شيء.

***

لم أكن حتى غادرت سيارتي تمامًا قبل أن أفتح موقع التواصل «فيسبوك» على هاتفي. أدخل اسم سكاي، ولا تظهر أي نتيجة. أفتح الباب الأمامي، وأتجه مباشرةً أعلى الدرج لأحصل على الحاسوب.

لن أدع هذا يهدأ، وإذا لم أقنع نفسي بأنها ليست هوب، سوف أقود نفسي إلى الجنون. أفتح الحاسوب، وأدخل بياناتها مرة أخرى، لكنني أعود فارغًا. أبحث في كل موقع أفكر فيه لأكثر من نصف ساعة، لكن اسمها لا يعود بأي نتائج. أحاول البحث بعيد ميلادها، لكنني أعود فارغًا مجددًا.

أكتب بيانات هوب، وفجأة تظهر ليَّ شاشة ممتلئة بالمقالات الإخبارية وعوائدها. لكنني لست بحاجة لرؤيتها. لقد قضيت السنوات الماضية في قراءة كل مقال، وكل دليل ذكر اختفاء هوب، أحفظها بقلبي، وفي النهاية أغلق الحاسوب.

أحتاج إلى أن أركض.

الفصل الثامن

ليست لدي ذكريات واضحة لسمات مميزة لها، رأيت فقط فتاة بشعر بني وعينين بنيتين، ولكن شعرت أنها الفتاة نفسها التي رأيتها منذ ثلاثة عشر عامًا، من المحتمل جدًا أن لدي هوسا.

هل أنا مهووس؟ هل أنا بطريقة ما أشعر كما لو أنني لن أتمكن من تجاوز موت ليز، إذا لم أصحح على الأقل أحد الأشياء التي أفسدتها في حياتي؟

أصبح سخيفًا، فيجب عليَّ أن أدعها تمر، ويجب أن أمرر حقيقة أنني لن أستعيد ليز أبدًا، ولن أجد هوب أبدًا.

تظل الأفكار نفسها معي خلال ركضي مسافة ميلينِ. يخف الثقل في صدري قليلًا مع كل خطوة آخذها. أذكر نفسي مع كل خطوة أن سكاي هي سكاي، وهوب هي هوب، وليز ميتة، وأنني الوحيد الباقي، ويجب أن أتعامل مع هرائي.

يساعدني الركض في تخفيف بعض التوتر الذي تسببت فيه واقعة متجر البقالة. أقنعت نفسي أن سكاي ليست هوب، لكن لسبب ما برغم أنني غالبًا متأكد أنها ليست هوب، لا أزال أجد نفسي أفكر في سكاي. لا أستطيع أن أخرجها من رأسي، وأتساءل إذا كان هذا خطأ جرايسون، وإذا لم أسمعه يتحدث عنها في الحفلة في تلك الليلة، على الأغلب كنت سأتجاوز واقعة متجر البقالة بسرعة تمامًا، ولم أكن لأفكر بها على الإطلاق.

لكنني لا أستطيع إيقاف الرغبة الملحة في حمايتها. أعرف جرايسون، وبطريقة ما أريد فقط رؤية هذه الفتاة لدقائق قليلة، أعرف أنها لا تستحق ما هي على وشك أن تلقي بنفسها فيه. لا توجد فتاة واحدة في العالم تستحق نوع جرايسون من الفتيان.

قالت سكاي في المتجر إن لديها صديقًا حميمًا، واحتمالية أنها ربما تعدُّ جرايسون صديقها الحميم استفزتني. لا أعرف لماذا، لكنه حدث. مجرد التفكير أنها هوب حتى لو لدقائق معدودة، جعلني أشعر بأنني مسؤول عنها.

أتفاجأ برؤيتها، وهي تقف أمام بيتي، الآن بالذات. لماذا بالتحديد هنا؟

إنها هنا. حقًّا! لماذا هي هنا؟

أتوقف عن الركض، وأضع يدي على ركبتي، أبقي عيني متعلقتين بظهرها، مراقبًا حركاتها، بينما ألتقط نفسي. لماذا تقف حقًّا أمام منزلي؟

إنها على حافة طريق ممر سيارتي الخاص، مستندة إلى صندوق بريدي. استنزفت آخر نقطة في زجاجة مياهها، وتهزها الآن فوق فمها، محاولة أن تخرج منها المزيد من المياه، لكنها فارغة تمامًا. عندما تدرك هذا، تسقط كتفيها، وتميل بوجهها ناحية السماء.

من الواضح من هاتين الساقين أنها عداءة.

يا إلهي، لا أستطيع التنفس.

أحاول تذكر كل شيء في رخصة قيادتها، وكل ما قاله عنها جرايسون ليلة السبت، لأنني فجأة أريد أن أعرف كل شيء يُمكِّنني من أن أعرفها. وليس لأنني أظن أنها هوب، لكن بسبب أيا كانت من هي، فإنها جميلة للغاية. لا أعرف كيف لم أنتبه حتى كم هي جذابة في المتجر، لأن عقلي لم يكن حاضرًا. لكن الآن، برؤيتها أمامي، عقلي متورط جدًّا.

تأخذ نفسًا عميقًا، ثم تبدأ في السير، وأسرع فورًا وأتبعها.

ـ «مرحبًا، أنتِ».

تتوقف على صوتي، كتفاها يتوتران فورًا، وتستدير ببطء، لا أستطيع إلا أن أبتسم على التعبيرات الحذرة المتناثرة على وجهها.

ترد: «أهلًا»، مصدومة من رؤيتي أمامها. في الحقيقة تبدو مرتاحةً أكثر هذه المرة. ليست مرعوبة مني، كما كانت في موقف السيارات، وهذا جيد. عيناها تسقطان ببطء وصولًا إلى صدري، ثم إلى سروالي. تنظر خلفي لحظات، ثم تحول نظرتها إلى قدميها.

أستند بإهمال إلى صندوق البريد، وأتظاهر بتجاهل حقيقة أنها فحصتني كليًّا للتو. سأتجاهل ما حدث لأجنبها الحرج، لكنني قطعًا لن أنساه. في الحقيقة، على الأغلب سأفكر في الطريقة التي مرت بها عيناها على جسدي لبقية اليوم.

أسأل: «أتركضين؟». إنه غالبًا أكثر سؤال وضوحًا في العالم الآن، لكنني خارج هذا الموضوع.

تومئ، ولا تزال تتنفس بصعوبة من جراء تأثير تدريباتها. تؤكد: «أركض عادة في الصباح. نسيت كم هو حار في الظهيرة».

ترفع يدها فوق عينيها لتحميهما من الشمس، بينما تنظر إليَّ. بشرتها متوهجة وشفتاها جافتان. أمد لها زجاجة مياهي، فتجفل مرة أخرى. أحاول ألا أضحك، لكنني أشعر بكم هو مثير للشفقة أنني أفزعتها بشدة في المتجر، فهي خائفة من أنني حقًّا قد أفعل شيئًا لأؤذيها.

أعطيتها زجاجة المياه وقلت: «تفضلي، اشربي هذه. تبدين متعبة».

تمسك بالمياه بثقة، وتضغط شفتيها على الحافة، ما تسبب في سقوط بضع قطرات، تشكرتني، وتضع يدها فوق شفتها العليا لمسح الماء، وتنظر خلفها قائلةً: «حسنًا، لدي ميل ونصف الميل أخرى للعودة، لذلك من الأفضل أن أبدأ».

أقول: «أقرب إلى ميلينِ ونصف»، مُحاولًا ألا أحدق بها، لكن الأمر صعب جدًّا بهذه الملابس القليلة وكل منحنى من فمها وعنقها وكتفيها وصدرها وبطنها يبدو وكأنها مصنوعة من أجلي. إذا كان عليَّ أن أطلب مسبقًا الفتاة المثالية، لن أقترب حتى من النسخة الواقفة أمامي الآن.

أضغط زجاجة الماء لفمي، لعلمي أنها على الأرجح أكثر ما اقترب من شفتيها. لا أستطيع حتى أن أبعد عيني عنها لمدة تكفي لأن أشرب.

تقول وهي تهز رأسها: «ها؟». تبدو مضطربة. يا إلهي، أرجوك اجعلها مضطربة.

«أظن أن المسافة أقرب إلى ميلين ونصف. أنت تعيشين في كونر، إنها أبعد من ميلين على أي حال. إنها على الأغلب رحلة ركض لخمسة أميال». لا أعرف فتيات كثيرات يركضن، ناهيك من امتداد خمسة أميال.

عيناها تضيقان، وتسحب ذراعيها لفوق وتعقدهما على بطنها.

ـ تعرف في أي شارع أسكن؟

ـ نعم.

ما زالت نظرتها فاترة ومركزة عليَّ، وهي هادئة. عيناها تضيقان قليلًا، ويبدو كما لو أنها أصبحت غاضبةً من استمراري في الصمت.

ـ ليندن سكاي دافيز، مواليد 29 سبتمبر، 1455 شارع ونرو. خمس أقدام، ثلاثة إنشات. متبرعة.

بمجرد أن تخرج كلمة «متبرعة» من فمي، تعود خطوة إلى الوراء في الحال، تتحول نظرتها المنزعجة إلى خليط من الصدمة والرعب. أقول بسرعة: «بطاقتك الشخصية»، موضحًا لماذا أعرف الكثير عنها.

ـ «عرضتِ عليَّ بطاقتك الشخصية في المتجر سابقًا، هل تذكرين؟»

تقول مدافعة: «نظرت إليها ثانيتين».

أهز كتفي، وأقول: «لدي ذاكرة جيدة».

ـ «أنت تترصدني».

أضحك، ثم أقول: «أنا أترصدكِ؟ أنتِ مَن تقفين أمام بيتي». أشير خلفي إلى بيتي، ثم أضغط بأصابعي على صندوق البريد، لأريها أنها المتعدية، ولست أنا.

عيناها تتسعان في خجل، بينما تفاجأت بالبيت خلفي. وجهها يزداد احمرارًا مع إدراك كيف تبدي لها أنها تقف عشوائيًّا أمام بيتي. تقول بسرعة: «حسنًا، شكرًا على المياه». تلوح لي، وتستدير لتقتحم الطريق بخطوتها.

أناديها: «انتظري لحظة». أركض متجاوزًا إياها، وأستدير، مُحاولًا التفكير في عذرٍ لها حتى لا ترحل الآن.

ـ «دعيني أعيد ملء زجاجتكِ بالمياه».

أصل إليها وأمسك بالزجاجة، وأقول: «سأعود». أنطلق تجاه البيت، آملًا في أن أمنح نفسي مزيدا من الوقت معها. من الواضح أنني لدي الكثير، لتعويضه في قسم الانطباعات الأولى.

تسأل أمي بمجرد أن أصل إلى المطبخ: «مَن الفتاة؟». أمرر زجاجة سكاي تحت الصنبور حتى تمتلئ، ثم أستدير لأواجه أمي. أقول مبتسمًا: «اسمها سكاي. قابلتها في متجر البقالة مبكرا».

ترمقها أمي من خلف نافذة المطبخ، ثم تعيد النظر إليَّ ثم تميل برأسها.

ـ «أحضرتها لبيتنا؟ الأمور تسير بسرعة قليلًا، ألا تعتقد ذلك؟»

أرفع زجاجة المياه، وأقول: «لقد حدث فقط أنها تركض بالجوار ونفدت زجاجتها». أسير تجاه الباب، وأستدير لأمي، وأنا أغمز.

ـ «أنا محظوظ لأن لدينا مياهًا».

تضحك، والابتسامة على وجه أمي لطيفة، لأنها نادرة ومتباعدة، وتقول من خلفي: «حسنًا، حظا سعيدًا يا كازانوفا».

أقول بتردد: «في المتجر؟ جعلتكِ تشعرين بالانزعاج؛ أنا آسف».

تنظر إليَّ مباشرةً في عيني، وتقول: «أنت لم تزعجني».

تكذب، فقد أزعجتها قطعًا، وأرعبتها أيضًا، لكنها تنظر إليَّ الآن بمثل هذه الثقة.

إنها مربكة، حقًّا مربكة.

أنظر إليها لدقيقة، مُحاولًا بأفضل ما لدي أن أقرأها، لكن ليست لدي فكرة. إذا كنت سأظهر لها انجذابي الآن، لا أعرف إن كانت ستلكمني أم ستقبِّلني. في هذه اللحظة، أنا متأكد أنني سأكون راضيًا بأي منهما.

ـ «أنا لم أكن أحاول أن أظهر لكِ أنني منجذب أيضًا».

أقول راغبًا في الحصول منها على رد فعل معين: «أنا فقط اعتقدت أنكِ شخص آخر».

تقول برقة: «لا بأس». ابتسامتها ضيقة، وخيبة الأمل واضحة في صوتها. يجعلني معرفة أنني أحبطتها ولو قليلًا، أبتسم.

أوضح: «ليس لأنني لم أرد أن أظهر لكِ أنني منجذب. أنا فقط لم أكن لأفعلها خاصة في هذا الوقت».

ابتسمت، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أحصل فيها على ابتسامة حقيقية منها. لقد شعرت بالفوز بتحدٍّ كبير، كما لو أنني ربحتُ في ترياثلون.

أسألها مشيرًا إلى طريقها إلى المنزل: «هل تريدين أن أوصلكِ؟».

ـ «لا، لا بأس».

أومئ، لكنني لا أحب إجابتها.

ـ «حسنًا، كنت سأذهب في هذا الطريق على أي حال. أنا أركض مرتين في اليوم، يتبقى لي دورتان».

أقترب منها خطوة عندما ألاحظ الكدمة الحديثة البارزة تحت عينها. أمسك بذقنها وأميل رأسها إلى الخلف حتى أستطيع النظر إليها. انحرفت ظنوني السابقة، وفجأة أصبحت مثقلًا برغبتي في معاقبة أيًّا كان من لمسها.

ـ «من فعل هذا بكِ؟ عينكِ لم تكن كذلك باكرًا».

تُفلت يدها من قبضتي، وتقول: «كانت حادثة لا تقلق. إنها مجرد فتاة مراهقة تستيقظ من نومها». تحاول أن تضحك، لكنني أعرف أنها تكذب، لأنني قد شاهدت ما يكفي من الكدمات غير المفسرة على جسد ليز في الماضي، وأدركت أن الفتيات يمكنهن أن يخبئن هذا النوع من الأشياء بطرق أفضل مما يمكن أي شخص أن يتصور.

أمرر إبهامي على الكدمة، لأهدئ الغضب الذي يسري داخلي.

ـ «يمكنكِ أن تخبري أحدًا، صحيح؟ إذا فعل أحدهم هذا بكِ».

هي فقط تحدق بي، دون رد فعل: «بالطبع سأقول».

أعادتني قلة معرفتها لأحوال ليز. لم تعترف أبدًا بالأذى الجسدي الذي تسبب لها فيه جرايسون، لكن الكدمات التي رأيتها على ذراعها قبل أن أجعلهما ينفصلان بأسبوع، انتهت تقريبا بالقتل. إذا اكتشفت أنه من فعل هذا بسكاي، فلن تتبقى لديه يد لتمتد عليها.

أقول: «سأذهب معكِ». وأضع يدي بقوة على كتفيها، وأديرها دون أن أمنحها الفرصة لتعترض.

لم تحاول أن تعترض، تبدأ في الركض؛ لذلك أركض بجوارها بالوتيرة نفسها. كان غضبي ملحوظا، إذ شعرت بالدخان يتصاعد من رأسي طوال رحلة العودة إلى المنزل. كنت غاضبًا لأنني لم أعرف الحقيقة حول ما حدث مع ليز. وغاضب أن سكاي ربما تتعامل مع الهراء نفسه.

لم نتحدث طوال رحلة العودة إلى منزلها، حتى استدارت وودَّعتني عند باب منزلها. وهي تسير للخلف، قائلة: «أخمن أنني سأراك قريبًا؟».

أقول: «بالتأكيد»، وأنا أعلم جيدًا أنني سأراها مرة أخرى، خاصة بعد أن عرفت أين تعيش.

تبتسم وتستدير تجاه بيتها، وقبل أن تصل إلى نصف طريقها، أدرك أنني لا أملك طريقة حتى للتواصل معها. ليس لديها فيسبوك، لذا لا يمكن أن أتواصل معها بهذه الطريقة. لا أعرف رقم هاتفها، ولا يمكنني حقًّا أن أذهب إلى بيتها دون سابق إنذار.

لا أريدها أن ترحل، قبل أن أتأكد أنني سأتحدث معها مرة أخرى. على الفور أفتح غطاء زجاجة المياه، وأفرغ محتواها على العشب، وأعيد وضع الغطاء.

أصرخ: «سكاي. انتظري». تتوقف وتستدير، وأقول: «هل تصنعين لي معروفًا؟».

ـ «نعم؟»

أرمي لها زجاجة المياه الفارغة بارتياح. تلتقطها، ثم تومئ وتركض إلى الداخل لتملأها. أسحب هاتفي المحمول من جيبي، وأراسل دانيال:

سكاي دافيز، هل لدى الفتاة التي كان يتحدث عنها جرايسون ليلة السبت صديق حميم؟

تفتح سكاي بابها الأمامي، وتبدأ في المشي إلى الخارج، وفي ذلك الوقت، يأتي رد دانيال:

لديها العديد، كما أسمع.

وأنا أحدق في الرسالة، وصلت إليَّ المياه. آخذ المياه وأشربها، ولستُ متأكدًا لماذا أجد أنه من الصعب عليَّ تصديق رسالة دانيال. وبقدر ما تبدو لغزًا بالنسبة لي، فإنني أستطيع أن أقول من طريقتها المتحفظة للغاية إنها لا تسمح بسهولة للناس بدخول حياتها. وبناءً على تفاعلي معها، أدرك أنها فقط لا تتناسب مع الوصف الذي رسمه لها من قبل أي شخص آخر.

أعيد الغطاء للزجاجة، وأفعل ما في وسعي لأبقي عيني مركزتين على عينيها، لكن سحقًا لماذا تجذبني حمالة الصدر الرياضية الآن.

أسألها: «هل تركضين في المضمار؟»، محاولًا أن أبقي على تركيزي.

تغطي جسدها بذراعيها وحركاتها تجعلني أريد أن ألكم نفسي بسبب نظراتي الفاضحة. آخر ما أريد أن أفعله هو أن أجعلها غير مرتاحة.

تقول: «لا. ورغم ذلك، أفكر في أن أجرب».

ـ «يجب أن تفعلي ذلك. أنتِ بالكاد تتنفسين، وقد ركضتِ للتو ما يقرب من خمسة أميال. هل أنتِ في السنة النهائية؟»

تبتسم، وهذه المرة الثانية التي تبتسم لي هكذا، إنها حقًّا تبدأ في إشعال الفوضى في رأسي.

تقول: «ألا تعرف مسبقًا أنني في السنة النهائية؟». ما زالت تبتسم، وتقول: «أنت مهمل في قدراتك في المراقبة».

أضحك، وأقول: «حسنًا، أنت تصعِّبين عليَّ ترصدكِ. لم أتمكن حتى من إيجاد حساب لكِ على فيسبوك».

تبتسم مرة أخرى، وأكره أنني أستمر في عد الابتسامات. ثلاثة.

تقول: «ليس لدي حساب في فيسبوك.. ليس لدي اتصال بالإنترنت».

لا أستطيع أن أفهم، إنْ كانت تكذب لتتركني بسهولة، أم أنها حقًّا صادقة حول أن ليس لها اتصال بالإنترنت. لا أدري أيهما أصعب في التصديق.

ـ «ماذا عن هاتفكِ؟ ألا تستطيعين أن تتصلي بالإنترنت من هاتفكِ؟»

ترفع ذراعها لتشد شعرها المربوط كربطة ذيل الفرس، فأشعر أنني أفقد أنفاسي الآن.

ـ «ليس لدي هاتف. أمي ليست معجبة بالتكنولوجيا الحديثة. ولا التلفاز أيضًا».

أنتظر أن تضحك، لكن من الواضح في ثوانٍ قليلة وقصيرة أنها جادة تمامًا. هذا ليس جيدا. كيف يمكنني حقًّا أن أبقى على تواصل معها؟ ليس لأنني أحتاج إلى ذلك. أنا فقط لدي إحساس كبير أنني سأريد ذلك. «سحقًا»، أضحك

ـ «هل أنتِ جادة؟ كيف تمرحين؟»

تهز كتفيها، وتقول: «أركض».

نعم، هي تفعل ذلك بالتأكيد. وإذا كان عليَّ فعل أي شيء مع هذا، فهو أنني لن أجعلها تركض وحدها بعد الآن.

أقول وأنا أميل عليها: «حسنًا في هذه الحالة، لن تعرفي أبدًا التوقيت الذي يستيقظ فيه أحدهم للركض الصباحي. أليس كذلك؟».

تأخذ نفسًا سريعًا، ثم تحاول أن تتحكم فيه بابتسامة.

تقول: «لا أعرف، إنْ كنت تريد أن تستيقظ باكرًا».

إذا كانت تعرف فقط أنني أستطيع أن أذهب إلى أبعد من ذلك، ولا أنام مرة أخرى، وإذا وافقت فقط على أن تركض معي. أميل أقرب قليلًا وأخفض صوتي، وأقول: «ليست لديكِ فكرة كم أريد بشدة أن أستيقظ باكرًا».

تبتسم للمرة الرابعة، وفي لمحة بصر، تختفي الابتسامة. يحدث ذلك بسرعة فلم أجد الوقت لأتصرف. سقوطها على الرصيف أصدر صوتًا عاليًا يجعلني أجفل. على الفور، أنزل على ركبتي وأدير رأسها.

أقول وأنا أهزها: «سكاي». إنها فاقدة للوعي، وأنظر تجاه بيتها، ثم أحملها وأسرع بها باتجاه الباب. لم أتمكن من الطرق، ليست لدي يد إضافية. أرفع قدمي وأطرق الباب الأمامي، آملًا في أن يكون هناك أحد بالبيت ليدخلني.

خلال ثوانٍ، ينفتح الباب الأمامي وتظهر امرأة. تنظر إليّ في ارتباك مطلق، حتى تدرك أن سكاي على ذراعي.

وتقول: «يا إلهي»، تفتح الباب فورًا، وتدخلنا.

أقول: «لقد أغمى عليها في الممر. أظن أنها تعاني الجفاف».

تركض المرأة على الفور بسرعة إلى المطبخ، بينما أنزل سكاي على أريكة غرفة المعيشة. بمجرد أن يلمس رأسها ذراع الأريكة، تئن ويرف جفناها. أتنهد ارتياحًا، ثم أقف جانبًا، عندما تظهر أمها مجددًا.

تقول: «سكاي اشربي بعض الماء». تساعدها في أخذ جرعة، ثم تضع زجاجة المياه. تقول وهي تسير تجاه المدخل: «سوف أحضر لكِ كمادة باردة».

تنظر سكاي إليَّ وتجفل، أنزل على ركبتي جوارها، وأشعر بالفظاعة لأنني تركتها تسقط هكذا. حدث هذا بسرعة، في ثانية كانت تقف أمامي، في الثانية التالية لم تعد تقف. أسألها بعد أن تركت أمها الغرفة: «أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟ كانت سقطة سيئة للغاية».

رويدًا رويدًا، أمسح الحصى والأوساخ التي تلتصق بخدها. تغمض عينيها وتضع ذراعيها على وجهها.

تتأوه، وتقول: «يا إلهي، أنا آسفة جدًّا. هذا محرج للغاية».

أمسك رسغها وأسحبه بعيدًا عن وجهها، لأنني لا أريد أن تشعر بالخجل. أنا ممتن لأنها بخير، وأشعر بالامتنان الأكبر لأن هذا سمح لي بحملها داخل المنزل. الآن أنا داخل منزلها، ولدي عذر للعودة هذا الأسبوع للاطمئنان عليها. لا يمكن أن تكون الأمور أفضل بالنسبة لي.

أهمس: «أنا مستمتع بهذا، نوعًا ما».

يتجعد فمها على شكل ابتسامة. إنها الابتسامة الخامسة.

ـ «ها هي الكمادة يا حبيبتي. هل تريدين شيئًا للألم؟ هل تشعرين بالغثيان؟»

تناولني أمها الكمادة، وتذهب إلى المطبخ.

ـ «أعتقد أن لدي بعض الآذريين أو جذر الأرقطيون».

تلف سكاي عينيها، وتقول: «أنا بخير يا أمي. لا شيء يؤلمني».

أمسح ما تبقى من الوسخ عن خدها باستخدام الخرقة. أقول بصوت هادئ: «ربما لا تشعرين بالألم الآن، لكنكِ ستشعرين به فيما بعد». هي لم ترَ قوة السقوط التي تعرضت لها. ولكن بالتأكيد ستشعر بالألم غدًا.

ـ «عليكِ أن تتناولي شيئًا على سبيل الاحتياط».

تومئ وتحاول أن تجلس، فأساعدها. تعود أمها إلى الغرفة بزجاجة صغيرة من العصير، وتناولها لسكاي.

تقول وهي تمد يدها إليَّ: «أنا آسفة. أنا كارين دافيز».

أقف وأصافحها في المقابل. أقول وأنا أرمق سكاي بسرعة: «دين هولدر. أصدقائي يسمونني هولدر».

تبتسم كارين، وتقول: «كيف تعرفت أنت وسكاي بعضكما إلى بعض؟».

أقول: «نحن لا نعرف بعضنا بعضًا حقًّا. أخمن فقط أننا تقابلنا في المكان المناسب وفي الوقت المناسب».

ـ «حسنًا، شكرًا لمساعدتك لها. لا أعرف لماذا أغمي عليها. لم تفقد وعيها من قبل».

تحول انتباهها إلى سكاي، وتقول: «هل أكلتِ أي شيء اليوم؟».

تقول سكاي: «أخذت قضمة من قطعة دجاج في الغذاء. طعام الكافيتريا مقزز».

طعام الكافيتريا، إنها تذهب إلى المدرسة العامة. ربما أعيد تفكيري في قراري التعليمي بعد كل ذلك.

تلف كارين عينيها، وترفع يديها في الهواء. وتقول: «لماذا تركضين دون أن تأكلي أولًا؟».

تقول سكاي مدافعة: «نسيت. لا أركض عادةً بعد الظهر».

تعود كارين إلى المطبخ، ومعها الكوب، وتتنهد بعمق.

ـ «لا أريدكِ أن تركضي مرة أخرى يا سكاي. ما الذي كان سيحدث إذا كنتِ بمفردكِ؟ تركضين كثيرًا جدًا على أي حال».

تنظر سكاي نظرة لا تقدر بثمن، فهي تبدو متعبة جدًّا، ويبدو أن الركض بالنسبة لها يُعد أمرا حيويًّا للحصول على الهواء.

أقول محاولًا أن أجد فرصة ترضي جميع الأطراف المعنية، خاصة أنا: «أعيش في ريكر، وأركض إلى هنا كل يوم وقت الظهيرة. إذا كان هذا سيشعركِ بارتياح أكبر، سأكون سعيدًا أن أركض معها الأسبوع المقبل أو شيء من هذا القبيل وقت الصباح. عادة أركض في مضمار المدرسة، لكنها ليست مشكلة، لنتأكد فقط أن هذا لن يحدث مجددًا».

تعود كارين إلى غرفة المعيشة، وتنظر إلينا. تقول: «أنا موافقة على هذا». تحول اهتمامها إلى سكاي، وتقول: «إذا رأت سكاي أنها فكرة جيدة».

أرجوكِ فكري في أنها فرصة جيدة.

تقول سكاي وهو تهز كتفيها: «لا بأس».

كنت آمل في «نعم حقًّا». لكن «لا بأس» ستكفي.

تحاول أن تقف مرة أخرى، لكنها تتأرجح لليسار. أصل إليها على الفور، وأمسك بذراعها لأريح ظهرها على الأريكة.

أقول لها: «استرخِ»، وأنظر إلى كارين، وأقول: «هل لديكِ أي مقرمشات يمكنها أن تأكلها؟ يمكن لهذا أن يساعدها».

تذهب كارين إلى المطبخ، فأمنح سكاي كل تركيزي مرة أخرى. وأقول: «هل أنتِ متأكدة أنك بخير؟». وأمرر إبهامي على خدها بلا أي سبب، لأنني أريد أن ألمس خدها مجددًا.

بمجرد أن تلامس أصابعي جلدها، تندفع قشعريرة أسفل ذراعيها. تشد ذراعيها فوق صدرها، وتفرك القشعريرة. لا أتمالك نفسي عن الابتسام، لعلمي أن يدي على جلدها هي ما فعلت هذا بها. إنه أفضل شعور على الإطلاق.

أرمق كارين لأتأكد أنها لم تتجه عائدة إلى غرفة المعيشة بعد، ثم أميل تجاه سكاي، وأقول: «متى يمكن أن أترصدكِ غدًا؟».

تقول بلا أنفاس: «السادسة والنصف؟».

ـ «السادسة والنصف يبدو جيدًا».

السادسة والنصف هو وقتي الجديد المفضل في اليوم.

ـ «هولدر، أنت لست مضطرًّا لفعل هذا».

تنظر مباشرة في عيني كأنها تريد أن تمنحني الفرصة لأتراجع. لماذا أتراجع حقًّا؟

ـ «أعرف أنني لست مضطرًّا لفعل هذا، سكاي أنا أفعل ما أريد».

أميل لأصبح أقرب، آملًا في أن أرى القشعريرة على ذراعيها مرة أخرى، وأقول: «أريد أن أركض معكِ».

أبتعد بمجرد أن تعود كارين من المطبخ إلى غرفة المعيشة. تبقي سكاي عينيها مركزتين على عيني، وهذا يجعلني أتمنى أكثر من أي شيء أن يأتي الصباح الآن.

تقول كارين وهي تضع المقرمشات في يد سكاي: «كُلي».

أقف وأقول لكارين: «مع السلامة. اعتني بنفسك». وأقول لسكاي وأنا في طريقي للباب الأمامي: «أراكِ في الصباح».

تومئ، وهذا كل ما أحتاج إليه. وأشد الباب لأغلقه وأنا أرحل، ممتن لأنني تمكنت من استعادة نفسي إلى حد ما. بمجرد أن أصبحت خارج ممر منزلها ومرة أخرى على الرصيف، أسحب هاتفي من جيبي، وأتصل بدانيال.

يقول وهو يجاوبني: «أهلًا بالميؤوس منه».

ـ «قلت لك توقف عن مناداتي بهذا أيها الأحمق».

ـ «هل فكرت في هذا قبل أن تحصل على الوشم». ويمزح قائلًا: «ماذا هناك؟».

أقول بسرعة: «سكاي ديفيز. مَن هي، من أين، هل تذهب إلى المدرسة هنا، وهل تواعد جرايسون؟»

يضحك دانيال، ويقول: «توقف يا صاحبي. تمهل. أولًا، أنا لم أقابلها أبدًا. ثانيًا، إذا كانت هذه سكاي نفسها التي زعمت أنني فضضت بكارتها أمام فال في تلك الحفلة، الليلة الماضية، لا مجال للسؤال عنها. ما زلت أحاول إقناع فال أنني فعلًا لم أضاجع أبدًا هذه الفتاة. سؤال الناس عنها سيجعل فقط الأمور أسوأ بالنسبة لي يا رجل».

ـ «دانيال أرجوك. أحتاج إلى أن أعرف وأنت أفضل مني في هذا الهراء».

توقف طويلًا، وقال: «حسنًا، لكن بشرط واحد».

أعرف أنه يجب أن يكون هناك شرط. هناك دائمًا شرط عندما يتعلق الأمر بدانيال.

ـ «ما الشرط؟»

ـ «أن تأتي إلى المدرسة غدًا. ليوم واحد فقط. التحق غدًا وجرب ليوم واحد، وإذا كرهتها، تستطيع رسميًّا أن تتسرب هذا العام مع مباركتي».

أقول: «اتفقنا». أستطيع أن أفعلها ليوم، خاصة إذا كانت سكاي هناك.

الفصل الثامن ونصف

ليز،

سحقًا ليز، سحقًا. أشعر بأن الوقت لم يمضِ إلا لحظاتٍ معدودة منذ كتابتي لكِ هذه الرسالة، ولكن في الحقيقة، لم يمضِ إلا بضع ساعات منذ ذلك الصباح. حدث الكثير خلال هذه الفترة، ويداي ترتجفان وبالكاد أستطيع الكتابة.

ما زلت لم أتكلم مع أمي عن التسرب من الدراسة بعد، لكن فقط بسبب أنني لست متأكدًا تمامًا أنني أريد أن أترك المدرسة بعد الآن، وسوف نرى بعد غدٍ.

هل تجلسين من أجل هذا. اجلسي من فضلك ليز. وجدت هوب، لكنني لم أجدها.

لا أزال غير متأكد مما إذا كانت الشخصية التي رأيتها هي الشخصية التي أبحث عنها، ولكنني أكثر ثقة أنها ليست هوب. هل هذا منطقي؟ أعني، في البداية، اعتقدت أنني وجدت الشخص الذي أبحث عنه، ولكن عندما أدركت أنها لم تتعرف عليَّ، فكرت أنني ربما كنت مخطئًا أو أنها تتظاهر. لست متأكدًا بعد، ولكنني ما زلت أبحث عن الإجابة.

لقد بدأت فقط أشك في نفسي، ثم تصرفت بنوع من المطاردة والعبث، لذا أرتني بطاقة هويتها، كان حقًّا غباءً منها، إذا أخذتِ في الحسبان كم كنت أتصرف كمترصد.

لكن أثبتت بطاقة هويتها أنها لم تكن هوب؛ ما حطمني، لكن فقط لساعتين. لأنني عندما ذهبت للركض، اصطدمت بها مرة أخرى، شكرًا للقدر أو الصدفة أو التدخل الإلهي، أو ربما كان لك يد في هذا. أيًّا كان من جعله يحدث، كانت هناك، تقف أمام بيتنا، تبدو في غاية الجمال والهراء. يا إلهي، بدت جميلة يا ليز.

أنا متأكد أنكِ تريدين أن تسمعي هذا، أليس كذلك؟

على أي حال، اقتنعت الآن أنها إذا كانت حقًّا هوب، لتذكرتني. خاصة بعد أن أخبرت أمها أن اسمي دين هولدر. رمقت سكاي لأرى إذا كان اسمي الأول قرع جرسًا عندها، لكن بناءً على غياب رد الفعل، لم يقرع جرسًا على الإطلاق، لذا لا مجال لأن تكون الفتاة نفسها.

هل تريدين أن تعرفي الجزء الأغرب من يومي يا ليز؟ لا أريدها أن تكون هوب حتى.

إذا كانت هوب، سيحاصرنا كل الدراما والقلق واهتمام وسائل الإعلام من جديد، وأنا لا أريد هذا لها. تبدو هذه الفتاة سعيدة وصحية، وليست كما توقعت أن تكون حال هوب، إذا وجدناها على الإطلاق. لذا أنا ممتن أن سكاي ليست هوب، وهوب ليست سكاي.

طلبت من دانيال أن يستطلع الأمر، وعرفت القليل عنها. تعيش في هذه المنطقة منذ سنوات، وتلقت تعليمها في البيت من أمها، التي تبدو ظريفة بالمناسبة.

قال دانيال أيضًا إنها لا تواعد جرايسون رسميًّا، وهذه إضافة جيدة. ما زلت لست متأكدًا كيف تواصلت معه، لأنه بناءً على حديث دانيال، تواصلت معه بطريقة ما. أتمنى أن أوقف هذا، قبل أن يصبح ذا أهمية.

آسف لأنني أرتعش. إنه فقط هذا النوع من الأيام التي لا تتوقع تمامًا أن تصحو من أجلها. سوف أعلمك كيف سيمر الغد. أنا مدين لدانيال بيوم في المدرسة.

بالمناسبة، كانت لدى سكاي كدمة حول العين اليوم. لم تبح أبدًا بما حدث، لكن تعرفين كم أنا مذعور من أي شيء متصل ولو من بعيد لجرايسون. لن أنسى أبدًا هذا اليوم الذي عدتِ فيه إلى البيت بهذه الكدمات في ذراعكِ يا ليز. ترجيتني ألا أقتله، لأنني أقسمت لكِ أنني سأفعل هذا، وكنت سأفعل، لولا أنكِ أقسمتِ بأنه لم يفعلها.

لا أعرف، إن كنتِ قُلتِ الحقيقة عندما قُلتِ إنها حدثت لكِ في أثناء حصة الرياضة. لا أعرف إنْ كان يملك جرايسون المقدرة على فعل شيء كهذا. لكن رؤية سكاي بهذه الكدمة تحت عينها، جعلتني أفعل تمامًا مثلما فعلت حين ظننت أن جرايسون آذاكِ. وأنتِ لستِ هنا من أجل أن أحميكِ بعد الآن، لذلك أشعر بحاجة قوية لأن أحمي سكاي، وأنا لا أعرفها.

لا تخبري دانيال بهذا، ليس لأنكِ تستطيعين، لكن لأنني كنت سأذهب إلى المدرسة غدًا، سواء اشترط عليَّ أم لا. أحتاج أن أرى بعيني كيف يتعامل سكاي وجرايسون، حتى أستطيع أن أحدد، إذا كنت حقًّا سأقتله هذه المرة.

هـ.

الفصل التاسع

أصل إلى بيتها مبكرًا عشر دقائق، أجلس على الرصيف، وأجري تمرينات الإحماء. بعد أن غادرتها أمس، شعرت أن عرضي بالركض معها ربما يكون متقدمًا قليلًا. إنها ليست في طريقي، وأنا عادةً لا أركض بهذا القدر في اليوم، لكنني لا أعرف كيف يمكن أن أراها مرة أخرى. أسمعها تمشي خلفي، فأستدير وأقف.

ـ «مرحبًا».

أتوقع أن تبتسم، أو ترد التحية بطريقة ما، لكن بدلًا من ذلك، ترمقني من فوق لأسفل بعبوس غير مريح. أتجاهل هذا، آملًا في أن تكون فقط من نوعية الأشخاص الذين لا يحبون فترة الصباح.

أسألها: «هل تحتاجين إلى الإحماء أولًا؟».

تهز رأسها، وتقول: «تمرنت بالفعل».

لدي فضول عمًّا إذا كان سلوكها الرسمي بسبب أنها تتألم من سقطة أمس. ما زالت كدمة عينها ظاهرة بوضوح، لكن خدها لا يبدو بالسوء الذي اعتقدت أنه سيكون عليه. أصل إليها، وأمرر إبهامي على الندبة بوجهها.

ـ «لا تبدو سيئة. هل أنتِ بخير؟»

تهز رأسها بنعم.

ـ «جيد، هل أنتِ مستعدة؟»

تومئ، وتقول: «نعم».

ثلاث كلمات فقط جرت بيننا، ثم استدارت ورحلت، وكلانا نركض في صمت. لم أجرب الركض مع فتاة من قبل، ولكني توقعت المزيد من التقدم والتفاعل. لا يمكنني معرفة ما إذا كانت مرتاحة أم لا في وجودي من التحية المقتضبة التي قدمتها أمام حديقة منزلها، ولا يمكنني معرفة ما إذا كان الهدوء هو علامة على الراحة أو الاستياء. يمكن أن يكون الوضع في أي من الاتجاهين.

عندما أبطئ خطواتي، يقل التوتر الذي أشعر به تجاهها. دون الركض جنبًا إلى جنب معها، يسهل عليَّ الانطلاق دون الحاجة إلى الكلام، فأنا لست بارعًا في بدء المحادثات. ومع ذلك، وجودي بجانبها يثبط الجانب المتحدث داخلي، أكثر مما يحدث عادةً. أشعر بأنني بحاجة إلى قبول هذا الواقع، إذا كنت أريد أن أتقدم معها، وأشعر بالحاجة إلى العودة إلى الركض معها بسرعة.

أقول: «من الأفضل أن تجربي الركض في المضمار. لديكِ قدرة أكبر على التحمَّل مقارنة بأغلب الفتيان من فريق العام الماضي».

تهز رأسها وتستمر في التركيز على الرصيف أمامنا. تقول: «لا أعرف إن كنت أريد ذلك. أنا حقا لا أعرف أحدًا في المدرسة. خططت للمحاولة، لكن حتى الآن أغلب الأشخاص في المدرسة ـ نوعًا ما ـ مؤذون. لا أريد حقًّا أن أكون معرضة لهم لمدد أطول تحت ستار الفريق».

أكره أنها ذهبت يومًا إلى المدرسة، عرفت بالفعل كم هم مؤذون. أتساءل ماذا فعلوا حقًّا ليجعلوا يومها الأول بهذا السوء؟

ـ «لقد ذهبتِ إلى المدرسة فقط ليوم واحد. امنحيها الوقت. لا يمكن أن تتوقعي أن تتعلمي من المنزل طوال حياتكِ، ثم تحصلي على الكثير من الأصدقاء الجدد في أول يوم مدرسة».

أشعر بالسوء من إخبارها بعكس ما أشعر به بالفعل. إذا كنت صادقًا تمامًا، كنت سأدعوها للبقاء في التعليم المنزلي، لأنها نجحت فيه قبل أن تدخل المدرسة العامة. أستدير لأنظر إليها، لكنها لا تركض إلى جواري. أستدير لأجدها وقفت على بعد خطوات عديدة خلفي، ويداها على أردافها، أسرع إليها.

أمسك كتفيها حتى لا يغمى عليها مرة أخرى: «هل أنتِ بخير؟ هل تشعرين بالدوار؟». سوف أكون في منتهى الحماقة، إذا تركتها تفترش الرصيف، مثلما فعلت أمس.

تهز رأسها بلا، ثم تدفع يدي عن أكتافها، وتقول: «أنا بخير».

إنها غاضبة من شيء ما. أحاول أن أفكر فيما يمكن أن أكون قد قلته، لكن لا شيء يبدو جارحًا. وأقول: «هل قلت شيئًا خاطئًا؟».

ترنو إلى الرصيف، وتبدأ في المشي مجددًا، فأتبعها. تقول بنبرة منزعجة: «قليلًا. كنت أمزح بشأن الترصد أمس، لكنك اعترفت أنك تبحث عني على فيسبوك تمامًا بعد أن تقابلنا، ثم تصر على الركض معي، برغم أنه ليس طريقكِ. والآن بطريقة ما تعرف كم مكثت في المدرسة العامة؟ وأنني كنت أتلقى تعليمي من البيت؟ لن أكذب عليك، هذا مخيف».

سحقًا. ما مشكلتي حقًّا؟ كيف أعترف لها بأن أغلب ما عرفته عنها قائم على ما سمعته من جرايسون في الحفلة، ومن خلال شائعات متضاربة من دانيال؟ هي ليست بحاجة إلى معرفة هذا. لا أريدها أن تعرف هذا.

أتنهد وأستمر في السير معها باتجاه منزلها. أقول: «سألت عنكِ. لقد عشتُ هنا منذ أن كنتُ في العاشرة، ولدي العديد من الأصدقاء. كان لدي فضول تجاهكِ».

تركز عليَّ كأنها تحاول أن تتبين كيف عرفت الكثير عنها. أنا لست على وشك أن أعترف لها بالأشياء التي سمعت جرايسون يقولها، لأنني لا أريد أن أجرحها، لكنني لا أريد أيضًا أن أعترف أنني ترجيت دانيال حتى أحصل على المزيد من المعلومات، لأنني لا أريد أن أخيفها. لكن بناءً على النظرة المتشككة التي اكتست وجهها، فقد كوَّنت قدرًا جيدًا من عدم الثقة بي.

أمسك بمرفقها، وأوقفها عن السير، وأديرها حتى تواجهني.

ـ «سكاي، أعتقد أننا تعرفنا بعضنا ببعض بطريقة خاطئة في المتجر أمس. وبالحديث عن الترصد، أقسم لكِ إنها مزحة. لا أريدكِ أن تشعري بعدم الراحة في وجودي. هل سيجعلكِ تشعرين بالراحة أن تعرفي أكثر عنّي؟ اسأليني عن أي شيء وسأخبركِ. أي شيء».

ـ «إذا سألتكِ عن شيء، هل ستكون صادقًا؟»

أنظر إليها بقوة في عينيها. أقول: «هذا كل ما سأكونه دائمًا». وأقصد أن أكون صادقًا تمامًا معها، إلا إذا شعرت أن هذا قد يجرحها.

ـ «لماذا تخلفت عن المدرسة؟»

أتنهد متمنيًا لو أنها سألتني عن شيء أقل تعقيدًا. كان عليَّ أن أعرف أن الأمور لن تكون سهلة معها.

أعود للسير مجددًا. وأقول: «عمليًّا، أنا لم أتخلف عن المدرسة بعد».

ـ «حسنًا، من الواضح أنك لم تذهب إلى المدرسة منذ عام. بالنسبة لي هذا تخلف عن المدرسة».

أثار هذا التعليق فضولي عمَّا إذا كانت سمعت عن الشائعات حولي. بالطبع كنت في المدرسة العام الماضي، لكنها لم تكن هذه المدرسة، لكنها لم تسأل عن شائعة انتقالي إلى سجن الأحداث، لذا لن أبادر بمعلومة غير ضرورية.

أقول: «لقد عدتُ إلى البيت منذ أيام عدة. مررنا أنا وأمي بعام سابق سيئ، لذا انتقلت للعيش مع أبي في أوستين لمدة. كنت أذهب إلى المدرسة هناك، لكنني شعرت أنه حان الوقت لكي أعود إلى البيت. وها أنا ذا».

تنظر إليَّ شزرًا، محاولةً أن تعبس في وجهي، لكن التعبير الذي تفعله محبب للغاية، بحيث لا أجده مخيفًا. أبقي ابتسامتي في وجهي، لأنني أستطيع أن أرى كم تأخذ موضوع المدرسة بجدية.

ـ «لا شيء من هذا يفسر لماذا قررت أن تتخلف عن المدرسة، بدلًا من العودة».

هي محقة، لكن، لأنني لا أعرف حقًّا الإجابة عن سؤالها.

ـ «لا أعرف. لأكون صادقًا، ما زلت أحاول أن أقرر ماذا أريد أن أفعل. كان عامًّا سيئًا. ناهيك عن أنني أكره هذه المدرسة. أنا متعب من الهراء، وأحيانًا أفكر في أنه سيكون أسهل أن أمتحن فيها فقط».

تتوقف في طريقها ثانية وتحدق بي.

ـ «هذا عذر أحمق».

ـ «كُره المدرسة الثانوية حماقة؟»

ـ «لا، الحماقة هي أن تسمح لعام سيئ أن يحدد قدرك لباقي حياتك. أنت على بُعد تسعة أشهر من التخرج في المدرسة، وتتخلف عنها؟ إنه فقط غباء».

إنها تأخذ هذا الأمر بجدية فعلًا. أضحك حتى وأنا أحاول بصعوبة ألا أفعل.

ـ «حسنًا، عندما تقولين هذا ببلاغة فائقة».

تعقد ذراعيها وتنفخ، وتقول: «اضحك كما تشاء. خروجك من المدرسة مجرد استسلام. أنت تثبت لكل من تشكك فيك أنه على حق».

تسقط عينيها على الوشم فوق ذراعي. لم أرد أبدًا أن أخفيه حتى هذه اللحظة، لكن شيئًا في قراءتها له يبدو كانتهاك للخصوصية، ربما لأنني كنت متأكدًا أمس أنها نصف السبب في وجود هذا الوشم على ذراعي. لكن الآن وأنا أعرف أنها ليست السبب، حقًا لا أريدها أن تسأل عنه.

ـ «تريد أن تتخلف وتُري العالم كم أنك حقًّا ميؤوس منه؟ طريقة لإلصاق الأمر بهم».

أنظر إلى الوشم. ليست لديها فكرة عن المعنى من ورائه، وقد أدركت ذلك، لكن افتراضها أنه يعني أي شيء غير معناه الحقيقي نوعًا ما ضايقني. لا أريد أن أشرحه لها، وبالتأكيد لا أريد أن يحكم عليَّ أحد يبدو أنه يستقبل نصيبه الخاص من الأحكام.

بدلًا من أن أبقى بالجوار وأسمح لها بأن تعرف عني أكثر، أشير إلى بيتها برأسي. أقول بفتور: «بيتك هنا». أستدير وأتجه إلى بيتي دون أن أنظر إلى الخلف.

لا حاجة للمزيد من التفاصيل معها، على أي حال، حتى أعرف المزيد عن علاقتها بجرايسون. ومن أجل ذلك، عليَّ أن أسرع وأعود إلى المنزل حتى أستطيع أن أستحم، وأبدل ثيابي لأستقبل يومي الأول، وربما الوحيد في السنة النهائية.

***

إنها مدرسة ضخمة، لذا فأنني لا أتوقع في الحقيقة أن أكون معها في الفصل، ناهيك عن الحصة الأولى، ومع الأستاذ موليجان، على رأس اليوم.

لم تبدُ سعيدة برؤيتي أيضًا. وحقيقة أنها ركضت حرفيًّا أمامي لتخرج من الفصل لا تبدو مبشرة بالخير. ألتقط كتابي المدرسي وأخرج من الفصل، بدلًا من البحث عن حصتي القادمة، أتجه مباشرة لأبحث عنها.

إنها أمام خزانتها، تبدل الكتب. أسير خلفها لكن أتوقف للحظة قبل أن أتحدث إليها. أريد أن أمنحها الفرصة لتجلب ما تريده من خزانتها، لأنني أتمنى أن أذهب معها إلى الحصة التالية.

أقول متفائلًا: «أهلًا». تتوقف قليلًا.

تقول: «لقد أتيت»، صوتها هادئ ويخفي شيئًا. تستدير لتواجهني، ومجرد رؤية عينيها مرة أخرى تجعلني أبتسم. أستند إلى الخزانة المجاورة لخزانتها، وأميل برأسي تجاه المعدن البارد.

أنظر إلى ثياب المدرسة للحظة، مدركًا أنها تبدو أفضل أيضًا بعد أن تستحم.

أقول مبتسمًا لها: «لطيف لقد تحممتِ، رغم أن تعرقك لم يكن سيئًا للغاية أيضًا». أحاول أن أخفف بعضًا من التوتر الذي يتدحرج منها، لكن لا شيء على ما يبدو يعمل لصالحي.

تسألني: «هل أنت هنا لتترصدني أم أنك فعلًا أعدت التحاقك؟».

إنها تقول نكتة.

أقول وأنا أنقر بأصابعي على المعدن: «كلاهما»، ما زلت أبتسم لها، لكنها لا تبقي تواصلها معي بالعينين لأكثر من ثانيتين، وتنظر حولنا بتوتر.

تقول، وصوتها رتيب: «حسنًا، أحتاج إلى أن أعود إلى الفصل، عود حميد».

إنها غريبة.

ـ «أنتِ غريبة الأطوار».

تدير عينيها وتستدير لخزانتها. وتقول بغير إقناع: «أنا فقط متفاجئة برؤيتك هنا».

أقول: «لا، هناك شيء آخر، ما المشكلة؟».

يبدو أن إصراري أتى بنتيجته، لأنها تتنهد وتضغط على خزانتها، وتنظر إليَّ، وتقول: «هل تريدني أن أكون صادقة؟».

ـ «هذا كل ما أريده منكِ».

تزم شفتيها، وتقول: «حسنًا. لا أريدك أن تأخذ عني فكرة خاطئة. أنت تغازل، وتقول أشياء مثل أن لديك خططًا معي، وهو ما لا أنوي أن أرد عليه بالمثل، وأنت..».

هي لا تريد أن آخذ عنها فكرة خاطئة؟ مَن هذه وماذا فعلت حقًّا مع الفتاة التي كانت تتغازل معي ليلة أمس بوضوح؟ أضيق عيني لها.

أقول متحديًا إياها لتنتهي من فكرتها: «أنا ماذا؟».

ـ «أنت حاد للغاية، ومتقلب المزاج، ومخيف قليلًا. وهناك شيء آخر، أنا فقط لا أريدك أن تأخذ عنّي فكرة خاطئة».

لقد تغذت بالأكاذيب، والآن عليَّ أن أدافع عن نفسي أمام الشخص الوحيد الذي افترضت عن طريق الخطأ أنه ربما يتعاطف معي.

ـ «ما الشيء الآخر؟»

تقول مصوبة عينيها إلى الأرض: «أنت تعرف».

أقترب منها خطوة، وأضع يدي على الخزانة المجاورة لرأسها.

ـ «أنا لا أعرف، لأنكِ تلتفين حول مشكلتكِ معي، أيًّا كانت، كأنكِ خائفة جدًّا من أن تقوليها. قوليها فقط».

تتسع عيناها، وأشعر فورًا بالذنب من أني قاسٍ جدًّا معها. لقد أحبطني للغاية أنها صدقت هراءهم عني. الهراء نفسه الذي يتردد عنها.

تقول: «لقد سمعت عما فعلت، أعرف عن الفتى الذي ضربته. أعرف أنك ذهبت إلى الأحداث. أعرف أنني خلال اليومين اللذين عرفتك فيهما، أرعبتني لثلاث مرات على الأقل. ولأننا نتكلم بصدق، فأنت عرفت عن سمعتي، وهي السبب الوحيد لجعلك تبذل جهدًا معي. أكره أن أضايقك، لكنني لا أخدعك. لا أريدك أن تفكِّر أن أي شيء سيحدث بيننا، بجانب ما يحدث بالفعل. نحن نركض معًا، وهذا كل شيء».

أوه.

لقد توقعت أن تكون قد سمعت الشائعات عني، لكنني لم أتوقع أن تفكر في أنني أصدق الشائعات عنها. لهذا هي متحفظة؟ لأنها تظن أنني سمعت الشائعات عنها، والآن أحاول أن أضاجعها؟

أعني، لا تسِئ فهمي. أنا لا أقول إن هذا الخاطر لم يمر بذهني. لكن يا إلهي، ليس بهذه الطريقة. حقيقة أنها شعرت بهذا الشعور، تجعلني فقط أرغب في أن أضمها. ضايقني التفكير في أن يحاول أحدهم التقرب إليها من أجل هذا السبب فقط. لم يساعد في الأمر أن جرايسون يقف بجوارها الآن.

تبًّا، من أين جاء؟ ولماذا يلف ذراعه حولها، كما لو أنه يمتلكها؟

يقول جرايسون: «هولدر. لم أعرف أنك ستعود».

إنها الكلمات الأولى التي يقولها لي مباشرةً منذ الليلة السابقة لوفاة ليز. أخاف أن أنهار، إنْ نظرت إليه، لذا أبقي عيني مركزة بشدة على عيني سكاي. للأسف، لا يبدو أن عيني ستتوقفان عن النظر إلى اليد التي ما زلت تطوق خصرها. اليد التي لم تنزعها سكاي بعيدًا. اليد التي

يبدو جليًّا أنها التفت حول هذا الخصر من قبل. إنها اليد نفسها التي اعتادت أن تكون حول ليز.

هذا الوضع برمته ساخر للغاية، حتى جعلني أبتسم. إنه فقط حظي.

أستقيم مبقيًا عيني على اليد التي حول خصر سكاي. أقول: «حسنًا، سأعود». لا أستطيع مشاهدة هذا مرة أخرى. عاد إليَّ هذا الشعور المألوف من رغبتي في تمزيق هذه اليد القذرة، لأضعاف.

أسير بعيدًا خطوات عدة قبل أن أستدير لأواجه سكاي ثانية.

ـ «اذهبي إلى تمارين المضمار يوم الخميس بعد المدرسة».

لا أنتظر رد فعلها، وأسير إلى خزانتي، وأبدل الكتب، ثم أتجه إلى الفصل التالي. لا أعرف لماذا، رغم أنني متأكد أنني لن أعود غدًا.

***

يسأل دانيال، بينما نتجه إلى الكافيتريا: «أهلًا ديكوود. ما هذا الافتتان المفاجئ بسكاي؟».

أقول محاولًا التجاهل: «لا شيء. قابلتها أمس، وكان لدي فضول تجاهها، لكن من الواضح أنها مع جرايسون».

يرفع دانيال حاجبه دون أن يقول شيئًا حول تعليقي على جرايسون. يدفع أبواب الكافيتريا، وندخل لمائدتنا. أجلس ثم أبحث عنها وسط الزحام.

يسألني: «هل ستأكل اليوم؟».

أهز رأسي، وأقول: «لا. لا أشعر حقًّا بأنني أريد ذلك». فقدت شهيتي هذا الصباح بمجرد أن رأيت ذراع جرايسون يلف حول خصر سكاي.

يهز دانيال كتفيه، ويذهب ليحضر لنفسه الطعام. أبحث في الكافيتريا لمدة أطول، وأخيرًا أرصدها تبعد عني بموائد عدة، وتجلس مع فتى. ليس جرايسون على أي حال، ثم أتفحص الحشد بحثًا عن جرايسون، وأجده يجلس على مائدة في الجهة المقابلة من الكافيتريا. إنهما لا يجلسان معًا، لماذا لا يجلسان معًا وهما يتواعدان؟ وإذا لم يتواعدا، لماذا يلمسها كما كان يفعل؟

يقول دانيال وهو يمررها لي عبر المائدة: «أحضرت لك مياهًا».

ـ «أشكرك».

يضع أطباقه، ويتخذ مقعده إلى جواري: «لماذا أنت مثل الصنم؟».

تقذف المياه من فمي، أنزل ذراعي على المائدة، وأضحك وأنا أمسح فمي: «صنم؟».

يومئ وهو ينزع غطاء الصودا.

ـ «شيء غريب بك. تحدق في هذه الفتاة طوال الوقت الذي كنت فيه في طابور الطعام. ولا تخبرني أي شيء عنها. لقد كنت عصبيًّا منذ أتيت إلى هنا هذا الصباح، ولا علاقة لهذا بحقيقة أنه أول يوم لك في العودة إلى المدرسة منذ آخر يوم لك في المدرسة. وأنت حتى لم تعلق على أنه لا يبدو أن أحدًا يهتم أنك هنا اليوم. ألست متحمسًا قليلًا أن الجميع توقفوا عن النميمة؟»

كنت سأكون متحمسًا، إذا اقتنعت أن النميمة حقًّا توقفت. لكنها لم تتوقف، إنها فقط انتقلت لاتجاه آخر. سمعت اسم سكاي يذكر في كل فصل حضرته اليوم. بصرف النظر عن السخافة الذي رأيتها على خزانتها في شكل ملحوظات لاصقة.

ـ «لم يتوقفوا عن النميمة يا دانيال. لقد وجدوا شخصًا آخر ليستهدفوه فقط».

يبدأ دانيال في الرد، لكنه يقاطع بصوانٍ عدة توضع على المائدة. يجلس الفتيان على المقاعد، وأكثرهم يرحبون بعودتي، وكيف عدت في الوقت المناسب مع بداية موسم كرة القدم. يأخذنا هذا إلى مناقشة حول الأنشطة والمدرب ريلي، لكن هذا الأمر لم يلفت انتباهي، مثلما فعلت هي. أتجاهل كل ما حولي وأشاهدها، ما زلت أحاول أن أكتشفها.

لا أريد أن أعوقها، إذا كانت تواعد جرايسون، وإذا كانت سعيدة معه. جيد لهما، لكنني سأبقى منبوذًا، إذا لم أفهم حقيقة ما حدث لعينها. أريد شرحًا مباشرًا منها، قبل أن أتجاوز هذا. وإلا، سوف أفهم من جرايسون ماذا حدث لعينها، وأعرف كيف سينتهي هذا.

يومئ الفتى الذي تجلس معه تجاهي، عندما يراني أحدق بهما. أستغل هذا في عدم الإشاحة بنظري عنهما، لأنني أريد حقًّا أن ألفت انتباهها. عندما تنظر إليَّ، أومئ برأسي إلى أبواب الكافيتريا، ثم أقف وأتجه إليها.

أخرج إلى المدخل، آملًا أن تتبعني. أعرف أنه ليس من شأني، لكن إذا توقعت أن أكمل اليوم دون أن أقتل جرايسون، فعليَّ أن أعرف الحقيقة. أذهب إلى الركن للمزيد من الخصوصية، وأستند إلى صف الخزانات. تسير إلى الركن، وتجدني، ثم تأتي لتقف معي.

أسألها: «هل تواعدين جرايسون؟». أبقي الأمر قصيرًا وظريفًا. لا يبدو أنها تريد أن تتحاور معي، لذا لا أريد أن أجبرها على فعل شيء لا تريد أن تفعله. أريد فقط الحقيقة، حتى أبرر حركتي التالية.

تدير عينيها، وتسير إلى الخزانات المقابلة لي، مستندة إليها لتواجهني.

ـ «هل هذا يهمك؟»

يجب ألا يهمني، لكنه يهمني بالفعل. لا أعرف أي نوع من الأشخاص هي، لكن جرايسون لا يستحقها. لذا، هذا يهمني.

أقول: «إنه وغد».

تردها لي قائلةً: «أحيانًا تكون أنت كذلك».

ـ «إنه ليس جديرًا بكِ».

تضحك وترفع عينها تجاه السقف، وهي تهز رأسها، وتقول: «وأنت جدير بي؟».

أتجهم. إنها لا تفهمني تمامًا. أستدير لأواجه الخزانات وأضرب إحداها بكف مفتوح، محررا بعض الإحباط الذي سببته لي بعنادها. عندما أسمع صدى الصوت في المدخل أرتعد، لقد أتى الصوت أقسى قليلًا مما أقصد.

لكنني غاضب وأكره أنني غاضب، لأنني يجب ألا أهتم من الأساس. ليز ليست هنا ليؤلمها جرايسون، لذا لماذا أهتم؟

لأنني لا أريدها معه، وهذا هو السبب.

أستدير وأواجهها مجددًا.

ـ «لا تجعليني جزءًا من هذا، أنا أتحدث عن جرايسون، ليس أنا. يجب ألا تبقي معه. ليست لديكِ فكرة عن أي نوع من الأشخاص هو».

تدير عينيها باتجاه الخزانة، وقد سئمت مني. تقول: «يومان يا هولدر. لقد عرفتك طوال يومين».

تركل الخزانة، وتسير تجاهي، وهي تنظر إليَّ بغضب، وتقول: «في هذين اليومين، رأيت خمسة جوانب مختلفة منك، وواحد منها فقط بدا جذابًا. حقيقة أنك تفكر أن لك أي حق في أن تتفوه برأي عني أو عن قراراتي أمر سخيف».

أشهق من أنفي، وأزفر من أسناني المطبقة، لأنني مستاء، لأنها على حق. لقد رأتني، وأنا أتنقل بين الساخن والبارد أكثر من مرة في اليومين الماضيين، ولم أمنحها شرحًا واحدًا. تستحق شرحًا لسلوكي الشاذ المفرط في الحماية، لذا أحاول أن أمنحها شرحًا.

أقترب منها خطوة، وأقول: «لا أحبه. وعندما أرى أشياء كهذه..». أمر بإصبعي على الكدمة تحت عينيها، وأقول: «أراه يلف ذراعه حولكِ؟ سامحيني إذا كنت سخيفًا قليلًا».

في اللحظة التي تنتهي أصابعي من تتبع كدمتها، أفشل في أن أنزعها عن خدها. تضطرب أنفاسها وتتسع عيناها ولا أستطيع إلا أن ألاحظ رد فعلها الواضح على لمستي. لدي رغبة ملحة في أن أمرر يدي خلال شعرها، وأن أقبِّلها، لكنها تبعد عني وتعود خطوة إلى الوراء.

ـ «تظن أنني يجب أن أبعد عن جرايسون، لأنك خائف من أن يكون لديه طبع سيئ؟»

تضِيق عيناها وتميل برأسها، وتقول: «ألا تظن أنك منافق قليلًا؟».

أبقي عينيَّ معلقتين بها، بينما أستوعب تعليقها. إنها تقارنني بجرايسون؟

عليَّ أن أستدير بعيدًا عنها، حتى لا ترى خيبة الأمل على وجهي. أمسك بمؤخرة عنقي بكلتا يدي، ثم أستدير ببطء لأواجهها، بينما أبقي عيني مصوبتين على الأرض.

أقول بتنهيدة مهزومة: «هل ضربكِ؟». أعاود النظر إليها مباشرةً في عينها. وأقول: «هل سبق له أن ضربكِ على الإطلاق؟».

لا تجفل أو تشيح ببصرها، تهز رأسها فقط. ثم تقول بنعومة: «لا. لقد أخبرتك، كانت حادثة».

أستطيع أن أرى من رد فعلها أنها تقول الحقيقة. لم يضربها، ولم يسبق له أن ضربها، وأنا أكثر ارتياحًا الآن، لكنني ما زلت مشوشًا، إذا كانت لا تواعده، وهو حقًّا لم يضربها، إذًا، ما صلتها به؟ هل تريد أن تواعده؟ لأنني متأكد أنني لا أريدها أن تفعل ذلك.

تدق الأجراس بمجرد أن أفتح فمي لأسألها عن علاقتها بجرايسون. يمتلئ المدخل بالطلبة، وهي تتوقف عن النظر إليَّ، وتعود إلى الكافيتريا.

***

لم أرَ دانيال مرة أخرى، ولم أحضر حصة أخرى مع سكاي، ما أحبطني. لا أعرف لماذا مع ذلك. لا يبدو أننا نتناقش دون أن ننتهي بجدال، لكن هذا لا يوقف رغبتي في مناقشتها مرة أخرى.

أترك كتبي في خزانتي، ما زلت لست متأكدًا، إذا كنت سأعود غدًا. أمسك مفاتيحي، وأتجه إلى موقف السيارات. على بعد خطوات عدة من سيارتي، أرى جرايسون مستندًا إليها. أتوقف وأقيِّم الوضع. ينظر إليَّ ببرود، لكنه وحده. لست متأكدًا ماذا يريد أو لماذا يلمس سيارتي؟

ـ «جرايسون، أيًّا كان الأمر أنا لست مهتمًّا. دع الأمور تمر فحسب».

أنا لست في مزاج جيد الآن، وعليه أن يترك سيارتي حقًّا.

يقول وهو يدفع السيارة بقدمه: «أتعرف»، ثم يعقد ذراعيه فوق صدره ويسير تجاهي، ويقول: «أنا حقًّا أريد أن أدع الأمور تمر يا هولدر. لكن لسبب ما، يبدو أنك تركز مع أموري، أنت حقًّا تجعل من المستحيل أن أدعها تمر».

هو في متناول قبضتي الآن، وهذا ليس من الذكاء بالنسبة له. أبقي عينيّ مصوبتين تجاهه، لكنني أراقب يديه خارج هامش بصري.

يقول وهو يسير بغباء ليكون أقرب مني: «لقد عدت منذ أقل من يوم، وتدخلت في أموري مرة أخرى. سكاي خارج حدودك يا هولدر. لا تتحدث معها. لا تنظر إليها».

لا أصدق أنني ما زلت أسمح له بالحديث.

ـ «لا تقترب منها. آخر ما أريده أن تقتل واحدة أخرى من صديقاتي الحميمات نفسها بسببك».

أنا في هذه اللحظة.

اللحظة عندما تغرق الأفكار العقلانية في الغضب.

اللحظة عندما يخنق فيها الغضب ضمير الإنسان.

اللحظة عندما تظهر على السطح كل المشاعر المكبوتة التي كانت لدي لثلاثة عشر شهرًا، وهذا حقًّا شعور مريح. سيشعر وجهه أيضًا بشعور جيد للغاية أمام قبضتي الآن، والتفكير في

هذا، يجعلني أبتسم، بينما أشد قبضتي، وأستنشق نفسًا.

لكن سرعان ما يصبح جرايسون فكرة غير مُلحة، عندما أنظر خلف كتفه، وأرى سكاي في موقف السيارات تستقل سيارتها. هي حتى لم ترمق موقف السيارات لتبحث عن جرايسون. ركبت سيارتها فقط، وأغلقت الباب ورحلت.

إنها هذه اللحظة التي أدركت فيها مدى هراء جرايسون.

لم يجلسا معًا في الغذاء.

لم تكن معه في حفلة ليلة السبت. لم تنتظره بعد المدرسة.

لم تبحث عنه في موقف السيارات الآن.

كل شيء أصبح في مكانه.

بينما يعود جرايسون خطوة إلى الخلف، يقيس رد فعلي، وينتظر مني أن أتصرف بغضب، مثلما يتوقع تمامًا. لا تهتم سكاي به. وهذا هو سبب ضيقه من أنني كنت أتحدث معها في المدخل. هي لا تطيقه، وهو لا يريدني أن أعرف ذلك.

أردد لنفسي: هو لا يستحق.

أراقب، بينما تغادر سكاي موقف السيارات، ثم ببطء أركز بصري على جرايسون. أُصبحُ هادئًا بغرابة بعد أن توصلت لهذا الإدراك الجديد، لكن فكه مطبق أكثر من قبضتيه. يريدني أن أتشاجر معه. يريدني أن أُطرد من المدرسة.

هو لا يستحق أن يحصل على أي شيء لعين يريده.

أرفع ذراعي. تلاحق عيناه يدي، ويرفع يديه في وضع الدفاع. أشير بالمفتاح تجاه سيارتي، وأنقر الزر فتنفتح أبوابها. أسير في صمت حوله وأركب سيارتي، ثم أغادر موقف السيارات، دون أن أمنحه رد الفعل الذي يأمله.

تبًّا له. إنه لا يستحقه.

الفصل العاشر

أفتح باب الثلاجة لأنني جائع، لكن ليس لدي أي شيء لآكله منذ ثلاثة عشر شهرًا. لم آخذ ولو قضمة واحدة من الطعام منذ ماتت ليز، ومن الغريب أنني ما زالت حيًّا طوال هذا الوقت.

احتاج مصباح الثلاجة لحظة ليعمل، حتى بعد أن فتحت الباب. بمجرد أن أضيئت محتويات الثلاجة، أحبطت فورًا. كل رف معبأ بجينز ليز. كلها مطوية بعناية على أرفف الثلاجة، ما ضايقني، لأن هذا المكان الذي يفترض أن يكون به الطعام، وأنا جائع للغاية.

أفتح أحد الأدراج آملًا أن أجد طعامًا مخبأ هناك، لكن لا يوجد طعام. بنطال آخر مطوٍ بعناية. أغلقه وأفتح الدرج الآخر، فأجد بنطالها هناك أيضًا.

كم بنطال تحتاج إليه؟ ولماذا البنطال في الثلاجة في المكان الذي يفترض أن يكون به الطعام؟

أغلق باب الثلاجة، وأفتح المثلج، لكنني أجد الشيء نفسه، البنطال مجمد هذه المرة. كلها في أكياس المثلج الملصق عليها «بنطال ليز». أغلق باب المثلج بانزعاج، وأستدير تجاه مخزن المؤن، آملًا أن أجد شيئًا يُؤكل.

أسير تجاه طاولة المطبخ، وأنظر إلى الأسفل.

ثم أراها.

أعتصر عيني، أغمضهما وأفتحهما مرة أخرى، لكنها ما زالت هناك.

ليز مكومة في وضع الجنين على أرضية المطبخ، ظهرها ملاصق لباب مخزن المؤن.

هذا غير منطقي.

كيف أتت هنا؟

لقد ماتت منذ ثلاثة عشر شهرًا.

أشعر بالجوع الشديد.

تهمس: «دين».

عيناها تنفتحان وعلى الفور أجد أنه عليَّ أن أستند بيدي من أجل أن أثبِّت نفسي عند طاولة المطبخ. يصبح جسدي فجأة ثقيلًا جدًّا ليحملني، وأعود خطوة إلى الخلف تمامًا، قبل أن تنهار ساقي، وأسقط على ركبتي أمامها.

عيناها مفتوحتان باتساع، ولونهما رمادي بالكامل. لا حدقة، لا قزحية. مجرد عينين رماديتين متلألأتين تبحثان عني، وغير قادرتين على العثور عليَّ.

تقول مرة أخرى بهمس مبحوح: «دين». تمد ذراعيها تجاهي، دون أن ترى، وأصابعها تتحسس أمامها.

أريد أن أساعدها، وأريد أن أصل إليها، وأمسك بيدها، لكنني أضعف من أن أتحرك، أو أن جسدي يزن الكثير جدًّا. لا أعرف ما الذي يوقفني، لكنني فقط على بُعد خطوتين أمامها، وأفعل كل ما باستطاعتي لأرفع ذراعي وأمسك بيدها، لكنه لا يتحرك.

وكلما أصارع لأستعيد تحكمي في حركاتي، يصبح تنفسي أكثر صعوبة. هي تبكي الآن، وهي تنادي باسمي. صدري يضيق وحلقي يبدأ في الانسداد، والآن لا أستطيع حتى أن أهدئها بالكلمات، لأن لا شيء سيخرج مني. أحرك عضلات فكي، لكن أسناني مطبقة بشدة، وفمي لن ينفتح.

تشد نفسها للأعلى مستندة إلى مرفقيها، تقترب ببطء مني. تحاول أن تصل إليَّ، لكن عينيها الخاليتين من الحياة لا يجداني. هي تبكي بقوة أكبر الآن.

تقول: «ساعدني يا دين».

لم تنادني بدين منذ أن كنا أطفالًا، ولا أعرف لماذا تناديني دين الآن؟ لا أحب هذا

أغمض عيني، وأحاول أن أركز على أن يخرج صوتي، أو تتحرك ذراعي، لكن كل تركيز العالم لا يستطيع أن يساعدني الآن.

تبكي وتقول: «دين، أرجوك»، لم يكن صوتها، إنه صوت طفل، ويترجى الطفل قائلًا: «لا تذهب».

أفتح عيني، ولم تعد ليز هنا، شخص آخر أخذ مكانها. تجلس فتاة صغيرة مسندةً ظهرها إلى باب مخزن المؤن، وتدفن رأسها بين ذراعيها الملتفتين بإحكام حول ساقيها.

هوب.

ما زلت لا أستطيع أن أتحرك أو أتكلم أو أتنفس، وصدري يصبح أضيق وأضيق مع كل تنهيدة تصدر من جسد الفتاة الصغيرة. كل ما أستطيعه أن أجلس وأشاهدها تبكي، لأنني غير قادر جسديًّا حتى على أن أدير رأسي أو أغمض عيني.

تقول: «دين»، وصوتها مكتوم في ذراعيها ودموعها. إنها المرة الأولى التي أسمعها تقول اسمي منذ اليوم الذي خطفت فيه، وهذا يطرد النفس الصغير المتبقي فيَّ. وترفع رأسها ببطء عن ذراعيها، وتتسع عيناها. إنهما جامدتان ورماديتان، تمامًا مثل عيني ليز، تسند رأسها إلى باب مخزن المؤن، وتمسح دمعة بظهر يدها.

تهمس: «لقد وجدتني».

لم يعد صوت الفتاة الصغيرة بعد الآن، فقط في هذه المرة. ليس حتى صوت ليز.

إنه صوت سكاي.

الفصل الحادي عشر

أفتح عيني، ولم أعد بعد الآن على أرضية المطبخ.

أنا في سريري.

ومغطى بالعرق.

وألهث.

الفصل الثاني عشر

لم أستطع العودة إلى النوم ليلة أمس بعد الكابوس. بقيت مستيقظًا منذ الثانية صباحًا، والساعة الآن تخطت السادسة.

أدخل إلى الطريق الخاص، عندما أصل إلى منزلها. أمدد ساقي أمامي، وأميل إلى الأمام ممسكا بقدمي، بينما أمدد عضلات ظهري. لقد توترت لأيام، ويبدو أنه لا شيء يساعدني.

قبل أن أذهب إلى النوم في الليلة الماضية، لم تكن لدي نية للركض معها مرة أخرى اليوم، لكنني كنت أجلس وحدي مستيقظًا تمامًا لأكثر من أربع ساعات، والشيء الوحيد الذي ناشدني من بعيد، هو التفكير في رؤية سكاي مرة أخرى.

لم تكن لدي نية للعودة إلى المدرسة اليوم، لكن يبدو أن هذا أكثر جاذبيةً من البقاء في المنزل طوال اليوم. إنه مثل أنني أعيش دقيقة بدقيقة من اللحظة التي عدت فيها إلى أوستن في الأسبوع الماضي. لست متأكدًا بين الثانية والأخرى ماذا أفعل أو أين سأكون، أو حتى أي إطار ذهني سأكون فيه.

لا أحب حالة عدم الاستقرار.

ولا أحب أن أكون في بيتها مجددًا اليوم، منتظرًا إياها لتخرج حتى تركض في الصباح. لا أحب الشعور بالرغبة في البقاء حولها. لا يعجبني أنني لا أريدها أن تصدق الشائعات حولي. أنا لا أهتم عندما يصدقها أي شخص آخر. فلماذا أهتم إن صدقتها هي؟

يجب فقط أن أعود إلى البيت، وأدعها تصدق أيًّا كان ما تريد أن تصدقه.

أقف محاولًا أن أرحل، لكنني أقف هنا فقط لأنتظرها. أعرف أنني أحتاج إلى أن أرحل، وأعرف أنني لا أريد أن أتورط مع أي شخص مهتم، ولو من بعيد، بجرايسون، لكنني لا أستطيع فعل ذلك. لا أستطيع أن أرحل لأن رغبتي في أن أراها مجددًا أكثر بكثير من رغبتي في أن أرحل. يأتي ضجيج من جانب بيتها، لذا أتقدم خطوات عدة لأرى ما يحدث. إنها تتسلق خارجة من النافذة.

مجرد رؤيتها مرة أخرى، حتى لو من مسافة، تذكرني لماذا أتوق لأبقى حولها بشدة. مضت فقط بضعة أيام، لكن من اللحظة التي قابلتها فيها، بصرف النظر أين، أتساءل باستمرار عنها. انتباهي دائمًا منصب عليها، كأنني بوصلة، وهي شمالي.

بمجرد أن خرجت، توقفت ونظرت إلى السماء مستنشقة نفسًا عميقًا. آخذ خطوات عدة مترددة تجاهها.

ـ «هل تخرجين من النافذة دائمًا أم أنكِ فقط أردتِ أن تتجنبيني؟»

تستدير متسعة العينين. أحاول ألا أجعل عيني تنزلان تحت عنقها، لكن مع الأشياء التي أراها تركض بها، من الصعب ألا أحدق فيها.

استمر في النظر إلى وجهها. تستطيع أن تفعلها.

ترمقني، لكنها لا تنظر في عيني. عيناها معلقتان ببطني ولدي فضول أن أعرف إذا كان هذا بسبب أنها تحب أنني لا أرتدي قميصًا، أم أن هذا بسبب أنها لا تطيقني، حتى إنه من الصعب عليها أن تنظر في عيني.

ـ «إذا كنت أريد أن أتجنبك، كنت سأبقى فقط في السرير».

تسير أمامي وتنحني على الطريق الخاص. أكره أن صوتها يفعل أشياءً بجسدي لا يمكن لأي صوت آخر أن يفعلها، لكنني أحبه وأريدها أن تستمر في الحديث، حتى إذا كانت فظة أغلب الوقت.

أشاهدها، وهي تدفع ساقيها أمامها، وتبدأ في تمرينات الإحماء. تبدو هادئة تمامًا اليوم، رغم حقيقة أنني ظهرت. أتوقع نوعًا ما أن تقول لي اذهب إلى الجحيم بعد الطريقة التي تركنا بها الأمور في المدخل أمس.

أقول وأنا أجلس أمامها على الرصيف: «لم أكن متأكدًا أنكِ ستأتين اليوم».

ترفع رأسها وتنظر في عيني هذه المرة.

ـ «لماذا أفعل ذلك؟ أنا لست صاحبة المشكلات. إلى جانب أنه لا أحد منًّا يمتلك الطريق».

مشكلات؟

تظن أن لدي مشكلات؟

أنا لست من أتغذى على الشائعات مثلها. لست من يضع الملصقات على خزانتها، ولا ضمن الكثيرين في المدرسة الذين يعاملونها مثل النفايات. إن كان هناك شيء حولي، فهو أنني أحد القلائل الذين يعاملونها بلطف.

لكنها تظن أنني الشخص الذي لديه مشكلات؟

أقول وأنا أماثل وضعيتها في الجلوس: «أعطني يديكِ. أريد أن أتمدد أيضًا».

ترمقني بنظرة ثاقبة، لكنها تمسك بيدي، وتميل إلى الخلف جاذبةً إياي للأمام. أقول: «للعلم، لم أكن الشخص صاحب المشكلة أمس».

أستطيع أن أشعر بميلها للوراء أكثر، مشددة قبضتيها على رسغي.

تسألني: «هل تلمح أنني الشخص صاحب المشكلة؟».

ـ «ألستِ أنتِ؟»

تقول: «وضَّح. لا أحب الغموض».

هي لا تحب الغموض.

مضحك، لأنني أيضًا لا أحبه. أنا أحب الحقيقة، وهذه بالضبط النقطة التي أحاول توضيحها لهذه الفتاة.

ـ «سكاي، إذا كان هناك شيء واحد يجب أن تعرفيه عني، فهو أنني لست غامضًا. أخبرتك أنني سأكون صادقًا معكِ فقط، وبالنسبة لي، الغموض وعدم الأمانة هما الشيء نفسه».

أغير وضعيتنا، وأشدها إلى الأمام، بينما أميل إلى الوراء. تقول: «لقد منحتني إجابة غامضة جدًّا».

ـ «أنتِ لم تسأليني سؤالًا. لقد أخبرتكِ من قبل، إذا أردتِ أن تعرفي شيئًا فقط اسألي. تظنين أنكِ تعرفينني، ومع ذلك فأنتِ لم تسأليني عن أي شيء أبدًا».

تُلمِّح قائلةً: «أنا لا أعرفكِ».

أضحك، لأنها على حق بالتأكيد. هي لا تعرفني بالمرة، لكن يبدو أنها متسرعة في إطلاق الأحكام.

أنا لا أعرف لماذا أزعجها. من الواضح أنها لا تريدني أن أزعجها. عليَّ فقط أن أرحل وأدعها تفكر في الذي تريد أن تفكر فيه أيًّا كان.

أفلت يديها وأقف، أقول: «انسي الأمر»، أستدير لأذهب. بقدر ما أحب أن أكون حولها، لست على استعداد لتحمل المزيد.

تقول وهي تتبعني: «انتظر».

توقعت أن تتركني فقط أرحل. سماع كلمة «انتظر» تخرج من فمها مع معرفتي أنها تتبعني، فعلت هذا الشيء بصدري الذي يجعلني أشعر بالحياة مجددًا، وهذا يضايقني، لأنني لا أريد أن يكون لها هذا الأثر فيَّ.

تسألني، وقد لحقت بي: «ماذا قلت؟ أنا لا أعرفك. لماذا أنت منزعج مني مرة أخرى؟». منزعج؟

يجعلني اختيارها للكلمات أريد أن أبتسم، لكن حقيقة أنها لا تعرف أنها هي التي كانت منزعجة ليومين أزعجتني للغاية. أتوقف عن السير، وأستدير لأواجهها، متقدمًا خطوتين تجاهها.

ـ «أخمِّن أنني بعد قضاء وقت معكِ خلال الأيام القليلة الماضية، اعتقدت أنني سأحصل على رد فعل مختلف قليلًا منكِ في المدرسة. لقد منحتكِ العديد من الفرص لتسأليني عمَّا تريدين أن تسأليني عنه، لكن لسبب ما تريدين أن تصدقي كل ما تسمعينه، رغم حقيقة أنكِ لم تسمعي شيئًا منه مني. ويأتي هذا من شخص له نصيبه الخاص من الشائعات، توقعت أن تكوني أقل سرعة في الحكم على الناس».

تضيِّق عينيها، وتضع يديها على ردفيها.

ـ «إذًا هذا هو الموضوع؟ تظن أن الفتاة الجديدة سيئة السمعة يجب أن تتعاطف مع الأحمق الذي يضرب المثليين؟»

أتأوه من الإحباط، وأكره أن أراها تشير إلى نفسها بهذا.

ـ «لا تفعلي هذا سكاي».

تتقدم خطوة مني.

ـ «لا أفعل ماذا؟ أدعوك بالأحمق الذي يضرب المثليين؟ حسنًا. دعنا نمارس سياستك في الصدق. هل ضربت أم لم تضرب هذا الطالب في العام الماضي بقسوة، ما جعلك تقضي عامًا معاقبًا في الأحداث؟»

أريد أن أمسكها من كتفيها وأهزها من إحباطي المحض. لماذا لا ترى أنها تتصرف مثل الآخرين؟ أعرف أنها ليست مثلهم، لذا لا أفهم سلوكها على الإطلاق. أي شخص يتخلص من الشائعات حوله ليس بالنوع الذي ينشر الشائعات. لذا، لماذا حقًّا تصدقهم؟

أنظر إليها بقوة في عينيها.

ـ «عندما قلت لا تفعلي هذا، لم أكن أشير لإهانتكِ لي. كنت أشير إلى إهانتكِ لنفسكِ».

ألغي المسافة بيننا، وعندما أفعل ذلك تأخذ نفسًا صغيرًا من الهواء، وتغلق فمها. أخفض صوتي، وأؤكد الجزء الوحيد الحقيقي من الشائعات.

ـ «نعم. ضربت هذا الأحمق حتى اقترب من الموت، وإذا كان الحقير يقف أمامي الآن، سأفعل هذا مجددًا».

حدقنا بعضنا في بعض بصمت. نظرت إلي بمزيج من الغضب والخوف، أكره أنها تشعر بأي من تلك الأشياء. أخذت خطوة بطيئة إلى الخلف، صانعةً مسافة بيننا، لكنها لم تتوقف عن تحديقها الثابت.

تقول بفتور: «لا أريد أن أركض معك اليوم».

ـ «لا أشعر حقًّا بأنني أريد أن أركض معك أيضًا».

أستدير في الوقت الذي تفعل فيه الشيء نفسه، وعلى الفور لا أشعر إلا بالندم. لم أحقق أي شيء بحضوري إلى هنا اليوم. إذا كان هناك شيء، فهو أنني جعلت الأمور أسوأ معها. لم يكن علي أن آتي، وأخبرها أن أغلب ما تعتقد أنها تعرفه عني كذب. يجب ألا أشرح نفسي لأحد، ولا حتى هي عليها فعل ذلك.

لكنني نادم على أنني لم أشرح نفسي، لأنني أريدها أن تعرف أنني لست هذا الفتى.

أنا فقط لا أعرف لماذا أريدها أن تعرف هذا.

الفصل الثاني عشر ونصف

ليز،

أتذكرين عندما كنا في الرابعة عشرة وكنت معجبًا بآفا؟ بالكاد عرفتها، لكنني أجبرتكِ أن تصبحي صديقةً لها حتى تأتي إلى البيت، وتقضي الوقت معكِ. كانت أول فتاة أقبّلها، تواعدنا لأسبوعين قبل أن تصبح مزعجة للغاية لأعصابي. لسوء الحظ، في الوقت الذي انفصلنا فيه كنتِ قد أحببتِها، ثم أصبحت مجبرًا على رؤيتها باستمرار لعام كامل بعد ذلك، حتى انتقلت إلى مكان آخر.

أعرف أنكِ حزنتِ عندما رحلتْ، لكنني ارتحت للغاية. من المحرج أن أتعامل معها بانتظام بعد هذا.

أعرف أيضًا أنها كانت قسوة مني أن أدفعك لمصادقتها فقط حتى تأتي وتقضي الليل في بيتنا. أعتقد أنني تعلمت درسي، ولم أطلب منكِ هذا مرة أخرى أبدًا.

حسنًا، لم أتعلم درسي. تمنيت اليوم لو ما زلتِ هنا، لأسباب أنانية بحتة، لأنني كنت سأمنحكِ أي شيء في مقابل أن تكوني صديقة لسكاي. بعد الركض معها هذا الصباح، أستطيع أن أرى بوضوح أنها مزعجة وغير منطقية وعنيدة وخلابة، وأريد بشدة أن أتوقف عن التفكير فيها، لكنني لا أستطيع.

إذا كنتِ هنا، كنت سأطلب منكِ أن تكوني صديقة لها، حتى يصبح لديها سبب لتأتي إلى بيتنا، حتى ونحن الآن في الثامنة عشرة وليس في الرابعة عشرة، لكنني أريد عذرًا لأتحدث معها ثانية.

أريد أن أمنحها فرصة أخرى لتسمعني، لكنني لا أعرف كيف أفعل هذا. لا أريد أن أفعله في المدرسة، ولن نركض معًا بعد الآن، ولا يمكنني الذهاب إلى بيتها، ونقر الباب الأمامي، ولا أستطيع أن أرى طريقة للحديث معها. انتظري. هذه حقًّا ليست فكرة سيئة. شكرًا ليز.

هـ.

الفصل الثالث عشر

أسأل دانيال ونحن نتجه إلى موقف السيارات: «هل سنخرج الليلة؟». عادةً نفعل شيئًا في ليالي الجمعة، لكن الليلة تمنيت حقًّا أن يقول لا. قررت قبل أيام عدة الذهاب إلى بيت سكاي الليلة، لأحاول الحديث معها. لا أعرف إن كانت فكرة جيدة، لكنني أعرف أنني لو لم أحاول على الأقل، سوف أجن من التساؤل، إن كانت زيارتي ستصنع فارقًا.

يقول دانيال: «لا أستطيع. سوف أخرج مع فال. قد نفعل شيئًا في ليلة غد. سوف أتصل بك».

أومئ، ويستدير متجهًا إلى سيارته، وأفتح بابي، ثم أتوقف عندما أرى سيارة سكاي بزاوية عيني. إنها تستند إليها، تتحدث إلى جرايسون.

بالنظر إليهما، يبدو أنهما يفعلان ما هو أكثر من الحديث. سأكون كاذبًا إذا لم أعترف أن رؤية يديه عليها تشد كل عضلة في جسدي بقوة. أرتكز بذراعي على الباب، وأشاهدهما بحمق لأعذب نفسي.

من مكاني، هي لا تبدو سعيدة. تدفعه بعيدًا عنها، وتبعد عنه خطوة. تشاهده بينما يتحدث، ثم يتحرك ويلف ذراعه حولها مرة أخرى. أقف بعيدًا عن سيارتي بخطوة، مستعدًّا للسير خلال موقف السيارات لأسحبه بعيدًا عنها. يبدو أنها لا تريده أن يلمسها، لكنني أتوقف وأعود خطوة إلى الخلف، عندما أجدها تلين وتستسلم له. بمجرد أن يميل ويقبِّلها، أشيح ببصري.

عمليًّا من المستحيل المشاهدة. أنا لا أفهمها، لا أفهم ماذا ترى فيه، ولا أفهم لماذا لا يبدو أنها تتحملني، بينما هو الأحمق الحقيقي. ربما أنا مخطئ حيالها. ربما تكون فعلًا مثل الآخرين. ربما أنا من تمنيت أن تكون مختلفة من أجل مصلحتي الخاصة.

وربما لا.

أنظر إليهما مجددًا، أرى رد فعلها على ما يفعله. ذراعاه ما زالا حولها، ويبدو أنه ما زال يقبل عنقها أو كتفها أو أيًّا كان. لكنني أكاد أقسم أنها فقط أدارت عينيها.

تنظر الآن إلى ساعتها غير مستجيبة له تمامًا. تنزل ذراعها، وتضع يديها جانبها، وهي مجرد واقفة هناك، تبدو غير مقتنعة به أكثر من كونها مهتمة.

أستمر في مشاهدتهما، ويستمر ارتباكي في الازدياد من عدم اهتمامها. تفتقد تعبيراتها الحياة، حتى تلتقي عيناها بعينيَ. يتوتر جسدها كله، وتتسع عيناها. على الفور تنظر بعيدًا، وتدفع جرايسون بعيدًا عنها. توليه ظهرها، وتدخل سيارتها. أنا بعيد جدًّا لأسمع ما قالته له، لكن حقيقة أنها تقود سيارتها بعيدًا، وهو يرفع يديه، ويحركهما ببذاءة غضبًا منها، تقول إن ما قالته له أيًّا كان، ليس على الإطلاق ما يريد أن يسمعه.

أبتسم.

ما زلت مرتبكًا، وغاضبًا، ومذهولًا، وأخطط للظهور أمام باب بيتها الليلة. خاصة بعد مشاهدة ما شاهدته للتو.

***

أدق الجرس وأنتظر.

أنا عصبيٌّ للغاية الآن، لكني فقط لا أملك أي فكرة عن رد فعلها عند رؤيتي على باب بيتها. لا أعرف ماذا سأقول لها حقًّا بمجرد أن تفتح لي الباب.

أدق جرس الباب مرة أخرى بعد أن انتظرت ثواني عدة. من المؤكد أنني آخر شخص ستتوقع رؤيته هنا ليلة الجمعة.

سحقًا. إنها ليلة الجمعة. من المحتمل ألا تكون في البيت.

أسمع خطوات أقدام في طريقها إلى الباب وينفتح. تقف أمامي مرتبكة في فوضى. تجمع شعرها للخلف على نحو مهمل، لكن بعض الخصل تسقط حول وجهها. لديها مسحوق أبيض يغبِّر أنفها وخدها، وأيضًا بعض الخصل التي تؤطر وجهها. تبدو جميلة ومصدومة.

مرت ثوانٍ عدة، ونحن واقفان هنا، أدرك أنني على الأرجح يجب أن أكون الشخص الذي سيتحدث الآن، بما أنني الشخص الذي ظهر في بيتها.

يا إلهي، لماذا كل شيء حولها يطردني هكذا؟

تقول: «مرحبًا».

صوتها الهادئ كأنه نسمة من هواء منعش. لا يبدو أنها غاضبة من أنني هنا دون إخبارها. أقول ردًّا على تحيتها: «أهلًا».

صمت آخر، وهي تميل رأسها جانبًا، وتحدق وتجعد أنفها، ومن الواضح أنها ليست متأكدة ماذا ستفعل أو تقول بعد ذلك.

ـ «هل أنتِ مشغولة؟»

أسألها وقد عرفت فقط من فوضى مظهرها، أن أيًّا كان ما تفعله، فهي تعمل عليه بجدية.

تستدير، وتنظر إلى الخلف تجاه منزلها، ثم تواجهني مرة أخرى.

ـ «نوعًا ما».

نوعًا ما.

آخذ ردها كما هو. من الواضح أنها تحاول ألا تكون فظة، لكنني أستطيع أن أرى أن فكرتي الحمقاء في أن أظهر دون أن أخبرها، كانت مجرد فكرة حمقاء.

أرمق سيارتي في الخلف، أقيس كم يبعد طريق العار الذي أنا على وشك أن أسيره. أقول مشيرا خلف كتفي على سيارتي: «نعم، أظن أنني سأرحل». أعود خطوة إلى الخلف، وأبدأ في الاتجاه نحو سيارتي، آملًا لو كنت في أي مكان غير هذا المأزق المحرج.

تقول بسرعة: «لا». تعود خطوة إلى الوراء وتفتح الباب لي.

ـ «تستطيع أن تدخل، لكن ربما عليك أن تعمل».

تتغلب راحة فورية عليَّ، وأومئ، وأنا أسير إلى الداخل. نظرة سريعة إلى غرفة المعيشة ترجح أنها ربما وحيدة في البيت الآن. أتمنى ذلك، لأن هذا سيجعل الأمور أسهل بكثير، إذا كنا وحدنا هنا.

تسبقني إلى المطبخ، وتلتقط كوبًا معياريًّا، وتستكمل ما كانت تفعله قبل أن أظهر على عتبة بابها. تدير ظهرها إليَّ وهي هادئة. ببطء أتخذ طريقي إلى المطبخ، وأنظر إلى المخبوزات المصفوفة على البار.

أسألها، وأنا في طريقي إلى منضدة المطبخ فلا يصبح ظهرها كاملًا لي: «هل تستعدين للمشاركة في معرض خيري للمخبوزات؟».

تقول وهي ترمقني: «أمي خارج المدينة في نهاية عطلة الأسبوع. هي ضد السكريات، لذا أتصرف بطيش ـ نوعًا ما ـ عندما لا تكون هنا».

أمها خارج المدينة، لذا هي تخبز؟ أنا حقًّا لا أستطيع فهم هذه الفتاة. أصل إلى صحن الكوكيز الذي بيننا على البار وألتقط واحدة، ناظرًا إليها في انتظار إذن لأجربها.

تقول: «اخدم نفسك. لكن، احذر، ليس لأنني أحب أن أخبز، يعني أنني جيدة في ذلك». تعيد تركيزها على الأطباق التي أمامها.

ـ «إذًا البيت لكِ وحدكِ، وتمضين ليلة الجمعة في الخبز؟ مراهقة نموذجية».

أغيظها، وآخذ قضمة من الكوكيز. يا إلهي. إنها تعرف كيف تخبز. أحببتها أكثر.

تسأل وهي تهز أكتافها: «ماذا يمكن أن أقول؟ أنا عنيدة».

أبتسم، ثم أنظر إلى صحن الكوكيز ثانية. هناك العشرات منها وأنا أخطط لأكل نصف الكمية على الأقل قبل أن تطردني من بيتها. سأحتاج إلى حليب.

ما زالت تركز كليًّا على الطبق أمامها، لذا أعتمد على نفسي لأجد كوبًا لي.

أسألها وأنا في طريقي إلى الثلاجة: «هل لديكِ حليب؟». لا تجيب عن سؤالي، لذا أفتح الثلاجة، وآخذ الحليب، وأصب لنفسي في الكوب. أنهي بقية الكوكيز، ثم أشرب. أجفل لأن هذا الشيء أيًّا كان، فهو ليس بحليب حقيقي، أو أنه فاسد. أرمق الملصق قبل أن أغلق الثلاجة، وأرى أنه حليب اللوز. لا أريد أن أكون فظًّا، لذا آخذ جرعة أخرى وأستدير.

تنظر إليَّ مباشرة بحاجبين مقوسين. أبتسم، وأقول: «يجب ألا تقدمي الكوكيز بلا حليب، تعرفين ذلك. أنتِ مضيفة مثيرة للشفقة». أسحب كعكة أخرى، وأجلس عند البار. تبتسم قبل أن تستدير لتواجه منضدة المطبخ ثانية.

ـ «أحاول أن أحتفظ بضيافتي للضيوف المدعوين».

أضحك: «أووو».

السخرية في صوتها لطيفة، لأنها تساعد على إزالة قلقي. تشغِّل العجانة، وتبقي تركيزها على الطبق الذي أمامها. أحب أنها لم تسألني لماذا أنا هنا. وأعرف أنها تتساءل ماذا أفعل هنا، لكنني أيضًا أعرف من تعاملي السابق معها أنها عنيدة بشكل لا يصدق، ولن تسألني على الأرجح ماذا أفعل هنا، مهما كان قدر فضولها لأن تعرف.

تغلق العجانة، وتنزع شفرات الخلط، ثم تجلب إحداها لفمها وتلعقها.

تبًّا.

أبلع ريقي.

تقول وهي تحمل واحدة لي لآخذها: «تريد واحدة؟ إنها شوكولاتة ألمانية».

ـ «كم أنتِ مضيافة».

تقول وهي تغيظني: «اخرس والعقها وإلا سأبقيها لنفسي». تبتسم، ثم تذهب إلى الخزانة، وتملأ كوبًا من الماء، وتقول: «تريد بعض الماء أم ستستمر بالتظاهر بأنك تستطيع أن تشرب هذا الهراء النباتي؟».

أضحك، وعلى الفور أدفع بكوبي نحوها.

ـ «كنت أحاول أن أكون لطيفًا، لكنني لا أستطيع أن آخذ جرعة أخرى من هذا الشيء الفظيع. نعم، ماء من فضلكِ».

تضحك وتملأ كوبي بالماء، ثم تجلس في كرسي قريب مني. تلتقط براوني، وتأخذ منها قضمة، وهي تتواصل معي بعينيها. لا تتكلم لكنني أعرف أن لديها فضولًا لماذا أنا هنا. عدم سؤالها يجعلني أُعجبُ بعنادها.

أعرف أن عليَّ أن أبدي سببًا لظهوري المفاجئ، لكنني عنيد قليلًا بدوري، وأشعر برغبة في تأجيل هذا الشيء معها لفترة أطول قليلًا. أنا مستمتع بهذا.

نشاهد بعضنا بعضًا في صمت حتى تنتهي من البراونيز. تجعل الطريقة التي تكاد تبتسم بها لي بينما تأكل، نبضي يتسارع، ولا أنظر بعيدًا عنها، أخاف أن أنفجر بكل شيء أريد أن أخبرها به كله مرة واحدة.

حتى أتجنب هذا، أقف وأسير إلى غرفة المعيشة لألقي نظرة. لا أستطيع أن أراها، وهي تأكل مرة أخرى، وأريد أن أعيد تركيز انتباهي على لماذا أنا هنا، لأنني بدأت أنسى.

هناك صور عدة معلقة على جدران الغرفة، أقترب منها لألقي نظرة. لا يوجد لها أي صور لأبعد من سنوات عدة، لكن الصور التي كانت فيها صغيرة، تتناقض مع شكلها الآن. إنها حقًّا تبدو مثل هوب.

إنه شيء سيريالي، أن تنظر في هاتين العينين البنيتين الكبيرتين للفتاة الصغيرة في الصورة. إذا لم تكن في العديد من الصور تظهر مع أمها، كنت سأقتنع أنها حقًّا هوب.

لكنها لا يمكن أن تكون هوب، لأن أم هوب ماتت منذ كانت فتاة صغيرة. إلا إذا كانت كارين ليست أم سكاي.

أكره أن ذهني لا يزال هناك. أقول ملاحظًا الفرق الصغير في السن بينهما: «أمكِ تبدو حقًّا شابة».

ـ «إنها شابة».

ـ «أنتِ لا تشبهينها. هل تشبهين أباكِ؟»

تهز كتفيها، وتقول: «لا أعرف. لا أذكر كيف كان يبدو».

تبدو حزينة وهي تقول ذلك، لكن لدي فضول أن أعرف لماذا لا تذكر كيف يبدو.

ـ «هل أبوكِ ميت؟»

تتنهد، وأستطيع أن أرى أنها غير مرتاحة في الحديث عن هذا.

ـ «لا أعرف. لم أرَه منذ كنت في الثالثة».

من الواضح أنها لا تريد الدخول في تفاصيل، ثم أعود إلى المطبخ، وأستعيد مقعدي.

ـ «هذا كل شيء؟ لا توجد قصة؟»

ـ «هناك قصة. أنا فقط لا أريد أن أحكيها».

من الواضح أنني لن أحصل على أي معلومة منها الآن، لذا أغيِّر الموضوع.

ـ «الكوكيز جيدة. يجب ألا تقللي من قدراتكِ على الخبز».

تبتسم، لكن ابتسامتها تتلاشى بمجرد أن يصدر الهاتف المحمول الذي على منضدة المبطخ بيننا صوتًا، معلنًا وصول رسالة. أنظر إليه، بينما تقفز هي وتسرع إلى الفرن. تفتحه لتنظر إلى الكعكة، وأدرك أنها تظن أن الصوت آتٍ من الفرن، وليس من الهاتف.

ألتقط الهاتف بمجرد أن تغلق الفرن، وتستدير لتواجهني. أضحك ثم أقول: «لديكِ رسالة.. كعكتك بخير».

تدير عينيها، وتلقي بقفاز الفرن على منضدة المطبخ، ثم تعود إلى مقعدها. لدي فضول حول الهاتف المحمول، خاصة منذ أخبرتني في بداية الأسبوع أنها لا تملك واحدًا.

أقول، وأنا أرمق كل الرسائل، بينما أمرر إصبعي أسفل الشاشة: «ظننت أنه غير مسموح لكِ بامتلاك هاتف. أم أن هذا كان عذرًا مثيرًا للشفقة لتتجنبي إعطائي رقم هاتفكِ؟».

تقول: «غير مسموح لي. صديقتي المقربة أعطته لي في اليوم التالي. لا أستطيع فعل شيء منه إلا المراسلة».

ألف الهاتف لأجعله في مواجهتها.

ـ «ما نوع هذه الرسائل حقًّا؟»

أقرأ واحدة بصوت عالٍ:

سكاي أنتِ جميلة، ربما أروع مخلوقة في الكون، ولو قال لكِ أحد غير ذلك، سوف أقطّعه.

أطالعها، تجعلني الرسائل أكثر فضولًا حولها عن ذي قبل. أقول: «يا إلهي. كلهم مثل هذه. أرجوك أخبريني أنكِ لا ترسلين هذه لنفسكِ للتحفيز اليومي».

تضحك وتخطف الهاتف من يدي، وتقول: «توقف، أنت تفسد متعة ذلك».

ـ «يا إلهي، تفعلين ذلك؟ كل هذه الرسائل منكِ؟»

تقول مدافعة: «لا، إنهم من سيكس. إنها صديقتي المقربة، وهي في النصف الآخر من العالم وتفتقدني. لا تريدني أن أكون حزينة، لذا ترسل لي رسائل لطيفة كل يوم. أعتقد أن هذا جميل».

أقول: «ليس كذلك، تعتقدين أنها مزعجة، وغالبًا لا تقرئينها».

تقول، وهي تعقد ذراعيها في وضع دفاعي على صدرها: «إنها تقصد خيرًا».

أغيظها قائلًا: «سوف تفسدكِ. هذه الرسائل ستضخم الإيجو لديكِ كثيرًا، ستنفجرين». أمرر الإعدادات في هاتفها، وأرسل الرقم لهاتفي. لا مجال لأن أرحل من هنا دون رقمها، وهذا هو العذر الأمثل لأحصل عليه.

ـ «نحتاج إلى أن نصحح هذا الوضع قبل أن تعاني أوهام العظمة».

أعيد إليها هاتفها، وأرسل لها رسالة:

الكعك مقرف. أنتِ حقًّا لستِ جميلة.

أسألها بعد أن قرأتها: «أفضل الآن؟ هل انكمش الإيجو انكماشًا كافيًا؟».

تضحك، وتضع الهاتف على وجهه فوق المنضدة. وتقول: «أنت تعرف بالضبط الأشياء الصحيحة التي تقولها لفتاة». تذهب إلى غرفة المعيشة، وتستدير لتواجهني.

- «تريد جولة بالبيت؟»

لا أتردد. بالطبع أريد جولة في بيتها. أتبعها في البيت وأستمع، بينما تتحدث. أتظاهر بأنني مهتم بكل شيء تشير إليه، لكن في الواقع أستطيع فقط أن أركز على صوتها. تستطيع أن تتحدث معي طوال الليل، دون أن أسأم من الاستماع إليها.

تقول وهي تفتح باب غرفة نومها: «غرفتي. خذ راحتك في إلقاء نظرة عليها، لكن، كأنه ليس هناك أي شخص في عمر الثمانية عشرة أو أكبر، ابقَ بعيدًا عن السرير. غير مسموح لي بالحمل في عطلة نهاية الأسبوع هذه».

أتوقف وأنا أمر من الباب وأنظر إليها. أسألها مقلدًا ظُرفها: «فقط نهاية عطلة الأسبوع هذه؟ تخططين للعبث مع أحدهم في عطلة نهاية الأسبوع المقبل بدلًا من ذلك؟».

تبتسم وأستمر في طريقي داخل غرفتها. تقول: «لا. ربما سأنتظر أسابيع أخرى».

يجب ألا أكون هنا. كل دقيقة أقضيها معها تجعلني أعجب بها أكثر وأكثر. الآن أنا في غرفتها، ولا أحد بالبيت غيرنا، بصرف النظر عن حقيقة أن هناك سريرًا بيننا، وقد أخبرتني أن أبقى بعيدًا عنه.

يجب ألا أكون هنا.

أتيت إلى هنا لأريها أنني الفتى الصالح، وليس الفتى السيئ. فلماذا أنظر إلى سريرها، وتدور أفكار ليست طيبة في عقلي الآن؟

أقول، غير قادر على تخيل كيف تبدو عندما تستلقي على هذا السرير: «أنا في الثامنة عشرة».

تقول مرتبكة: «حقًّا؟».

أبتسم لها، ثم أومئ تجاه سريرها موضحًا: «قلتِ يجب أن أبقى بعيدًا عن سريركِ، لأنني لست في الثامنة عشرة. أردت فقط أن أشير إلى أنني في الثامنة عشرة».

تشعر بالتوتر، وتستنشق نفسًا سريعًا، وتقول، محبطةً قليلًا: «حسنًا، كنت أقصد في التاسعة عشرة».

أحببت رد فعلها أكثر، لذا أحاول أن أركز على لماذا أنا هنا.

لماذا أنا هنا؟ لأن كل ما يجري في ذهني الآن هو السرير.

أنا هنا لأوضح نقطة ما. في أمس الحاجة لتوضيحها وتأكيدها. أسير بعيدًا بقدر الإمكان عن السرير، حتى أنتهي عند النافذة.

النافذة نفسها التي سمعت الكثير عنها في فصول الأسبوع الماضي في المدرسة. مدهشة تلك الأشياء التي قد تتعلمها، إذا صمت وسمعت. أميل برأسي خارج النافذة، وأنظر إلى الجوار، ثم أدخل، ولا أحب أنها تبقيها مفتوحة. هذا ليس آمنًا.

ـ «إذًا هذه هي النافذة سيئة السمعة؟»

إذا لم يوجه هذا التعليق الحوار إلى الجهة التي أريد، لا أعلم ماذا سيحدث.

تقول بشكل قاطع: «ماذا تريد يا هولدر؟».

أستدير لأواجهها وهي تنظر إليَّ بشراسة.

ـ «هل قلت شيئًا خاطئًا يا سكاي؟ أو غير حقيقي؟ غير صحيح ربما؟»

على الفور تذهب إلى باب الغرفة وتفتحه.

ـ «تعرف بالضبط ماذا قلت، وأخذت رد الفعل الذي تريد. سعيد بهذا؟ يمكنك أن ترحل الآن».

أكره أنني أضايقها، لكنني أتجاهل طلبها مني أن أرحل. أنظر بعيدًا، وأذهب إلى جانب سريرها، وألتقط كتابًا. أتظاهر بأنني أقلب فيه، بينما أفكِّر كيف أبدأ الحوار.

ـ «هولدر، أنا أسألك بلطف كما ترى. أرجوك ارحل».

أضع الكتاب جانبًا، وأجلس على سريرها، رغم حقيقة أنها طلبت مني ألا أفعل. هي غاضبة مني. ماذا أكثر من ذلك؟

تضغط على السرير، وفي الواقع تمسك بساقي، محاولةً أن تشدني جسديًّا من فوق السرير. ثم تصل إليَّ وتشدني من رسغي في محاولة لسحبي، لكنني أشدها للأسفل، وأقلبها على ظهرها على السرير، مثبتًا ذراعيها عليه.

الآن قد أصبحت طيبة وغاضبة، سيكون وقتًا مناسبًا لأخبرها بما جئت لأخبرها به، بأنني لست هذا الفتى، ولم أكن في الأحداث لعام، ولم أضرب هذا الفتى لأنه مثليٌّ.

لكن ها أنا أمسك بها في الفراش، وليست لدي فكرة كيف وصلنا إلى هذا الوضع، لكنني ليس بإمكاني تكوين فكرة متماسكة. هي لا تصارع لتخرج من تحتي على الإطلاق، وكلانا يحدق في الآخر، كما لو أننا نرى من سيتجرأ، ويتحرك أولًا.

قلبي يخفق في صدري، وإذا لم أبعد عنها الآن سوف أفعل شيئًا، سيجعل الأمر ينتهي حتمًا بصفعي.

أو تقبيلي في المقابل.

هذه الفكرة مغرية، لكنني لن أخاطر. أترك ذراعيها وأمسح إبهامي على طرف أنفها. أقول: «كان هناك طحين يزعجني». أبعد وأسند ظهري إلى اللوح الأمامي للسرير. لا تتحرك، وتتنفس بعمق وتحدق في السقف. لست متأكدًا فيما تفكر، لكنها لم تعد تحاول أن تطردني من غرفتها، وهذا جيد.

أقول: «لم أكن أعرف أنه مثليٌّ».

تدير رأسها تجاهي، وهي ما زالت مستلقية على ظهرها. لا تقول شيئًا، لذا أستغل الفرصة لأشرح بمزيد من التفاصيل، بينما أحصل على كل تركيزها.

ـ «ضربته لأنه كان أحمق. لم أكن أعرف أنه مثليٌّ».

تنظر إليَّ، بلا تعبير، ثم تدير رأسها ببطء للسقف. أمنحها لحظة لتتأمل ما قلته للتو. إما أن تصدقني، وتشعر بالذنب، أو لا تصدقني وتظل غاضبة. في كلتا الحالتين، لا أريدها أن تشعر بالذنب أو الغضب. لكن ليست لدينا اختيارات أخرى من المشاعر في هذه الحالة.

أبقى هادئًا، أريدها أن تتفاعل معي بعض الشيء على الأقل.

يأتي صوت من المطبخ، وعلى الأرجح يشبه جهاز ضبط الوقت للفرن أكثر من الهاتف. تصرخ: «الكعكة». تغادر وتخرج من غرفة النوم، وأجد نفسي وحدي في غرفتها، على سريرها. أغمض عيني، وأسند رأسي على لوح السرير الأمامي.

أريدها أن تصدقني. أريدها أن تثق بي، وأريدها أن تعرف حقيقة الماضي. هناك شيء فيها يقول لي إنها لا تشبه الآخرين الذين واجهتهم وأحبطوني. أنا فقط آمل ألا أكون مخطئًا حيالها، لأنني أحب أن أبقى حولها. في الحقيقة، تجعلني أشعر كأن لي غاية. لم أشعر بهذا خلال ثلاثة عشر شهرًا.

أرمقها وهي عائدة إلى الغرفة، وتبتسم لي بخجل. لديها كوكي في فمها، وأخرى في يدها. تحملها لي، وتجلس إلى جواري على السرير. تضع رأسها على وسادتها وتتنهد.

ـ «أخمن أن الملاحظة عن حماقة ضرب المثليين كانت تسرعًا في الحكم من ناحيتي، أنت لست بالجاهل الذي يعاني رهاب المثليين الذي قضى العام الماضي محتجزًا في الأحداث».

تمت المهمة.

كانت أسهل مما توقعت.

أبتسم وأنزلق على السرير حتى أستلقي بجانبها. أقول وأنا أنظر إلى النجوم الملتصقة بالسقف: «لا، إطلاقًا. لقد قضيت العام الماضي كله أعيش مع أبي في أوستن. لم أعرف حتى من أين أتت قصة إرسالي للأحداث».

ـ «لماذا لم تدافع عن نفسك ضد الشائعات، إذا لم تكن حقيقية؟»

يا له من سؤال غريب، أن يأتي من شخص لم يدافع عن نفسه طوال الأسبوع. أنظر تجاهها، وأقول: «لماذا لم تفعلي أنتِ؟».

تومئ بهدوء، وتقول: «نقطة جيدة».

ينظر كلانا إلى السقف، وأحب تعاملها السهل. أحب أنها لم تجادل حول هذا، خاصة أني أعرف كم هي عنيدة.

تقول: «تعليق النافذة الذي قلته قبل قليل؟ كنت فقط تلمح إلى الشائعات؟ لم تقصد حقًّا أن تكون مسيئًا؟».

أكره أنها فكرت أنني قاسٍ حتى ولو لدقيقة. لا أريد أن أجعلها تفكر في هذا على الإطلاق.

ـ «أنا لست مسيئًا يا سكاي».

ـ «أنت حاد. أنا محقة في هذا على الأقل».

ـ «ربما أكون حادًّا، لكنني لست مسيئًا».

ـ «حسنًا، وأنا لست عاهرة».

ـ «أنا لست أحمق يضرب المثليين».

ـ «إذًا نحن واضحان تمامًا؟»

أضحك، وأقول: «نعم، أظن ذلك».

يعم الهدوء للحظة أخرى حتى تتنفس نفسًا عميقًا، وتقول: «أنا آسفة يا هولدر».

أقول: «أعرف يا سكاي». لم آتِ هنا من أجل اعتذار. لا أريدها أن تشعر بالذنب عن فهمها الخاطئ.

لا تقول شيئًا آخر، ونستمر في مشاهدة النجوم. أنا في صراع الآن، لأن كلينا على سريرها، وبقدر المستطاع أحاول تجاهل انجذابي لها، إنه صعب نوعًا ما، عندما أكون على بُعد إنشات منها.

لدي فضول إذا كانت ترى حتى أنني جذاب. على الأغلب أنا متأكد أنها منجذبة إليَّ بناءً على الأشياء الصغيرة للغاية التي تفعلها، عندما أكون معها، وتحاول أن تخفيها. مثل الأوقات التي أمسكت بها تحدق إليَّ، عندما ركضت معها. أو الطريقة التي تتنفس بها، عندما أميل عليها لأتحدث معها. أو كيف تبدو دائمًا تقاوم أن تبتسم عندما تحاول بصعوبة أن تكون غاضبة مني.

أنا لست متأكدًا ماذا تظن بي أو كيف تشعر، لكنني أعرف شيئًا واحدًا، هي بالتأكيد لا تتصرف بلا مبالاة تجاهي، كما تفعل تجاه جرايسون.

التفكير في هذا الحادث، وكيف أنها منذ ساعات مضت، كانت تقبله، جعلني أتجهم. ربما ليس من الملائم أن أسألها عمَّا حدث، لكنني متأكد للغاية أنني لا أستطيع التوقف عن التفكير في كم أكره فكرة تقبيلها أي أحد، خاصة جرايسون. وإذا كانت هناك على الإطلاق فرصة أن أكون مَن سيقبلها، أحتاج أن أعرف أنها لن تقبِّله ثانية.

أبدًا.

أقول مستعدًّا أن أتحدث في الأمر: «أريد أن أسألكِ عن شيء»، مع العلم أنها على الأرجح لا تريد أن تتحدث عنه، لكن عليَّ أن أعرف كيف تشعر حياله. أستنشق نفسًا عميقًا، وأستدير لأواجهها.

ـ «لماذا تتركين جرايسون يفعل ما فعله بكِ في موقف السيارات؟»

تجفل وتهز رأسها قليلًا جدًّا، وتقول: «لقد قلت لك بالفعل. هو ليس صديقي الحميم، وهو ليس من تسبب في كدمة عيني».

أقول، رغم أنني أسأل عن هذا حقًّا: «أنا لا أسأل من أجل هذا. أسأل لأنني رأيت كيف تفاعلتِ. كنتِ منزعجة منه. بدا عليكِ الكلل قليلًا. أريد فقط أن أعرف لماذا سمحتِ له بأن يفعل تلك الأشياء، إذا كان من الواضح أنكِ لا تريدينه أن يلمسكِ؟».

تصمت ثانية، وتقول: «عدم اهتمامي كان واضحًا إلى هذه الدرجة؟».

ـ «نعم. ومن على بعد خمسين ياردة. أنا فقط متفاجئ أنه لم ينتبه».

تنقلب فورًا على جانبها وتستند على مرفقها.

ـ «أعرف حسنًا؟ لا أستطيع أن أخبرك كم مرة صددته، لكنه فقط لا يتوقف. إنه حقًّا أمر مثير للشفقة. وغير جذاب».

لا يمكن حتى أن أصف كيف أشعر شعورًا جيدًا بسماعها تقول هذا.

ـ «إذًا لماذا تدعينه يفعله؟»

تبقي عينيها معلقتين بعيني، لكنها لا تجاوبني. نحن قريبان جدًّا بعضنا من بعض على سريرها.

كلانا ينقلب على ظهره في وقت واحد تقريبًا.

تقول: «الأمر معقد». يبدو صوتها حزينًا، ولم آتِ إلى هنا لأجعلها تشعر بالحزن.

ـ «لستِ مضطرة لأن تشرحي. كان فقط لدي فضول. لكنه حقًّا ليس من شأني».

تضع ذراعيها خلف رأسها وتسندها على يديها.

ـ «هل كانت لديك صديقة حميمية بجدية؟»

لا أعرف إلى أين تريد أن تذهب بسؤالها، لكنها على الأقل تتكلم، لذا أذهب معها. أقول: «نعم، لكنني أتمنى ألا تكوني على وشك السؤال عن التفاصيل، لأنني لا أريد أن أخوض في هذا».

تقول، وهي تهز رأسها: «ليس لهذا أسألك. بماذا كنت تشعر وأنت معها؟»

أنا فعلًا لا أعرف إلى أين تريد أن تذهب بأسئلتها. لكنني أنغمس معها. هذا أقل شيء أستطيع أن أفعله بعد أن ظهرت دون سابق إنذار، ثم أهنت سمعتها عمليًّا، قبل أن أصل إلى ما أريد.

ـ «تريدين الصدق، أليس كذلك؟»

تقول مقلدة كلماتي: «هذا تمامًا كل ما أريده».

أبتسم، وأقول: «حسنًا، أعتقد أنني شعرت... بالإثارة».

عندما قلت كلمة إثارة أقسم أنها شهقت. لكنها عادت بسرعة رغم ذلك. تسألني: «إذًا حصلت على الفراشات وعلى الكفوف المتعرقة، ودقات القلب المتسارعة، وكل هذا؟».

ـ «نعم، ليس مع كل فتاة كنت معها، لكن أغلبهن».

تميل برأسها تجاهي، وترفع حاجبها، ما يجعلني أبتسم. وأقول: «لم يكن كثيرات». على الأقل لا أعتقد أنهن كن كثيرات. لست متأكدًا أي عدد يشكل كثيرات الآن وحتى حينها، فالناس يقيسون الأشياء بمقاييس مختلفة. أسألها: «ما النقطة التي تريدين الوصول إليها؟»، أشعر بارتياح، لأنها لم تطلب مني توضيح كم فتاة أقصد بالضبط.

ـ «النقطة هي أنني لم أفعل. لم أشعر بأي من هذا. عندما أكون مع الفتيان، لا أشعر بأي شيء على الإطلاق. مجرد تنميل. لذا أحيانًا لا أوقف ما يفعله جرايسون، ليس لأنني مستمتعة به، لكن لأنني أحب ألا أشعر بشيء على الإطلاق».

بالطبع، لم أتوقع هذه الإجابة. لا أعرف إن كنت أحب هذه الإجابة. أعني، أحببت أنها لم تشعر بأي شيء حقًّا تجاه جرايسون، لكنني كرهت أن هذا لم يوقفها عن تركه، ليحاول أن يحصل على ما يريد.

ولم أحب أنها اعترفت أنها لا تشعر بأي شيء، لأنني عندما أكون معها، لا أشعر بهذا القدر من الشعور من قبل.

تقول مدافعة: «أعرف أنه لا معنى لهذا، وأنا لست غير طبيعية. أنا فقط لم أنجذب لأي شخص قبلك، ولا أعرف لماذا».

أستدير بسرعة وأنظر إليها، غير متأكد من أنني سمعتها جيدًا. لكن بناءً على رد فعلها، والطريقة التي ارتفع بها ذراعاها ليغطيا وجهها على الفور، أعرف أنني سمعتها جيدًا.

إنها منجذبة إليَّ.

وهي لم تقصد أن تعترف بهذا علنًا.

وأنا متأكد أن هذا الاعتراف العرضي أسعد عامي كله.

أصل إليها وأضع أصابعي على رسغها جاذبًا ذراعها بعيدًا عن وجهها. أعرف أنها تشعر بالخجل الآن، لكن لا توجد طريقة لترك هذا يمر.

ـ «أنتِ منجذبة إليَّ؟»

ـ «يا إلهي، هذا آخر شيء يريده الإيجو لديك».

أعترف ضاحكًا: «ربما هذا صحيح. من الأفضل أن تسرعي وتهينيني قبل أن يتضخم الإيجو لدي، ويصبح مثل الإيجو لديكِ».

تُفشي من غير تفكير: «أنت تحتاج إلى قصة شعر. شعرك حقًّا سيئ. ويدخل في عينيك فيجعلك تصاب بالحول، وأنت تحركه باستمرار بعيدًا، كأنك جاستين بيبر، وهذا حقًّا يشتت الانتباه».

أعرف أنه ليست لديها إمكانية للوصول للتكنولوجيا، لذا أدع جانبًا قصة شعر جاستين بيبر الذي قصه من زمن طويل. أشعر بخيبة أمل من معرفة ذلك. أشد شعري بأصابعي وأسقط على وسادتي.

ـ «هذا حقًّا مؤلم يا رجل. يبدو كأنك فكرتِ في هذا قبل مدة».

تقول: «منذ يوم الاثنين فقط».

ـ «لقد قابلتِني يوم الاثنين. لذا كنتِ تفكرين كم تكرهين شعري من اللحظة التي تقابلنا فيها؟»

ـ «ليس كل لحظة».

أضحك، وأتساءل إذا كان من الممكن أن يقع الناس في الحب مع صفات الشخص على مدار الوقت، أم أنك تقع في حب الشخص كله في الحال، لأنني أظن أنني وقعت في حب ذكائها، وفظاظتها. وربما أكثر حتى فمها، لكنني لن أسمح لنفسي أن أحدق فيه طويلًا لأتأكد من ذلك.

تبًّا. هذه ثلاث صفات، وأنا هنا فقط منذ ساعة.

أقول كاسرًا الصمت: «لا أصدق أنكِ تظنين أنني مثير».

تقول: «اخرس».

«أراهن أنكِ تفكرين بي في المساء، هنا في هذا السرير».

ـ «اخرس يا هولدر».

ـ «ومن المحتمل أنكِ حتى...»

تضع يدها على فمي، وتقول: «أنت بطريقة ما أكثر إثارة عندما لا تتكلم».

أصمت، لكن فقط لأنني أريد أن أستمتع بحقيقة أن هذه الليلة تحولت لأفضل مما توقعت على الإطلاق. كل ثانية أنا معها فيها، تعجبني أكثر وأكثر. أحب حسها الفكاهي، وأنها تفهم حسي الفكاهي. إنها أول فتاة بجانب ليز تنافسني بقوة، ولا يبدو أنني أكتفي من هذا.

أقول، آملًا أن تقترح خروجة ممتعة بدلًا من التحديق في السقف: «أشعر بالملل». إذا كانت اختياراتي محدودة بين التحديق في سقف غرفتها طوال الليل أو الذهاب إلى المنزل، سوف أختار بكل سرور أن أحدق في سقف غرفتها.

ـ «إذًا اذهب إلى بيتك».

أقول بحزم: «لا أريد ذلك». لدي الكثير من المرح بدلًا من الذهاب إلى البيت. وأتابع: «ماذا تفعلين عندما تشعرين بالملل؟ ليس لديكِ إنترنت أو تلفاز. هل تجلسين فقط طوال اليوم، وتفكرين كم أنا مثير؟».

تقول: «أقرأ كثيرًا. وأخبز أحيانًا. وأركض أحيانًا».

ـ «تقرأين، وتخبزين، وتركضين. وتتخيلين. يا لها من حياة مثيرة تعيشينها».

ـ «أحب حياتي».

أقول: «وأنا أيضًا، نوعًا ما». وأنا فعلًا أحبها، لدينا الركض شيء مشترك. وربما لن تدرك هذا، لكننا أيضًا نشترك في تخيل بعضنا بعضًا. أنا لا أخبز، لكنني أحب خبزها.

تتبقى القراءة. أقرأ عندما أحتاج إلى ذلك، وهو ليس بالكثير. لكن فجأة أريد أن أعرف كل شيء عن كل شيء يهمها، وإذا كانت القراءة تهمها، فهي تهمني أيضًا. أصل إلى منضدة السرير، وألتقط الكتاب الذي عليها. أقول: «ها هو، اقرئي هذا».

ـ «تريدني أن أقرأه بصوت عالٍ؟ أتشعر بالملل إلى هذه الدرجة؟»

ـ «أشعر به جدًّا».

تقول كأنها تحذرني: «إنه رومانسي».

ـ «كما قلت. أشعر بالملل جدًّا. اقرئي».

تهز كتفيها، وتعدِّل وسادتها، ثم تبدأ في القراءة:

«كنت بالكاد في عمر الثلاثة أيام قبل أن يجبرهم المستشفى على أن يقرروا. وافقوا على أخذ أول ثلاثة حروف من كلا الاسمين وساوموا لايكين...»

تستمر في القراءة وأستمر في السماح لها بذلك. بعد فصول عدة، لم أستطع أن أقول إذا كان نبضي الناري السريع نتيجة للاستماع إلى صوتها لمدة طويلة جدًّا، أم أنه من الرومانسية الزائدة في الكتاب. ربما كلاهما اتحدا معًا ليفعلا بي ذلك. سكاي يجب أن تفكر حقًّا في عمل مستقبلي بالتعليق الصوتي أو الكتب المسموعة أو أي هراء مثل هذا لأن صوتها...

«ينزلق خلال الغرفة...»

صوتها يتأخر.

«وينثني للأسفل، منتزعًا الـ...»

و... لم تعد هنا. يسقط الكتاب على صدرها وأضحك بهدوء، لكنني لا أنهض. لأن حقيقة أنها نامت لا تعني أنني مستعد للرحيل.

أستلقي معها لنصف ساعة، مؤكدًا حقيقة أنني قطعًا أحبها. أشاهدها وهي تنام حتى يدق هاتفي. أبعدها عني وأريحها على ظهرها، ثم أسحب هاتفي من جيبي.

يا صاح، هذا دانيال. فال فقدت عقلها، وأعتقد أنني في باركر جينج، تعالَ وخذني، فلا أستطيع أن أقود. أنا ثمل وأكرهها.

أرد على رسالته على الفور.

فكرة جيدة. ابقَ عندك. سآتي في ثلاثين دقيقة.

أضع الهاتف في جيبي، لكنه يدق مرة أخرى برسالة:

هولدر؟

أهز رأسي وأرد على رسالته:

نعم؟

يرد فورًا:

حسنًا، أردت فقط أن أتأكد أنه أنت يا رجل.

يا إلهي، إنه أكثر من ثمل.

أقف وآخذ الكتاب من يديها، ثم أضعه على منضدة السرير، وأعلِّم الصفحة التي توقفت عندها، حتى يكون لدي عذر لأعود إلى هنا غدًا. أذهب إلى المطبخ، وأقضي الدقائق العشر التالية في تنظيف الفوضى. أقسم أنك قد تظن أنها لديها استياء من الطحين بالأخذ في الحسبان الكمية التي كان عليَّ أن أمسحها. بعد أن لففت الطعام كله في غلاف ساران (دونًا عن الكوكيز القليلة التي سحبتها). أعود إلى غرفة نومها، ثم أجلس على طرف السرير.

إنها تصدر أصواتًا أثناء في النوم.

أحب هذا.

تبًّا. هذه أربعة أشياء بالفعل.

عليَّ حقًّا أن أرحل.

قبل أن أقف استعدادًا للرحيل، أميل عليها ببطء، مترددًا، لا أريد أن أوقظها. لكنني لا أستطيع أن أتركها دون معاينة صغيرة. أستمر في الاقتراب منها حتى يخدش فمي شفتيها، فأقبلها.

الفصل الثالث عشر ونصف

ليز،

سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي، سكاي.

هذا هو. تعودي عليه، لأن لدي شعورًا بأنها كل ما سأتحدث عنه لمدة. يا إلهي ليز. لا أستطيع حتى أن أصف لكِ كم هي مثالية تلك الفتاة. وعندما أقول مثالية، أعني ليست بمثالية، لأن لديها الكثير من العلّات. لكن كل ما هو علَّة فيها، هو كل ما يجذبني إليها، ويجعلها مثالية.

إنها فظة معي وأحب ذلك. إنها عنيدة، وأحب ذلك. إنها ذكية وساخرة، وكل شيء بارع يخرج من فمها مثل الموسيقى لأذني، لأن هذا تمامًا ما أريده. أحتاج إليها، ولا أريدها أن تتغير أبدًا. لا يوجد شيء بها سأغيره.

شيء واحد بها يقلقني رغم ذلك، وهو حقيقة أنها تبدو منفصلة عن عاطفتها. وكما هو أمر ملحوظ، عندما رأيتها مع جرايسون، لم أرَ هذا أبدًا، عندما تكون معي. أنا على الأرجح اقتنعت أنها تشعر بشعور مختلف تجاهي، لكنني سأكذب، إن قلت إنني لست قلقًا. إنها قد لا تشعر بأي شيء إذا قبّلتها. لأنها تبًّا ليز، أريد بإلحاح أن أقبّلها. لكنني مرعوب للغاية. أنا مرعوب إن قبلتها مبكرًا جدًّا، سوف تصبح مثل كل قبلة أخرى استقبلتها. لن تشعر بشيء. لا أريدها ألا تشعر بشيء، عندما أقبّلها. أريدها أن تشعر بكل شيء.

هـ.

الفصل الرابع عشر

ـ ماذا تريد أن تفعل الليلة؟

ـ أقرأ رسالة دانيال وأرد.

ـ آسف. لدي خطط.

ـ اللعنة. أنا خطتك.

ـ لا أستطيع. لدي موعد.

ـ سكاي؟

ـ نعم.

ـ هل يمكن أن آتي؟

ـ لا.

ـ هل يمكن أن أكون موعدك السبت المقبل إذًا؟

ـ بالطبع يا حبيبي.

ـ لا أستطيع الانتظار.

أضحك على رسالة دانيال، ثم أمسح الشاشة، وأبحث عن رقم سكاي.

لم أسمع عنها منذ سقطت نائمة الليلة الماضية، لذا لست متأكدًا إذا كانت تريدني في بيتها الليلة.

في أي وقت يمكن أن آتي؟ ليس لأنني أنتظر شيئًا من هذا القبيل. أنتِ حقًّا مملة.

بعد أن أنقر الإرسال، تصلني رسالة أخرى من رقم لا أعرفه.

إذا كنت تواعد صديقتي، احصل على دقائق مدفوعة مسبقًا، وتوقف عن تضييع دقائقي يا أحمق.

الشخص الوحيد الذي أعرفه بدقائق مدفوعة مسبقًا هو سكاي. وقد قالت إن صديقتها المقربة اشترت لها الهاتف، لذا آمل بجدية أن تكون هذه الرسالة من صديقتها، وليس شخصًا آخر. على الفور أرد على الرسالة على أمل أن أعرف المزيد.

كيف أحصل على المزيد من الدقائق؟

بمجرد أن أنقر الإرسال لهذه الرسالة، يأتيني رد سكاي.

كن هنا في السابعة. وأحضر شيئًا لتأكله، لن أطبخ لك.

وقحة.

أحب هذا.

***

راسلتني مرة أخرى، وأنا في متجر البقالة، تطلب مني أن أتعجل. أحب فعلًا أنها تريدني أن أسرِع. أحب هذا كثيرًا. أنا معجب بها كثيرًا. أنا أحب عطلة نهاية الأسبوع بأكملها كثيرًا.

تبتسم بمجرد أن تراني، وأسب من داخلي، لأن هذا أيضًا شيء آخر عنها، أقع في حبه. تنظر إلى أكياس البقالة في يدي وترفع حاجبيها.

أهز كتفي، وأقول: «أحدنا يجب أن يكون المضيف». أسير لخطوات وأتخطاها، ثم أتخذ طريقي إلى مطبخها. وأقول: «آمل أن تحبي المعكرونة وكرات اللحم لأن هذا ما ستأكلينه».

تسألني بتشكك من خلفي: «ستطبخ من أجلي؟».

ـ «في الحقيقة أنا أطبخ من أجلي، لكن مرحب بكِ في تناول بعض الطعام إذا أردتِ».

أنظر إليها خلفي، وأبتسم لتعلم أنني أغيظها.

ـ «هل أنت دائمًا ساخر؟»

أهز كتفي، وأقول: «هل أنتِ كذلك؟».

ـ «هل دائمًا تجاوب الأسئلة بأسئلة؟»

ـ «هل أنتِ كذلك؟»

تمسك بمنشفة من على البار، وتلقي بها عليَّ، لكنني أتفادها. أسألها: «تريدين شيئًا لتشربيه؟».

ـ «أنت تدعوني إلى شيء لأشربه في بيتي؟»

أتجه إلى الثلاجة، وأتفحص الأرفف، لكن اختياراتي محدودة.

ـ «هل تريدين اللبن المقزز الطعم أم تريدين صودا؟»

ـ «هل لدينا صودا حتى؟»

أطل من خلف باب الثلاجة، وأبتسم لها.

ـ «هل يمكن لأي منا أن يقول أي شيء ليس بسؤال؟»

ـ «لا أعرف، هل يمكننا؟»

ـ «تعتقدين كم يمكن أن نستمر على هذا؟»

أسألها آخذًا آخر صودا في الثلاجة: «تريدين ثلجًا؟»

ـ هل ستضع ثلجًا؟

تبًا، إنها جذابة. «هل تظنين أن عليَّ أن أضع ثلجًا؟»

ـ «هل تحب الثلج؟»

هي سريعة، وأنا معجب بما تفعله.

ـ «هل لديك أي ثلج جيد؟»

ـ «حسنًا هل تحب الثلج المجروش (الناعم) أم المكعبات؟»

على الأغلب رددت بكلمة مكعبات، لكن أدركت أن هذا ليس بسؤال. أضيق عيني، وأحدق بها، وأقول: «لا ثلج لكِ».

تشمت بي: «ها. ربحت».

ـ «تركتكِ تربحين لأنني شعرت بالسوء من أجلكِ».

أقول وأنا أتجه إلى الفرن: «أي شخص يصدر أصواتًا أثناء النوم بهذا السوء مثلكِ يحتاج إلى استراحة كل حين».

ـ «أتعرف، الإهانات حقًّا مضحكة فقط، عندما تكون في هيئة رسائل».

تقف وتتجه إلى المثلج في الوقت الذي أستدير فيه متجهًا إلى الثلاجة من أجل الثوم المفروم. ظهرها إليَّ، وهي تملأ كوبها بالثلج. تستدير عندما أصل إلى الثلاجة. تنظر إليَّ بهاتين العينين البنيتين الكبيرتين وهاتين الشفتين المضمومتين، فأقترب منها خطوة آملًا في أن أجعلها مرتبكة ثانية، وأحب أن أجعلها مرتبكة.

أرفع ذراعي، وأضغط كفي للثلاجة، وأنا أنظر إلى عينيها.

ـ «تعرفين أنني أمزح، أليس كذلك؟»

على الفور تأخذ نفسًا وتومئ، وأبتسم، ثم أقترب أكثر.

ـ «جيد. لأنكِ لا تصدرين أصواتًا أثناء النوم. في الحقيقة، أنتِ جميلة للغاية عندما تنامين».

لا أعرف لماذا قلت لها إنها لا تصدر أصواتًا أثناء النوم. ربما فقط لا أريدها أن تعرف كم مكثت حقًّا في سريرها أشاهدها بعد أن نامت ليلة أمس.

تعض شفتها السفلى ناظرةً إليَّ بأمل. يرتفع صدرها، وينتفض ذراعاها بقشعريرة، وأتمنى أكثر من أي شيء أن أستطيع أن أمسك بوجهها وأقبِّلها. أرغب في تقبيلها أكثر من رغبتي في الهواء.

لكنني، قلت لنفسي «لا تفعل»، لذا لن أفعل.

هذا لا يعني أنني لا أستطيع أن أحصل على القليل من المرح معها. أحرك شفتي حتى يصلا تقريبًا إلى أذنها: «سكاي. أحتاج إلى...»

أتوقف مرة أخرى، وأنتظر أن تلتقط نفسها. «أن تتحركي. أحتاج إلى المثلج».

أعود إلى الوراء وأشاهد رد فعلها. راحتاها مسطحتان على الثلاجة خلفها، ويبدو أنها تحاول إبقاء جسدها منتصبًا.

تجعلني رؤية رد فعلها الجسدي لقربي أبتسم. عندما أبتسم تفهم أنني أقصد أن أغيظها، تضيق عينها وأضحك.

تدفعني في صدري إلى الخلف، وتقول وهي تسير نحو البار: «أنت مجرد أحمق».

ـ «أنا آسف، لكن تبًّا. أنتِ منجذبة إليَّ انجذابًا صارخًا، من الصعب ألا أغيظكِ».

لا أزال أضحك، وأنا أعود إلى الفرن مع الثوم. أصب بعضًا منه في الطاسة، وأنظر إليها. تغطي وجهها بيديها من الخجل وأشعر بالذنب. لا أريدها أن تظن أنني لست معجبًا بها، لأنني متأكد أنني معجب بها أكثر من إعجابها بي. أخمن أنني لم أوضح هذا جيدًا لها مع ذلك، وهو غير عادل قليلًا.

أسأل: «تريدين أن تعرفي شيئًا؟».

تنظر إليَّ وهي تهز رأسها، وتقول: «بالطبع لا».

أقول: «ربما يجعلكِ هذا تشعرين بشعور أفضل».

ـ «أشك في ذلك».

أنظر إليها، وأجدها لا تبتسم، فأكره ذلك. أردت من هذا أن أكون مرحًا، لم أقصد أن أجرح مشاعرها.

ـ «ربما أكون منجذبًا إليكِ قليلًا أيضًا».

أعترف على أمل أن يساعد هذا في أن تدرك أنني لم أقصد أن أحرجها.

تسألنني بإغاظة: «قليلًا فقط؟».

لا ليس قليلًا فقط، كثيرًا جدًّا جدًّا.

أستمر في تحضير الطعام، وأفعل كل ما يمكنني فعله لنبدأ كل شيء من جديد، فأستطيع أن أجلس، وأتحدث معها، بينما أطبخ. هي فقط تجلس في صمت عند البار، تشاهدني وأنا أعمل في مطبخها. أحب فيها أنها ليست متحفظة في الطريقة التي تنظر إليَّ بها. تحدق بي كأنها لا تريد أن تنظر إلى شيء آخر، وأنا أحب هذا.

ـ ماذا تعني «*LOL*»؟

ـ «حقًّا؟»

ـ «نعم، حقًا. لقد كتبتها في رسالتك باكرًا».

ـ «تعني الضحك بصوت عالٍ. تستخدمينها عندما تعتقدين أن هناك شيئًا مضحكًا».

تقول: «هذه حماقة».

ـ «نعم، إنها حماقة. هي فقط عادة مع ذلك، والرسائل المختصرة تجعلها أسرع بكثير في الكتابة بمجرد أن تحصلي على تعليق منه. نوعًا ما مثل OMG وWTF وIDK و...»

تقول بسرعة: «يا إلهي توقف. حديثك بالاختصارات غير جذاب حقًّا بالنسبة لي».

أغمز لها، وأقول: «لن أفعلها مرة أخرى إذًا». أذهب إلى منضدة المطبخ وأسحب الخضراوات من الكيس، ثم أغسلها تحت الماء، وأضع لوح التقطيع على البار أمامها.

أسألها واضعًا الطماطم أمامي: «هل تحبين صوص المعكرونة الخشن أم الناعم». تنظر إليَّ تائهة في أفكارها، وأنتظر لأرى إذا كانت ستجاوبني عندما تعود، لكنها تستمر في التحديق بالفضاء.

أسألها ملوحًا بيدي أمام عينيها: «أنتِ بخير؟». أخيرًا تفيق وتنظر إليَّ، وأقول: «أين ذهبت؟ لقد غادرتِ لمدة هناك».

تتخلص من حالة عدم التركيز، وتقول: «أنا بخير». لا أحب نبرة صوتها. لا تبدو بخير.

أسألها مجددًا: «أين ذهبتِ سكاي؟». أريد أن أعرف فيما كانت تفكر. أو ربما لا أريد أن أعرف، لأنها إذا كانت تفكر في أنها كم تريدني أن أرحل، حينها سأتمنى أن تستمر في التظاهر بأنها بخير.

تسأل: «عدني ألا تضحك؟».

أشعر بالراحة لأنني لا أظن أنها ستسألني هذا السؤال، إذا كانت تأمل أن أرحل. لكنني لست على وشك أن أعدها أنني لن أضحك، لذا أهز رأسي في رفض.

ـ «أخبرتكِ أنني سأكون صادقًا معكِ فقط، لذا، لا أستطيع أن أعدكِ أنني لن أضحك، لأنك نوعًا ما مضحكة، وهذا يعدُّني فقط للفشل».

ـ «هل أنت دائمًا صعب للغاية؟»

أبتسم، لكنني لا أرد. أحب عندما تكون منزعجة مني، لذا لا أمنحها ردًّا عن قصد.

تستقيم فوق مقعدها وتقول: «حسنًا، جيد». تستنشق نفسًا كأنها تستعد لخطبة طويلة. أنا قلق.

ـ «أنا حقًّا لست جيدة أبدًا في هذا الشيء المسمى مواعدة، أنا حتى لا أعرف إن كان هذا موعدا، لكنني أعرف أنه أيًّا كان، فهو أكثر من مجرد صديقين يتسكعان، ومعرفة هذا تجعلني أفكر في هذه الليلة، عندما يحين موعد مغادرتك، وإذا كنت تخطط أن تقبلني أم لا، وأنا هذا النوع من الشخصيات التي تكره المفاجآت، لذا لا أستطيع أن أتوقف عن الشعور بالإحراج من هذا لأنني أريد أن تقبلني، وهذا قد يكون تغطرسًا مني، لكنني إلى حد ما أشعر أنك تريد أن تقبلني أيضًا، لذا أفكر كم سيكون سهلًا لو مضينا قدمًا، وتبادلنا القبل حتى تستطيع أن تعود لطبخ الغذاء، وأستطيع التوقف عن محاولة التخطيط الذهني لمعرفة كيف ستجري الليلة».

أنا متأكد أنه مبكر جدًّا على أن أحبها، لكن تبًّا. يجب أن تتوقف عن قول هذه الأشياء غير المتوقعة وفعلها، التي تجعلني أستبق الأحداث أيًّا كان ما سيحدث بيننا. لأنني أريد أن أقبِّلها وأمارس معها الحب وأتزوجها وأجعلها تحصل على أبناء، وأريد أن يحدث هذا كله الليلة.

لكن حينها سوف ننتهي من مراتنا الأولى، والمرات الأولى هي أفضل جزء في الحكاية. من الجيد أنني صبور.

أضع السكين على لوح التقطيع، وأنظر إلى عينيها. أقول: «هذه كانت أطول جملة كاملة سمعتها من قبل».

لم تحب تعليقي، تنفخ وتعود لتجلس على مقعدها عابسة.

أضحك، ثم أقول: «اهدئي». أنتظر لحظة لأنتهي من الصوص، وأبدأ في الباستا، أفعل كل ما أحتاج إليه لأصل إلى نقطة، حيث يمكنني حقًّا أن أتحدث معها، بينما لا أحاول أن أطبخ في الوقت ذاته. عندما أنتهي من الباستا، أمسح يدي في منشفة الصحون، وأضعها على منضدة المطبخ، وأذهب إلى الطاولة، حيث تجلس.

أقول لها: «قفي».

تقف ببطء، وأضع يدي على كتفيها، ثم أنظر حول الغرفة، باحثًا عن بقعة جيدة لأزف لها فيها خبر أنني لن أقبِّلها الليلة. بقدر ما أريد هذا، وبقدر ما أعرف أنها تريده مني، ما زلت أريد أن أنتظر.

أعرف أنني أخبرتها أنني لست مؤذيًا، لكنني لم أقل إنني لست قاسيًا، وما زال لدي الكثير من المرح في مشاهدتها، وهي مرتبكة، وأنا حقًّا أريد أن أراها مرتبكة. أستمر في التظاهر أنني أبحث عن البقعة المثالية لأقبِّلها. أنظر إلى المطبخ، ثم آخذها برسغيَّ وأسحبها معي. وأقول: «أنا نوعًا ما أحببت خلفية المثلج». أدفعها وتسمح لي بذلك. لم تتوقف عن مشاهدتي باهتمام طوال الوقت، وأنا أحب ذلك. أرفع ذراعي إلى جانبي رأسها، وأبدأ في الميل تجاهها، وتغمض عينيها.

أبقي عيني مفتوحتين.

أنظر إلى شفتيها للحظة. شكرًا للقبلة الصغيرة التي خطفتها، بينما هي نائمة في الليلة الماضية، أنا لا أعرف شعورهما. لكن الآن لا أستطيع إلا أن أتساءل ما مذاقهما. يغريني كثيرًا أن أميل مزيدًا من الإنشات وأرى بنفسي، لكنني لا أفعل.

أدرك هذا.

إنهما مجرد شفتين.

أشاهدها لمزيد من اللحظات، حتى تفتح عينيها، عندما أفشل في تقبيلها. ينتفض جسدها كله، عندما ترى كم أنا قريب، ما يجعلني أضحك. لماذا أستمتع بإغاظتها كثيرًا؟

أقول ناظرًا إليها: «سكاي. لا أحاول أن أعذِّبك أو أي شيء، لكنني اتخذت قراري قبل أن آتي إلى هنا. لن أقبِّلك الليلة».

تضاءل الأمل في ملامحها على الفور. تقول: «لم لا؟». عيناها مليئتان بالرفض، وأنا أكره هذا تمامًا، لكنني ما زلت لن أقبِّلها. ومع ذلك أريدها أن تعرف كم أريد أن أقبِّلها.

أرفع يدي إلى وجهها، وأتعقب الخط أسفل خدها. شعور جلدها على أطراف أصابعي مثل الحرير. أستمر في تتبع أثر فكها، ثم عنقها. جسدي كله متوتر، لأنني لست متأكدًا، إذا كانت تبادلني الشعور. لا أتخيل أن شخصًا مثل جرايسون قد يكون محظوظًا بما فيه الكفاية ليلمس وجهها، أو يتذوق فمها دون أن يهتم إذا كانت مستمتعة حتى أم لا.

عندما تصل يدي إلى كتفها، أتوقف وأنظر إلى عينيها. أقول: «أريد أن أقبِّلك، صدقيني». سيئ للغاية.

أنزع يدي عن كتفها، وأضعها على وجنتها. تستند إلى يدي وتنظر إليَّ، عيناها مليئتان بخيبة الأمل. وتقول: «لكن، إذا كنت تريد ذلك، لماذا لا تفعله؟».

أُف. أكره هذه النظرة، إذا استمرت في النظر إليَّ هكذا، سوف أفقد كل ذرة تبقت من قوة إرادتي، وهو ما ليس بالكثير.

أميل رأسها للأعلى، وأقول: «لأنني خائف ألا تشعري بها».

كانت النظرة على وجهها عندما قلتُ ذلك مزيجًا من الإدراك والندم. تعرف أنني أشير إلى عدم استجابتها للفتيان الآخرين، ولستُ متأكدًا، إنْ كانت تعرف كيف ستستجيب. إنها صامتة، لكنني فقط أريدها أن تتجادل معي. أريدها أن تخبرني كم أنا مخطئ. أريدها أن تخبرني أنها شعرت كأنني قبلتها، لكنها بدلًا من ذلك فقط تومئ، وتغطي يدي بيدها.

أغمض عيني، آملًا لو أنها استجابت بأي طريقة أخرى. لكن حقيقة أنها لم تفعل، أثبتت أن عدم تقبيلها الليلة هو ما يجب أن يحدث. لا أفهم لماذا هي منغلقة للغاية، لكنني سأنتظر مهما طال الوقت. لا مجال للهروب من هذه الفتاة الآن.

أشدها بعيدًا عن الثلاجة، وألف ذراعي حولها. ببطء تبادلني العناق بأن تلف ذراعيها حول خصري وتطابق صدرها إلى صدري. تستند إليَّ طوعًا، ومجرد الشعور بأنها تريدني أن أضمها هو أفضل شيء شعرت به على الإطلاق في هذا العام كله. كل ما فعلته هو مبادلتي العناق، لكن ما لا تعرفه حقًّا أنها أعادت الكثير من الحياة داخلي. أضغط شفتي على شعرها، وأتنفس. أستطيع أن أبقى هكذا طوال الليل. لكن جرس الفرن اللعين يدق ليذكرني أنني أطبخ غذاءها. إذا كان هذا يعني أن أتركها، سأُفضل أن أجوع، لكنني وعدتها أن أطبخ لها، لذا أرخي قبضتي من حولها، وأعود خطوة إلى الوراء.

كانت النظرة المهزومة على وجهها آخر شيء أتوقع أن أراه. ألقت ببصرها على الأرض، وأدرك الآن أنني أحبطتها كثيرًا. كل ما أحاول فعله، هو أن أخطو خطوات أفضل لها. لا أستطيع أن أدعها تفكر أنني أبطئ لأن هذا اختياري. لأنها إذا لم تكن لديها مشكلة مع الفتيان، لم نكن لنقف في هذا المطبخ الآن. كنا سنعود إلى سريرها تمامًا كما كنا ليلة أمس، لكن هذه المرة لم تكن لتقرأ لي.

أمسك كلتا يديها، وأشبِّك أصابعنا. أقول: «انظري إليَّ». بتردد ترفع وجهها، وتنظر إليَّ. وأتابع: «سكاي، أنا لن أقبِّلك الليلة، لكن صدقيني إذا قلت لكِ أنني لم أرغب في تقبيل فتاة أكثر مما رغبت أن أقبلكِ. لذلك توقفي عن التفكير في أنني لست منجذبًا إليكِ، لأنك لا تعرفين كم أنا كذلك. يمكنك أن تمسكي بيدي، أو تمرري أصابعكِ في شعري، يمكنك أن تجلسي على رجلي بينما أطعمك المعكرونة، لكن لن تُقبِّلي الليلة. وغالبًا ليس غدًا أيضًا. أحتاج إلى هذا. أحتاج أن أتأكد أنكِ ستشعرين بكل ما أشعر به في اللحظة التي ستلامس فيها شفتاي شفتيك، لأنني أريد أن تكون أول قبلة لكِ هي أفضل أول قبلة في تاريخ القُبل الأولى».

يتبدد الحزن من عينيها الآن، وهي تبتسم لي. أرفع يدها وأقبِّلها. وأقول: «الآن توقفي عن الاستياء، وساعديني في الانتهاء من كرات اللحم. حسنًا؟». أسألها راغبًا في التأكد من أنها تصدقني، ثم أقول: «هل يكفي هذا لأحصل على موعدين آخرين؟».

تومئ، وهي ما زالت تبتسم. وتقول: «نعم، لكنك مخطئ بخصوص أمر واحد».

ـ «ما هو؟»

ـ «قلت إنك تريد أول قبلة لي أن تكون أفضل أول قبلة، لكن هذه لن تكون أول قبلة لي. تعرف هذا».

لا أعرف كيف أفاجئها بهذا، لكنها لم تُقبَّل من قبل. ليس كما تستحق، على أي حال. أكره أنها لا تدرك هذا، لذا أحمل على عاتقي أن أريها بالضبط ما هو شعور القبلة الحقيقية.

أترك يديها وأمسك وجهها وأنا أعيدها للثلاجة. أميل عليها حتى أستطيع أن أشعر بنفسها على شفتي وهي تشهق. أحب النظرة العاجزة، الجائعة في عينها الآن، لكنها لا تقارن بما تفعله بي عندما تعض شفتها.

أقول خافضًا صوتي: «دعيني أعلمكِ بشيء، اللحظة التي ستلمس فيها شفتاي شفتيك»، وأتابع: «سوف تكون قُبلتك الأولى، لأنكِ إذا لم تشعري بأي شيء عندما قبَّلك أحدهم، إذًا، فلم يُقبِّلك أحد بعد. ليس بالطريقة التي أقبِّلك بها».

تتنفس نفسًا مكتومًا، وكانت ذراعاها ترتجفان بشدة.

لقد شعرت بهذا.

أبتسم منتصرًا وأبتعد عنها، ثم أحول انتباهي للفرن. أستطيع أن أسمعها تنزلق على الثلاجة. أستدير وأراها جالسة على الأرض تنظر إليَّ في صدمة، وأضحك.

أقول بغمزة: «أنتِ بخير؟».

تبتسم لي من فوق الأرض، وتشد ساقيها لصدرها، وهي تهز كتفيها. تضحك، ثم تقول: «ساقي توقفت عن العمل، ربما لأنني منجذبة إليك للغاية».

أنظر حولي في المطبخ، ثم أقول: «هل تعتقدين أن أمكِ لديها خلطة للأشخاص المنجذبين إلي للغاية؟».

تقول: «أمي لديها خلطة لكل شيء».

أذهب إليها، وأمسك بيدها، ثم أشدها إلى الأعلى. أضغط بيدي على ظهرها وأشدها إليَّ. تنظر إليَّ بعينين خجلتين وشهقة صغيرة تباعد بين شفتيها. أقرب فمي من أذنها وأهمس، وأقول: «حسنًا، أيًّا كان ما تفعلينه، تأكدي ألا تأخذي هذه الخلطة أبدًا».

صدرها يرتفع على صدري وهي تنظر إلى عيني كأن كل ما قلته الليلة لا يعني شيئًا. تريدني أن أقبِّلها، ولا تهتم بأنني أفعل كل ما في طاقتي حتى لا أقبِّلها.

أمرر يدي أسفل ظهرها أربت عليه. وأقول: «ركزي يا فتاة. لدينا طعام لنطهوه».

***

تقول، وهي تضع الفنجان على المائدة: «حسنًا، لدي واحد».

نحن نلعب لعبة اقترحتها اسمها تحقيق الغذاء، إذ ليس للأسئلة حدود، والطعام والشراب غير مسموح بهما حتى نجاوب عن الأسئلة. لم أسمع أبدًا بها، لكنني أحب فكرة أن أسألها عن أي شيء أريد أن أسألها عنه.

تسألني: «لماذا تبعتني إلى سيارتي عند متجر البقالة؟».

أهز كتفي، ثم أقول: «كما أخبرتكِ، ظننتُ أنكِ شخص آخر».

تقول: «أعرف، لكن مَن؟».

ربما لا أريد أن ألعب هذه اللعبة، لست مستعدًا لأن أخبرها عن هوب. وبالتأكيد، لست مستعدا لإخبارها عن ليز، لكن لا يوجد طريق آخر، لأن إجابتي وضعتني في حفرة للتو. أتحرك في مقعدي، كي أتناول مشروبي، لكنها تخطفه من يدي.

ـ «لا شرب. أجب عن السؤال أولًا».

تعيد مشروبي إلى المائدة، وتنتظر تفسيري. أنا حقًّا لا أريد أن أخوض في الماضي، لذا أحاول أن أجعل إجابتي سهلة.

أكذب قائلًا: «لستُ متأكدًا بمَن ذكرتِني. أنتِ فقط ذكرتِني بشخص ما. لم أدرك حتى وقت لاحق أنكِ ذكرتِني بأختي».

ترسم انطباعًا على وجهها، وتقول: «أذكرك بأختك؟ هذا نوع من الإساءة يا هولدر».

سحقًا. هذا ليس ما قصدته على الإطلاق.

ـ «لا، ليس كذلك. أنتِ حتى لا تشبهينها بأي شكل. كان هناك شيء في رؤيتكِ، جعلني أفكر فيها. ولا أعرف حتى لماذا تتبعتكِ. كان سرياليًّا للغاية. الوضع برمته كان غريبًا، ثم مصادفتكِ أمام بيتي لاحقًا...»

هل أحكي لها كيف شعرت حقًّا؟ كيف فكرت أنه ليست لها علاقة بهذا الأمر، أو أن الأمر كان تدخلًا إلهيًّا أو معجزة مرعبة؟ لأنني أشعر كأن هذا مثالي للغاية حتى يتحقق بالصدفة.

أقول أخيرًا: «إنه يبدو كأنه من المفترض أن يحدث».

تستنشق نفسًا عميقًا، وأنظر إليها، خائفًا من هذا التقدم. تبتسم لي، وتشير إلى مشروبي. وتقول: «يمكنك أن تشرب الآن. دورك لتسألني سؤالًا».

ـ «هذا سهل. أريد أن أعرف على أصابع من أقف؟ استقبلت رسالة غامضة من أحدهم اليوم. كل ما قاله: «إذا كنت تواعد صديقتي، احصل على دقائق مدفوعة مقدمًا خاصة بك، وتوقف عن تضييع وقتي».

تقول مبتسمة: «لا بد من أن هذه سيكس، صاحبة الجرعات اليومية من الرسائل الإيجابية».

شكرًا إلهي

ـ «كنت أتمنى أن تقولي هذا، لأنني منافس جدًّا، ولو أتى هذا من فتى، رد فعلي لن يكن لطيفا أبدًا».

ـ «هل رددت عليها؟ ماذا قلت؟»

ـ «هل هذا سؤالك؟ لأنه لو لم يكن كذلك، سوف آخذ قضمة أخرى».

تقول: «اكبح جماح نفسك وأجب عن السؤال».

ـ «نعم، رددت على رسالتها. قلت: "كيف أشتري دقائق أكثر؟"».

تحمر وجنتاها وتبتسم.

ـ «كنت أمزح، هذا لم يكن سؤالي. إنه ما زال دوري».

أضع شوكتي في طبقي، وأتنهد من عنادها.

ـ «طعامي سيبرد».

تتجنب هياجي المصطنع، وتميل إلى الأمام ناظرةً مباشرةً في عيني.

ـ «أريد أن أعرف عن أختك. ولماذا أشرت لها بصيغة الماضي؟»

آه تبًّا. هل أشرت إليها بصيغة الماضي؟ أنظر إلى السقف وأتنهد.

ـ «أُف، أنتِ حقًا تسألين أسئلة عميقة، أليس كذلك؟».

ـ «هكذا تسير اللعبة. لستُ مَن وضعت القوانين».

أخمن أنه لا مهرب من هذا الشرح، لكن أنا لا أمانع في أن أحدّثَها بالصدق. هناك شيء محدد من الماضي، لا أريد أن أناقشه، لكن، لا أشعر أن ليز من الماضي. إنها ما زالت جزءًا

كبيرا من حاضري.

ـ «تتذكرين عندما أخبرتكِ أن عائلتي مرت بوقت سيئ العام الماضي؟»

تومئ، وأكره أنني على وشك أن أثبط حوارنا. لكنها لا تحب الغموض، لذا...

ـ «ماتت منذ ثلاثة عشر شهرًا. قتلت نفسها، حتى لو استخدمت أمي بدلًا من ذلك مصطلح جرعة زائدة عمدًا».

أبقي عيني معلقتين بها، منتظرًا أن تقول: «أنا آسفة للغاية»، أو «لم يفترض أن يحدث هذا»، أو تتفوه بأي كلمة يقولها أي شخص آخر.

تسألني: «ماذا كان اسمها؟». ولم أتوقع أنها ستسأل كأنها مهتمة بصدق.

ـ «ليزلي، كنت أناديها ليز».

ـ «هل كانت أكبر منك؟»

فقط بثلاث دقائق. أقول تمامًا قبل أن آخذ قضمة: «كنا توأمين».

تتسع عيناها قليلًا، وتصل إلى مشروبها، وأقاطعها هذه المرة.

أقول: «إنه دوري». الآن عرفت أنه لا حدود لشيء، أسألها عن الشيء الذي لم ترد حقًّا أن تتحدث عنه أمس.

ـ «أريد أن أعرف قصة أبيكِ؟»

تتجهم، لكن تكمل اللعبة، وتعرف أنها لا تستطيع أن ترفض الإجابة عن هذا السؤال، لأنني كشفت لها تمامًا للتو عن ليز.

ـ «كما أخبرتك، لم أرَه منذ كنت في الثالثة. ليست لدي أي ذكريات عنه. على الأقل، لا أعتقد ذلك. أنا حتى لا أعرف كيف يبدو».

ـ «أمكِ لا تملك أي صورة له؟»

ترفع رأسها قليلًا، ثم تميل إلى الوراء في مقعدها. وتقول: «أتذكر عندما قلت إن أمي تبدو حقا شابة؟ حسنًا، هذا بسبب أنها فعلًا شابة، لقد تبنتني».

أسقطت شوكتي.

متبناه!

الاحتمالية الصريحة أن تكون هي هوب تقصف أفكاري. لن يكون لهذا معنى إذا كانت في الثالثة، عندما جرى تبنيها مع ذلك، لأن هوب كانت في الخامسة عندما خطِفت. إلا إذا كان كُذِب عليها.

لكن ما فرص أن تكون واحدة مثل كارين قادرة على سرقة طفل؟

تسألني: «ماذا؟ ألم تقابل أحدًا متبنى من قبل؟».

أدرك أن الصدمة التي أشعر بها في رأسي وفي قلبي تظهر أيضًا على ملامحي. أتنحنح، وأحاول أن أستجمع نفسي، لكن ملايين الأسئلة تتشكل في عقلي.

ـ «لقد تبنتكِ كارين منذ كنتِ في الثالثة؟»

تهز رأسها، وتقول: «كنت في بيت رعاية، عندما كنت في الثالثة، بعد أن ماتت أمي البيولوجية. لم يستطع أبي أن يربيني بمفرده. أو أنه لم يرد أن يربيني بمفرده. في كلا الحالتين، أنا راضية. أنا محظوظة بكارين، وليس لدي دافع مهما يكن لأذهب للبحث عن كل شيء. إذا أراد أن يعرف أين أنا، عليه أن يأتي ويجدني».

أمها ميتة؟ هوب أمها ميتة.

لكن هوب، لم توضع قط في بيت رعاية، ووالد هوب لم يعرضها للتبني. كل هذا لا معنى له، لكن، في الوقت نفسه لا أستطيع أن أستبعد الاحتمالية. إما أنها تغذت على الكذب التام حول ماضيها، أو أنني سأجن. الأخير هو الأرجح.

تسأل مشيرة إليه بشوكتها: «ماذا يعني وشمكِ؟».

أنظر إلى ذراعي، وألمس الحروف التي تصنع اسم هوب.

إذا كانت هوب، كانت لتتذكر الاسم. هذا هو الشيء الوحيد الذي أوقفني عن تصديق احتمالية أن تكون هوب.

هوب كانت لتتذكر.

أقول: «إنه تذكرة. حصلت عليه بعد موت ليز».

ـ «تذكرة بماذا؟»

وهذه هي الإجابة الوحيدة الغامضة التي ستحصل عليها، لأنني قطعًا لن أشرح.

ـ «إنها تذكرة بالأشخاص الذين تخليت عنهم في حياتي».

تعبيراتها تصبح متعاطفة.

ـ «هذه اللعبة ليست مبهجة، أليس كذلك؟»

ـ «هي حقًّا ليست كذلك».

أضحك، ثم أقول: «إنها مقرفة. لكننا يجب أن نستمر لأنه ما زالت لدي أسئلة. هل تذكرين أي شيء قبل التبني؟».

ـ «ليس حقًّا. أجزاء متفرقة، لكنك تصل إلى نقطة أنه عندما لا تجد أي أحد ليؤكد لك صحة ذكرياتك، تفقدهم كلهم. الشيء الوحيد الذي لدي قبل أن تتبناني كارين هو بعض الإكسسوارات، وليست لدي فكرة من أين أتت. لا أستطيع أن أميز الآن بين الحقيقة والأحلام، أو ما رأيته على التلفاز».

ـ «هل تتذكرين أمك؟»

تتوقف لثانية، ثم تقول بوضوح: «كارين هي أمي». أستطيع أن أقول إنها لا تريد أن تتحدث في الأمر، ولا أريد أن أدفعها لذلك.

ـ «إنه دوري. آخر سؤال، وبعدها سنأكل الحلوى».

أقول محاولًا أن ألطف الجو: «هل تعتقدين أن لدينا حلوى تكفي؟».

تقول فتغيَّم الجو تمامًا: «لماذا ضربته؟».

لا أريد الخوض في ذلك. أدفع طبقي بعيدًا. سوف أدعها فقط تفوز بهذه الجولة.

ـ «لا تحاولي معرفة إجابة هذا يا سكاي. سوف أخضع للعقاب».

ـ «لكنني أريد أن أعرف».

مجرد التفكير في هذا اليوم، يجعلني غاضبًا بالفعل. أحرِّكُ فكي لأتخلص من التوتر.

ـ «كما أخبرتك من قبل، ضربته لأنه كان أحمق».

قالت بعينيها الضيقتين: «هذا غامض. وأنت لست غامضًا».

أعرف أنني أحب عنادها، لكنني أحبه فقط عندما لا تدفعني لاستحضار الماضي. لكن ليست لدي فكرة عما قيل لها عن الوضع برمته. لقد وصلت إلى نقطة أن أجعلها تنفتح، وتسألني حتى تسمع الحقيقة مني. إذا رفضت أن أجيبها، ستتوقف عن الانفتاح لي.

أقول: «كان أول أسبوع لي في العودة إلى المدرسة بعد موت ليز. ارتادت المدرسة نفسها أيضا، لذا، يعرف الجميع ما حدث. سمعت الفتى يقول شيئًا عن ليز، عندما مررت به في المدخل. لم أوافقه، وجعلته يعرف هذا. تماديتُ حتى أصبحت جالسًا فوقه، ولم أهتم. كنت أضربه، مرارًا وتكرارًا، ولم أهتم. الجزء الأسوأ حقيقة أن الفتى غالبًا سيصبح أصم لبقية حياته، وما زلت لا أهتم».

قبضتي مشدودة على المائدة. مجرد التفكير في الطريقة التي تعامل بها الجميع بعد موت ليز، يضايقني تمامًا من جديد.

ـ «ماذا قال عنها؟»

أستند إلى الوراء في مقعدي، وعيناي تقعان على المنضدة بيننا. لا أشعر حقًّا برغبة في النظر إلى عينيها، عندما أفكر فقط في الأشياء التي تغضبني.

ـ «سمعته يضحك، وهو يقول لصديقه إن ليز أخذت طريقًا أنانيًّا وسهلًا للخروج. قال إنها إن لم تكن جبانة، فكان يجب أن تقسو عليها».

ـ «تقسو على مَن؟»

ـ «الحياة».

ـ «أنت لا تعتقد أنها أخذت الطريق الأسهل للخروج».

لم تقله كأنه سؤال، قالته كأنها تحاول أن تفهمني صدقًا. هذا كل ما أردته منها طوال الأسبوع. أردتها فقط أن تفهمني، وتصدقني ولا تصدق الآخرين.

لا أظن أنها اتخذت الطريق السهل لتخرج. لا أظن هذا على الإطلاق.

أصل إلى المنضدة، وأشد يدها بين يدي. وأقول: «ليز كانت أشجع إنسانة عرفتها في حياتي، يتطلب الأمر الكثير من الشجاعة لأن تنهي كل هذا، دون أن تعرفي ما القادم؟ دون أن تعرفي إن كان هناك أي شيء قادم؟ من السهل أن تعيشي حياة بلا حياة متبقية فيها، عن أن تقولي «اللعنة على كل شيء»، وترحلي. كانت واحدة من القلائل الذين قالوا «اللعنة على كل شيء». وسوف أثني عليها كل يوم ما دمت حيًّا، خائفًا من أن أفعل الشيء نفسه».

أنظر إليها بعد أن أنهي حديثي، وعيناها تتسعان. يدها ترتجف، لذا أشبك يدي حولها. ننظر بعضنا إلى بعض لثوانٍ، وأشعر أنها لا تعرف ما تقوله لي. أحاول أن ألطف الجو، وأغيِّر

الموضوع. قالت إنه آخر سؤال، ثم سنحضر الحلوى.

أميل إلى الأمام، وأقبِّل قمة رأسها، ثم أذهب إلى المطبخ.

ـ «تريدين براونيز أم كوكيز؟»

أراها من المطبخ، بينما أمسك الحلوى، وهي تحدق بعينين متسعتين.

لقد أخفتُها.

لقد أخفتُها تمامًا للتو.

أعود إلى حيث تجلس، وأنزل على ركبتي أمامها. أقول لها ممسكًا بوجهها بين يدي: «لم أقصد أن أخيفكِ. لا أفكر في الانتحار إذا كان هذا ما يرعبكِ. أنا لست مختلًّا. ولست مضطربا. ولا أعاني أعراض ما بعد الصدمة. أنا مجرد أخ أحب أخته أكثر من الحياة نفسها، لذا أصبح حادًّا قليلًا، عندما أفكر فيها. وأتأقلم أفضل عندما أقول لنفسي إن ما فعلته كان نبيلا، حتى لو لم يكن كذلك، هذا كل ما أفعله، أتأقلم».

أمنحها الوقت لتستوعب كلماتي، ثم أنتهي من شرحي.

ـ «لقد أحببت هذه الفتاة سكاي. أحتاج إلى أن أصدق أنَّ ما فعلته هو الإجابة الوحيدة على رحيلها، لأنني إذا لم أفعل، لن أغفر لنفسي أنني لم أساعدها لتجد إجابة مختلفة».

أضغط جبيني بجبينها، ناظرًا إليها بحزم في عينيها.

ـ «حسنًا».

أريدها أن تفهم أنني أحاول، ربما لم أكن مستعدًّا جيدًا، وربما لا أعرف كيف أتجاوز موت ليز، لكنني أحاول.

تعض شفتيها معًا، وتومئ، ثم تسحب يديها بعيدًا. تقول بسرعة، وهي تلف حولي: «أريد أن أذهب إلى الحمام». تسرع إلى الحمام، وتغلق الباب خلفها.

يا إلهي، لماذا ذهبت بها إلى هناك؟ أسير إلى المدخل مُستعدًّا لنقر الباب والاعتذار، لكن أقرر أن أمنحها دقائق عدة أولًا. وأعرف أن هذا كان ثقيلًا، وربما تحتاج فقط إلى دقيقة. أنتظر في المدخل، حتى ينفتح باب الحمام ثانية، ولا تبدو كأنها تبكي.

أسألها وأنا أقترب منها خطوة: «هل نحن بخير؟».

تبتسم إليَّ وتزفر نفسًا مرتعشًا.

ـ «أخبرتك أنني أعتقد أنك حاد. وهذا يثبت رأيي».

عادت إلى نفسها بالفعل مرة أخرى. أحب هذا فيها.

أبتسم وألف ذراعي حولها، ثم أضع ذقني على مقدمة رأسها، بينما نتخذ طريقنا إلى غرفة نومها: «أليس مسموحًا لك بأن تصبحي حاملًا بعد؟»

تضحك، ثم تقول: «لا، ليس في عطلة نهاية الأسبوع هذه. كما أن عليك أن تقبِّل فتاة قبل أن تستطيع أن تنام معها».

أقول: «هل الذي يدرس من المنزل لا يحصل على ثقافة جنسية؟ لأنني أستطيع تمامًا أن أفعلها معكِ دون حتى أن أقبِّلك. هل تريدين أن أريكِ؟»

تسقط في السرير، وتلتقط الكتاب الذي قرأت لي منه ليلة أمس. تقول: «سوف آخذ كلامك بجدية. بجانب أنني أتوقع أننا على وشك أن نحصل على جرعة ضخمة من الثقافة الجنسية قبل أن نفعلها حتى الصفحة الأخيرة».

أستلقي جوارها وأشدها إليَّ. تريح رأسها فوق صدري، وتبدأ في القراءة لي.

***

أكوِّر يدي في قبضة محكمة وأدعها جواري، مُحاولًا بكل طاقتي ألا أمس فمها. لم أرَ شيئًا مثاليًّا مثله من قبل.

إنها تقرأ لأكثر من نصف ساعة الآن، ولم أسمع أي كلمة قالتها. في الليلة الماضية كان أسهل بكثير أن أنتبه للقصة الحقيقية، لأنني لم أكن أنظر إليها مباشرة.

الأمر يتطلب مني الليلة كل ما أملك من قوة الإرادة، حتى لا أدعو شفتيها إلى شفتي. إنها مستندة برأسها على صدري، مستخدمة إياي وسادة. آمل ألا تشعر بقلبي، وهو يدق الآن، لأنها في كل مرة ترمقني عندما تقلب الصفحة، أعتصر قبضتي أكثر، وأحاول أن أبقي يدي لدي، لكن المقاومة يتردد صداها في نبضي. والأمر ليس أنني لا أريد أن أمسها. أريد أن أمسها وأقبلها بشدة وهذا يؤلمني جسديًّا.

لا أريد أن يكون هذا غير مهم بالنسبة لها. عندما أمسها... أريدها أن تشعر به. أريد لكل شيء أقوله لها أو أفعله لها أن يصبح ذا أهمية.

في الليلة الماضية، عندما أخبرتني أنها لم تشعر بأي شيء على الإطلاق عندما تُقبَّل، فعل قلبي هذا التصرف المجنون عندما شعر بأنه ملزم، كما لو أنه مقيد، تمامًا مثل رئتي في صدري. لقد واعدت الكثير من الفتيات، مع أنني قللت من شأن هذا أمامها.

مع كل فتاة كنت معها، قلبي لم يتفاعل أبدًا كما تفاعل معها. وأنا لا أشير إلى مشاعر قلبي تجاهها، لأنه لنكون صادقين، أنا بالكاد أعرفها. أنا أشير إلى تفاعل قلبي الحرفي، تفاعله الجسدي تجاهها. في كل مرة تتحدث أو تبتسم أو ـ لا سمح الله ـ تضحك... قلبي يشعر كأنه صُفِع. أكره هذا، وأحبه، ونوعًا ما أدمنته. كل مرة تتحدث فيها، تذكرني الصفعة في صدري أنه ما زال هناك شيء هنا.

جزء ضخم مني فُقِد عندما فقدت هوب، واقتنعت أن ليز أخذت آخر محتويات صدري معها، عندما ماتت في العام الماضي. بعد بقائي مع سكاي هذين اليومين، لم أعد متأكدًا من هذا بعد الآن. لا أعتقد أن صدري كان فارغًا طوال هذا الوقت، مثلما ظننت. أيًّا كان ما تبقى داخلي كان نائمًا، وهي نوعًا ما توقظه ببطء.

مع كل كلمة تقولها، وكل نظرة ترسلها في طريقي، دون أن تدري تسحبني من كابوس عمره ثلاثة عشر عامًا حُبست فيه، وأريد أن أستمر في السماح لها بسحبي.

تبًّا.

أرخي قبضتي، وأضعها على شعرها الممتد على صدري. ألتقط خصلة منفلتة، وألفها حول إصبعي، مُبقيًا عيني على فمها، بينما تقرأ لي. أجد نفسي أقارنها بهوب كل حين وآخر، رغم جهودي ألا أفعل.

أحاول أن أسترجع كيف كانت تبدو عينا هوب بالضبط، أو إذا كان لديها الأربع نمشات نفسها على أنفها مثل سكاي. في كل مرة أبدأ بمقارنتهما، أجبر نفسي على التوقف. لا يهم بعد الآن، وأحتاج أن أتخطى ذلك.

أثبتت سكاي أنها لا يمكن أن تكون هوب، وعليَّ أن أقبل ذلك. احتمال أن تكون الفتاة التي فقدتها هنا، مستندة إلى صدري، خصلة شعرها بين أطراف أصابعي... هذا مستحيل. أحتاج إلى أن أفصل كلتيهما في رأسي قبل أن أخفق، وأفعل شيئًا أحمق، مثل أن أنادي سكاي بالاسم الخطأ.

هذا سيكون مقززًا.

ألاحظ شفتيها مطبقتين في خط رفيع محكم، وهي لم تعد تتكلم. إنها لعنة العار، لأن فمها ينيم مغناطيسيًّا.

أسألها دون أن أنظر في عينها: «لماذا توقفتِ عن الكلام؟». أبقي عيني مصوبتين على شفتيها، آملًا في أن تبدآ في التحرك مرة أخرى.

تقول: «الكلام؟»، تتجعد شفتها العليا على شكل ابتسامة، وتضيف: «هولدر. أنا أقرأ. هناك فرق. وبالنظر إليك، أنت لم تعطني ولا حتى ذرة انتباه».

المشاكسة في ردها تجعلني أبتسم. أقول وأنا أرتفع على مرفقي: «لقد كنت منتبهًا. لفمك. ربما ليس للكلمات التي تخرج منه، لكن بالطبع لفمك». أنزلق من تحتها حتى تصبح على ظهرها، وأنزل حتى أصبح إلى جوارها. أشدها إليَّ وآخذ شعرها بين أطراف أصابعي ثانية. حقيقة أنها لا تقاوم ولو قليلًا تعني فقط أنني سأكون في حرب مع نفسي لباقي الليلة الملعونة. لقد وضحت بالفعل أنها تريدني أن أقبِّلها، سأكون ملعونًا إذا كان تراجعي عن دفعها للثلاجة ليس أصعب شيء كان عليَّ أن أفعله على الإطلاق.

تبًّا. مجرد التفكير فيه، يكاد يكون بشدة الأمر نفسه، عندما كان يحدث بالفعل.

أترك خصلة شعرها وأشاهد أصابعي تمس شفتيها. لا أعرف كيف حدثت الثواني الخمسة الأخيرة. لكنني أنظر إلى أسفل يدي وهي تخدش فمها كما لو أنني ليس لدي تحكم في أطرافي بعد الآن. يدي لها عقل من تلقاء نفسها لكنني حقًّا لا أهتم... ولا أريد أن أتوقف.

أشعر بنفسها على طرف أصابعي، وعليَّ أن أعض خدي من الداخل لأركز انتباهي على شيء آخر غير الذي أريده، لأن رغباتي ليست المهمة الآن، إنها هي. وأنا أشك بشدة أنها تريد أن تتذوق فمي بقدر ما أريد أن أتذوق فمها الآن.

أقول وأنا أتتبع فمها بأطراف أصابعي: «لديكِ فم لطيف. لا أستطيع التوقف عن النظر إليه».

تقول: «يجب أن تتذوقه، إنه جميل جدًّا».

تبًّا.

أغمض عيني وأنزل برأسي على عنقها، مجبرًا تركيزي على البعد عن هاتين الشفتين.

ـ «توقفي، أيتها الساحرة الشريرة».

تضحك، وتقول: «مستحيل. إنها خطتك الحمقاء لماذا عليَّ أن أنفذها؟».

يا إلهي. إنها تلعب. مسألة عدم التقبيل كلها لعبة بالنسبة لها، وسوف تغيظني وتضايقني بها. لا أستطيع أن أفعل هذا. إذا استسلمت ومنحتها قُبلةً قبل أن تكون مستعدةً، أعرف أنني لن أستطيع أن أتوقف. ولا أعرف ماذا يدور في صدري الآن حقًّا، لكنني حقًا أحب شعوري عندما أكون حولها.

إذا كان بإمكاني سحب هذا للخارج، أيًّا كان، حتى أتأكد أنها تشعر بالشعور نفسه، فسيكون هذا بالضبط ما سأفعله. حتى لو أخذ مني الأمر أسبوعًا، لأتأكد أنها وصلت إلى هذه النقطة، وأخمن أنني سأنتظر لأسابيع. في الوقت الحالي، سوف أفعل كل ما في استطاعتي، لأتأكد أن مرتها الأولى التالية لن تكون غير مهمة.

أقول موضحًا بالضبط لماذا عليها أن تساعدني لننفذ هذه القاعدة: «لأنكِ تعرفين أنني على حق.. لا أستطيع أن أقبلكِ الليلة لأن التقبيل يؤدي إلى الشيء الآخر، والذي يؤدي إلى شيء آخر، وبمعدل السرعة التي سنمضي بها سوف ننتهي من كل أشيائنا الأولى في عطلة نهاية الأسبوع المقبل. هل تريدين أن ننتهي أشياءنا الأولى في وقت أقل؟» أبتعد عن عنقها وأنظر إليها، مدركًا أن المسافة بين شفتينا الآن أقل من المسافة بين جسدينا.

تقول ناظرة إليَّ بفضول: «أشياؤنا الأولى. كم عدد الأشياء الأولى؟».

ـ «ليس هناك الكثير، لذا، علينا ألا ننتهي منها بسرعة. لقد انتهينا من الكثير منذ التقينا».

تميل برأسها، وملامحها تصبح جادة بشكل جذاب.

ـ «ما الأشياء الأولى التي انتهينا منها؟»

أقول: «الأشياء السهلة.. أول عناق، أول موعد، أول شجار، أول مرة ننام سويًّا، برغم أنني لم أكن من نام. الآن بالكاد تتبقى لنا أشياء. أول قبلة. أول مرة ننام سويًّا عندما يكون كلانا مستيقظًا. أول زواج. أول طفل. بعد هذا سننتهي. حياتنا ستصبح معتادة ومملة وسيكون عليَّ أن أطلقك وأتزوج من فتاة أصغر مني بعشرين عامًا حتى أحصل على أشياء أولى أكثر وسوف تعلقين أنتِ في تربية الأولاد». أضع يدي على خدها وأبتسم لها. «الآن فهمتِ يا حبيبتي؟ أنا

أعمل هذا فقط لمصلحتك. كلما انتظرت أكثر على تقبيلك، طالت المدة قبل أن أتركك هائجة وجافة».

تضحك ويبدو هذا سامًّا للغاية، أنا مجبر على ابتلاع كتلة ضخمة في حلقي حتى أستطيع أن أترك مكانًا لأتنفس مجددًا.

تقول: «منطقك يرعبني.. أنا نوعًا ما، لم أعد أجدك جذابًا».

قبلت التحدي.

أنزلق فوقها ببطء وحذر مستندًا على يدي. إذا لمس جسدي أي جزء منها الآن، سوف نتحرك بالفعل للأشياء الثانية والثالثة. أقول محدقًا مباشرة في عينيها: «نوعًا ما لم تجديني جذابا؟ هذا أيضًا يعني أنكِ نوعًا ما تجدينني جذابًا».

عيناها تصبح داكنتين، وتهز رأسها. أستطيع أن أرى تراجعًا في قاعدة حلقها، بالكاد يتحرك، وهي تبلع ريقها قبل أن تتحدث.

ـ «لا أجدك جذابًا على الإطلاق. أنت تصدني. في الحقيقة، من الأفضل ألا تقبلني لأنني متأكدة أنني سأتقيأ».

أضحك، ثم أنزل مرفقي حتى أستطيع أن أقترب من أذنها، لا أزال حريصًا على ألا ألمس أي جزء منها.

أهمس: «أنتِ كذابة. أنتِ منجذبة ليَّ تمامًا، وسوف أثبت ذلك».

لدي كل الرغبة للبعد، لكن بمجرد أن لفحتني ريحها، لم أستطع البعد. شفتاي التصقتا بعنقها قبل حتى أن تكون لدي فرصة لأزن قراري. لكن الآن أشعر بمزيد من الجحيم مثل ضرورة أن أتذوقها عوضًا عن أن أتخذ قرارًا فقط. تشهق حين أبتعد، ولا يسعني إلا أن آمل أن تكون شهقتها حقيقية. التفكير في أنها تشعر بالفعل، ما شعرت به عندما لمست شفتاي عنقها تجعلني أشعر بانتصار سخيف. سيئ جدًّا أنني أحب التحدي، لأن هذه الشهقة جعلتني أريد أن أنهي اللعبة. أضع فمي على أذنها وأهمس: «هل شعرتِ بهذا؟».

عيناها مغمضتان، وهي تهز رأسها بلا، وتتنفس بصعوبة. أنظر إلى صدرها، يرتفع بشكل خطير بالقرب من صدري.

أهمس: «هل تريديني أن أفعلها مجددًا؟».

أريدها أن تترجاني لأفعلها مرة أخرى، لكنها تهز رأسها بلا. تتنفس أسرع مرتين مما فعلت قبل ستين ثانية، لذا أعرف أنني أصل إليها. أضحك لأنها تهز رأسها بإصرار، بينما في الوقت نفسه تشد الملاءة المجاورة لها بقبضتها. أقترب من فمها لأنني فجأة تصبح لدي حاجة ملحة لأن آخذ بعض أنفاسها التي تضيعها. يبدو الأمر كما لو أنني أريدها أكثر منها الآن، لذا أتنفس في الوقت نفسه الذي تقابل فيها شفتاي خدها. لا أتوقف هناك رغم ذلك. لا أستطيع أن أتوقف هناك. أستمر في تقبيل خدها حتى أذنها. أتوقف وألتقط نفسًا كافيًا لأتحدث بصوت ثابت: «ماذا عن هذا؟».

مرة أخرى تهز رأسها بعناد، لكنها تميله إلى الوراء لليسار قليلًا، سامحة لي بدخول أفضل. أرفع يدي عن السرير وأضعها على خصرها، عيناي معلقتان بها بينما أدخل يدي تحت قميصها، بما يكفي لملامسة بطنها بإبهامي. أشاهد أي رد فعل منها، لكنها صارمة، التعبير على وجهها شفتان مطبقتان، كأنها تحاول أن تحبس أنفاسها. لا أريدها أن تحبس أنفاسها. أريدها أن تتنفس.

عندما أنزل بفمي وأنفي على فكها، تطلق أنفاسها المحبوسة تمامًا كما أتمنى أن تفعل. أمرر أنفي على فكها مستنشقًا عبيرها، ثم أتحرك للأسفل، أستمع باهتمام إلى كل شهيق يفلت من شفتيها، كأنها آخر أصوات سأسمعها على الإطلاق. عندما أصل إلى أذنها، أربعة من حواسي تتضاعف، وواحدة تفتقر إلى التذوق. أعرف أنني لا أستطيع تذوق فمها الليلة، لكن علي أن أتذوق جزءًا واحدًا منها على الأقل. أضغط شفتاي لأذنها وعلى الفور ترفع يدها إلى عنقي وتشدني لأقترب. الشعور بحاجتها لفمي على جلدها تمزق صدري على مصراعيه وأستسلم تمامًا، راغبًا في أن أشعر بهذه الرغبة منها أكثر. فورًا أباعد شفتيَّ، أنزلق بلساني على جلدها، آخذا حلاوتها وحابسًا إياها في ذاكرتي. لم أذق أبدًا شيئًا ينافس الكمال مثلها.

ثم تئن ويا إلهي. كل شيء ظننت من قبل أنني أعرفه عن رغباتي واحتياجاتي فقدته بهذا الصوت. من الآن وصاعدًا، هدفي الجديد والوحيد في الحياة هو أن أجد طريقة لأجعلها تصدر هذا الصوت بالضبط ثانية.

أضع يدي على جانب رأسها وأترك نفسي تمامًا، أقبِّل وأداعب كل إنش من عنقها، محاولًا أن أجد البقعة نفسها التي وصلت إليها قبل ثوانٍ قليلة. تسقط رأسها على الوسادة وأستغل

الفرصة لأستكشف المزيد من عنقها. بمجرد أن تبدأ شفتاي في المرور تجاه الارتفاع في صدرها، أجبر نفسي على العودة إلى اليسار ثانية، غير راغب في أن أدفع الأمور إلى النقطة التي تطلب مني فيها أن أتوقف.

ما زالت عيناها مغمضتين وأقترب بفمي من شفتيها، أقبلها برفق على زاوية فمها.

وها هو. أنعم وأرق صوت يفلت من حلقها ثانية. لا أستطيع تجاهل حقيقة أن جزءًا آخر مني أيقظه هذا الصوت. أستمر في تقبيل دائرة كاملة حول أطراف شفتيها، معجب بأنني بطريقة ما قادر على إيجاد القوة في نفسي لأبتعد.

عليَّ أن أتوقف لدقيقة، لأنني إذا لم أفعل، سوف أكسر قاعدتي الوحيدة الليلة، وهي بالطبع ألا أمس فمها. أعرف أنني إذا قبَّلتها الآن سيكون شيئًا عظيمًا. لكنني لا أريدها أن تحصل على العظمة. أريدها أن تحصل على الروعة. بالنظر إلى شفتيها الآن، أعرف حقيقة أن هذا سيكون رائعًا بالنسبة لي.

أقول: «إنهما مثاليتان مثل القلوب. أستطيع حرفيًّا التحديق إلى شفتيكِ لأيام، دون أن أشعر أبدا بالملل».

تفتح عينها وتبتسم.

ـ «لا. لا تفعل هذا. إذا كان كل ما ستفعله التحديق، سأكون أنا من سيشعر بالملل».

تبًّا على هذه الابتسامة. من المؤلم أن أشاهد هذا الفم يبتسم ويتجهم ويعبس ويضحك ويتحدث، بينما كل ما أريد أن أشاهده هو أن يقبِّلني.

لكنها بعد ذلك تلعق شفتيها، وكل شيء ظننت أنني عرفته عن الألم، بدأ حقًّا يظهر على أنه جيد بالمقارنة بالطريقة التي اقتلع بها قلبي من صدري بهذه المداعبة الصغيرة. أشهق وأضغط جبهتي بجبهتها. وجود فمها بهذا القرب من فمي يمتص التحكم الذاتي من داخلي الآن. ألقي بنفسي فوقها وكأن دفقة من الهواء الدافئ تتسرب إلى الغرفة وتحيطنا. كلانا نشعر بالشيء نفسه معًا ونئن معًا ونتحرك معًا ونتنفس معًا.

ثم نستسلم تمامًا معًا. أيدينا الأربعة تنتزع قميصي بجنون وكأن يدين لا تستطيعان أن تفعلاها بسرعة كافية. بمجرد أن يُنزع، تلتف ساقاها حول خصري وتشدني بإحكام عليها. أنزل جبهتي إلى جبهتها وأتحرك عليها، أبحث عن طريقة جديدة لأخرج هذه الأصوات

الصغيرة من فمها والتي أصبحت بسرعة أغنيتي المفضلة الجديدة. نستمر في الحركة معًا وكلما شهقت وتألمت، اقتربت شفتاي في حركتها عليها، راغبًا في تجربة تلك الأصوات مباشرة. أريد فقط معاينة صغيرة لكيف سيكون شعور قُبلتها. معاينة صغيرة، هذا كل شيء. أسمح لشفتيَّ بأن ينحيا على شفتيها وكلانا يأخذ نفسًا.

لقد شعرتْ بها. لقد شعرت بها حقًّا الآن، وأعتقد أنني أغرق في الرضا. لا أريد أن أعجل بالأشياء، وبالتأكيد لا أريد أن أبطئ الأشياء. أريد فقط أن أبقي الأشياء تمامًا، كما هي الآن، لأن هذا مثالي.

أضع يدي على جانب وجهها، وأبقي جبيني على جبينها، شفتاي مرتاحتان على شفتيها. أحب شعور أفواهنا تتحرك معًا، لذا أبتعد وألعق شفتيَّ لأخلق سلاسة في الحركة. أمد ساقي ملقيا بعض الثقل على ركبتيَّ، دون أن أتوقع لهذه الحركة البسيطة أن تفعل ما فعلته بها. تقوس ظهرها وتهمس: «يا إلهي».

أشعر كأن عليَّ أن أجاوبها، لأنني متأكد أنها تشير إليَّ الآن، بالطريقة التي تلقي بها ذراعيها حول عنقي وتدس رأسها نحوي. ذراعاها يرتجفان وساقاها متشنجان على خصري. أدرك أنها لا تشعر بهذا الآن فقط، إنها تفعل كل ما باستطاعتها لتحاربه.

تهمس وهي متشبثة بظهري: «هولدر». لست متأكدًا إذا كانت تريدني أن أجاوبها أم لا، لكنني نسيت كيف أتكلم، لذا لا يهم. بالكاد أستطيع تذكر كيف أتنفس الآن.

ـ «هولدر».

تقول اسمي بإلحاح أكبر هذه المرة، فأقبل جانب وجهها، وأبطئ من حركاتي عليها. هي لم تسألني أن أتوقف أو أبطئ بعد، لكنني متأكد أنها على وشك أن تفعل. أفعل كل ما باستطاعتي لأعترض على ندائها، لأنها تبدو رائعة، ولا أريد أن أتوقف.

ـ «سكاي، إذا كنتِ تطلبين مني أن أتوقف، فسأفعل. لكن آمل ألا تفعلي ذلك، لأنني حقا لا أريد أن أتوقف. لذلك أرجوكِ لا تطلبي».

أنهض وأنظر إليها، ما زلت بالكاد أتحرك عليها. ولم تسألني بعد أن أتوقف. أنا خائف إنْ توقفت، أن يختفي ما تشعر به الآن أيًّا كان. هذا يرعبني لأنني أعرف أنني سأشعر بها لأيام

بعد هذا. أحب معرفة أن ما أفعله بها الآن له تأثير كافٍ يجعلها تشعر بأنها تريدني أن أتوقف قبل أن تمر الليلة الأولى غير المتوقعة.

أصل إلى خدها وأداعبه بظهر يدي، رغبة مني في هذا الأمر الليلة.

وأقول لها: «لن نفعل أكثر من هذا، أعدك. لكن أرجوكِ لا تطلبي مني أن أتوقف من حيث وصلنا. أرغب في أن أراكِ وأسمعكِ، لأن حقيقة أنكِ تشعرين بهذا الآن ممتعة للغاية. أنت تبدين مدهشة، والشعور مدهش».

أنزل بفمي على فمها لأقبلها برفق، وأتراجع مباشرة قبل أن يتحول هذا الاتصال المدهش إلى أكثر من نقرة. شفتاها تبدوان مثاليتين بطريقة لا يمكن تصورها، عليَّ أن أبتعد عنها تمامًا لأستعيد اتجاهاتي. وإلا، لن أتمكن من التماسك مرة أخرى. أنظر إليها وهي تبادلني النظر، باحثةً في عيني عن إجابة لسؤال هي وحدها مَن تملك إجابته. أنتظر بصبر لأن تقرر أين سنذهب من هنا.

يبدأ رأسها في الاهتزاز جيئةً وذهابًا، وتضع يدها على صدري.

ـ «لا. أيًّا كان ما يحدث، لا تتوقف».

أبقى ساكنًا لثوانٍ، أكرر ما قالته للتو في رأسي حتى أصبح متأكدًا أنها طالبتني بألا أتوقف. أضع يدي تحت عنقها وأجذب جبهتها إلى جبهتي. أقول بأنفاس متهدجة: «شكرًا لكِ». أريح نفسي فوقها حتى نستعيد إيقاعنا. تبدو مدهشة في التصاقها بي، لم أعرف أنني سأكون أنا ثانية مرة أخرى على الإطلاق. هذه الفتاة رفعت السقف عاليًا فوق رؤوس كل الفتيات، لن تستطيع واحدة أن تقترب منها حتى.

أقبِّلها في كل مكان لمسته شفتاي الليلة بالفعل، أواكب وتيرة شهقاتها وأناتها. عندما أشعر بجسدها مشدودًا حولي أبتعد عن عنقها وأنظر إليها. تغرس أظافرها في جلدي عميقًا، ثم تميل برأسها للخلف، وتغمض عينيها. تبدو جميلة للغاية، لكنني أريد عينيها في عيني، وأريد أن أراها، وهي تشعر بهذا.

أقول لها: «افتحي عينيكِ»، تجفل، لكنها لا تنظر إلي، أقول: «أرجوكِ»،

على الفور تفتح عينها عندما أقول أرجوكِ. حاجباها يتجعدان معًا، وتفقد إيقاع نمط تنفسها كله. إنها تعاني لتتنفس الآن لأن جسدها بدأ يرتعش تحتي، في حين أن نظراتنا معلقة

معا. كل ما أستطيع فعله، هو أن أحبس أنفاسي، وأشاهد أروع شيء رأيته من قبل يتكشف تحتي. عندما هربت من شفتيها أعلى أنَّاتها، لم تعد تستطيع أن تبقي عينيها مفتوحتين. بمجرد أن أغمضتهما، أنزل بشفتي على شفتيها، راغبًا في أن أشعر بهما ثانية. عندما تهدأ تمامًا، أحرك شفتي أسفل عنقها وأقبِّلها كما أتمنى لو أنني أستطيع تقبيل فمها الآن.

لكن رؤية كم تريدني أن أقبِّل فمها الآن تجعل انتظاري أكثر أهميةً لي. بالأخذ في الحسبان ما حدث بيننا، يبدو على الأغلب من السخف الاستمرار في التأكد أنني لن أقبِّلها. لكنني عنيد وتعجبني معرفة أننا في المرة المقبلة سنكون معًا مثل الآن، سنستطيع أن نجرب أشياء أخرى من المحتمل أن تقودني إلى مزيد من الجنون أكثر مما فعلت الليلة.

أضغط شفتي على كتفها وأنهض على ذراعي. أمرر أصابعي على مفرق شعرها، وأبعد خصلات الشعر المنثورة على وجهها. تبدو راضيةً تمامًا، وهذا أجمل شعور شعرت به على الإطلاق، والأكثر إرضاءً.

أقول وأنا أعرف أن الكلمة بها بخس شديد لما هي عليه حقًّا: «أنتِ مُدهشة». تبتسم لي وتستنشق نفسًا عميقًا في الوقت نفسه الذي أفعل فيه الشيء نفسه. أنهار جوارها على السرير، محتاجًا إلى أن أبتعد عنها فورًا. صدري حي تمامًا الآن، والشيء الوحيد الذي قد أعرف أنه يرضيني هو أن أضمها ثانية وفمي على فمها. أدفع بالصورة خارج عقلي، وأحاول أن أهدئ نفسي من خلال مطابقة نمط تنفسي مع نمط تنفسها.

بعد أن أجد في صمت نقطة مستقرة كافية لأمسها ثانية، أحرك يدي بالقرب من يدها، وألف خنصري على خنصرها. شعور خنصرها مع خنصري مألوف للغاية. أكثر من أن يكون صحيحا للغاية. أكثر من أن يكون طال انتظاره. أغمض عيني بشدة مُحاولًا إنكار رضا ضميري عن كونه على حق.

إنها سكاي، وأشك في هذا فقط، بسبب شعوري بأنها مألوفة. تكفي الألفة بالكاد لإقناعي بخلاف ذلك.

أتمنى أن يكون حدسي خاطئًا، لأنني إذا كنت على حق، فالحقيقة ستدمرها.

أرجوك، دعها فقط تكون سكاي.

خوفي من أن أكون على حق يستمر في الاندفاع، وأنا أجلس على السرير، وأحتاج إلى أن أفصل نفسي عنها. أحتاج إلى تصفية رأسي من كل هذا الجنون. أقول ناظرًا إليها: «عليَّ أن أرحل. لا أستطيع البقاء معكِ على هذا السرير أكثر من ذلك».

أنا صادق معها. لا أستطيع البقاء على هذا السرير معها لثانية أخرى، رغم أنني متأكد أنها تفكر في أسباب مختلفة. وليس السبب الذي أحتاج إلى أن أفصل نفسي عنها من أجله. حقيقة، خائف أن يكون حدسي صحيحًا لمرة واحدة.

أقف وأشد قميصي من خلال رأسي، وألاحظ أنها تنظر إليَّ كأنني أرفضها. أعلم أنها على الأغلب ظنت أننا سننتهي بتبادل القبل الليلة، لكن لديها الكثير لتتعلمه، عندما يتعلق الأمر بالشك في كلمتي.

أقترب منها، وأبتسم مطمئنًا.

ـ «عندما قلت إنكِ لن تُقبّلي الليلة، كنت أقصد ما قلته. لكن تبًا سكاي. لم تكن لدي فكرة كم ستجعلين الأمر صعبًا».

أضع يدي خلف عنقها وأقترب لأقبِّل خدها. عندما تشهق تأخذ كل إرادتي لأحرر قبضتي وأغادر السرير.

أشاهدها، بينما أذهب إلى النافذة، وأشد هاتفي من جيبي. أرسل لها رسالة سريعة، ثم أغمز لها تمامًا قبل أن أخرج. أغلق النافذة، وأتراجع خطوات عدة. بمجرد أن أغلق النافذة تقفز من سريرها، وتركض خارج غرفتها، على الأغلب لتذهب وتلتقط هاتفها وتقرأ رسالتها.

عادةً، تضحكني حماستها. بدلًا من ذلك أجد نفسي أحدق بلا أي تعبير خلال نافذة غرفة نومها. أشعر بالثقل في قلبي، وبثقل أكبر في عقلي، مثل قطع البازل التي تبدأ في التجمع ببطء لتكمل بعضها بعضًا، وصولًا إلى اسمها.

«السماء دائمًا جميلة...»

تخيفني الذكرى. أستند بيدي إلى حائط الطوب، وأستنشق نفسًا عميقًا. يكاد يكون مضحكا، حقًّا، حقيقة أنني أستطيع أن أجلس هنا، وأتسلى باحتمالية أن يحدث هذا فعلًا بعد ثلاثة عشر عامًا.

إذا كان حقيقيًّا، وإذا كانت حقًّا هي، سوف يفسد هذا حياتها. وهذا بالضبط سبب رفضي قبوله دون دليل ملموس. شيء أستطيع حقًّا أن ألمسه، ويمكنه أن يؤكد الأمر. دون دليل ملموس، سوف تبقى بالنسبة لي سكاي.

أنا فقط أريدها أن تكون سكاي.

الفصل الخامس عشر

ليز،

تذكرين عندما كنا صغارًا، وجعلت الجميع يتوقفون عن مناداتي بدين؟ لم أخبر أحدًا أبدًا عن حقيقة لماذا أريد أن أصبح هولدر، ولا حتى أنتِ.

كنا في الثامنة، وكانت المرة الأولى والوحيدة التي ذهبنا فيها إلى ديزني لاند. كنا ننتظر في صف أمام إحدى الألعاب الدوارة، وكنتِ مع أبي أمامي، لأنكِ لن تستطيعي أن تركبيها وحدكِ. كنت أطول منكِ، وكان هذا يضايقكِ، إذ أستطيع ركوب أغلب الألعاب وحدي، ولا تستطيعين الركوب وحدكِ.

عندما وصلنا إلى مقدمة الصف، أدخلوكِ مع أبي أولًا، وكان عليَّ أن أنتظر السيارة التالية لأركب. كنت أقف وحدي أنتظر بصبر. استدرت لأجد أمي، وكانت على بُعد مائة ياردة خارج الحلبة، تنتظرنا جميعًا حتى ننتهي. لوَّحت لها ولوَّحت لي، ثم استدرت عندما رحلت العربة الثانية.

كان هذا عندما سمعتها. سمعت هوب تنادي باسمي. التفت حولي، ووقفت على أطراف أصابع أقدامي في مواجهة صوتها.

نادت: «دين». بدت بعيدة جدًّا، لكنني عرفت أنها هي، لأنها قالتها بلهجتها. كانت دائمًا تمط منتصف اسمي، فتجعله أطول من مقطع لفظي واحد. أحببت دائمًا الطريقة التي تقول بها اسمي، لذا بسماعها تناديه، عرفت أنها هي. ربما أنها عرفتني، والآن تحاول أن تناديني لأساعدها.

نادت مرة أخرى: «دين»، في هذه المرة، أتى الصوت من بعيد. استطعت أن أسمع الرعب في صوتها. بدأت أشعر بالرعب أيضًا، لأنني أعرف أنني سأتعرض للمتاعب، إذا فقدت مكاني في الصف. قضى أبي وأمي الأسبوع بأكمله قبل أن نذهب، ويذكرانا أن نبقى مع أي منهما طوال الوقت.

رمقت أمي، لكنها لم تكن تنظر إليَّ، وكانت تشاهدكِ وأبي في الركب. لم أعرف ماذا أفعل، لأنها لن تعرف أين أنا، إذا غادرت الصف. لكن بمجرد أن صرخت هوب باسمي مجددًا، لم أهتم، وكان عليَّ أن أجدها.

بدأت في الركض تجاه آخر الصف، تجاه صوتها. كنت أنادي باسمها، آملًا أن تسمعني وتمشي في اتجاه صوتي.

يا إلهي يا ليز. كنت متحمسًا جدًّا. كنت مرعوبًا ومتحمسًا، وعرفت أن كل دعواتنا تحققت، لكن الأمر متوقف عليَّ حتى أسرع وأجدها، وكنت خائفًا ألا أتمكن من ذلك. كانت هنا، ولم أستطع أن أصل إليها بسرعة كافية.

خططت كل شيء في رأسي. بمجرد أن أجدها، سوف أحتضنها بقوة أولًا، ثم سأمسكها من يديها، وأعود بها إلى حيث تقف أمي. سوف ننتظر في نهاية اللعبة، حتى عندما تنتهي، سوف تكون أول شيء تريه.

أعرف كم ستكونين سعيدة، عندما ترينها. لم يكن أحدنا سعيدًا حقًّا خلال العامين منذ خطفت، وكانت هذه فرصتنا. وبعد كل هذا، ديزني لاند هي أسعد مكان على الأرض، ولأول مرة، بدأت أصدق هذا.

ناديت واضعًا يدي حول فمي: «هوب». كنت أركض لدقائق، ولا أزال أحاول أن أسمع صوتها. قد تنادي باسمي، ثم سأنادي اسمها، سيستمر هذا إلى ما يشبه الأبد، حتى أمسك أحدهم بذراعي، وانتزعه ليوقفني عن مساري. ألقت أمي ذراعيها حولي وحضنتني، لكنني كنت أحاول أن أتخلص من قبضتها.

قالت: «دين، لا يمكن أن تهرب هكذا». كانت تجلس على ركبتيها، وتهز أكتافي، وهي تنظر إليَّ في عيني بجنون.

ــ ظننت أنني فقدتك.

تراجعت عنها، وحاولت أن أستمر في الركض تجاه هوب، لكن أمي لم تترك أكتافي. قالت وهي مرتبكة: «توقف». لا تعرف لماذا أحاول أن أهرب منها.

أعاود النظر إليها في ذعر، وأهز رأسي بعنف، مُحاولًا التقاط أي نفس لأجد الكلمات. أشرت إلى الاتجاه الذي أردت الركض فيه.

ــ إنها هوب يا أمي. وجدت هوب. علينا أن نذهب إليها قبل أن نفقدها مجددًا.

يصل الحزن إلى عينيها فورًا، وأعرف أنها لا تصدقني. همست، وهي تهز رأسها تعاطفًا: «دين حبيبي».

شعرت بالأسف عليَّ. لم تصدقني، لأنها لم تكن أول مرة أظن فيها أنني وجدتها، لكنني عرفت أنني على حق هذه المرة.

تنادي هوب مرة أخرى: «دين. أين أنت؟». كانت أقرب بكثير هذه المرة، وأستطيع أن أقول من صوتها إنها تبكي الآن. عينا أمي تندفعان تجاه الصوت، وأعرف أنها سمعتها تناديني أيضًا.

أتوسل إليها: «علينا أن نجدها يا أمي. إنها هي. إنها هوب».

نظرت لي أمي في عيني، واستطعت أن أرى الخوف فيهما. أومأت، ثم أمسكت بيدي.

نادت وهي تتفحص الحشد: «هوب». كلانا ننادي باسمها الآن، وأتذكر أنني في لحظة ما، نظرت إلى أمي أشاهدها، وهي تساعدني في البحث. أحببتها أكثر من أي وقت في هذه اللحظة، لأنها صدقتني حقًّا.

سمعنا اسمي يُنادى مرة أخرى، وكان أقرب بكثير هذه المرة. نظرت إليَّ أمي، واتسعت عيناها. كلانا تقدم في الركض تجاه صوت هوب. اندفعنا في الحشد، وكان هذا، عندما رأيناها. كانت تدير ظهرها إلينا، وتقف وحدها.

نادت مجددًا: «دين».

تجمدنا أنا وأمي. لم نصدق، وكانت تقف تمامًا أمامنا، تبحث عني. بعد عامين من عدم معرفة من خطفها وأين كانت، أخيرًا وجدناها. بدأت في السير تجاهها، لكن فجأة دفعني جانبًا فتى مراهق يسرع تجاهها. عندما وصل إليها أمسكها بين ذراعيه وأدارها.

قال وهو يجذبها إليه: «أشلي. الحمد لله».

قالت للولد، وهي تلف ذراعيها حول عنقه: «دين. لقد تعرضت للتيه».

ــ أعرف يا أختي. أنا آسف، وأنتِ بخير الآن.

أبعدت وجهها المغرق بالدموع بعيدًا عن صدره، ونظرت تجاهنا.

لم تكن هوب على الإطلاق. ولم أكن دين الذي تبحث عنه. أمسكت أمي بيدي بإحكام، ونزلت على ركبتيها أمامي.

قالت: «أنا آسفة دين. ظننتُ أيضًا أنها هي».

تحررت تنهيدة من صدري وبكيت. بكيت بشدة يا ليز. لفت أمي ذراعيها حولي، وبدأت في البكاء أيضًا، لأنني لا أظن أنها عرفت أن فتى في الثامنة قد ينكسر قلبه هكذا. لكنني كُسِرت. تحطم قلبي كله من جديد في هذا اليوم. ولم أرد أن أسمع اسم دين أبدًا.

هـ

الفصل السادس عشر

أتخطى الدرج إلى المطبخ عمليًّا. ومجرد التفكير في سلوكي، عندما استيقظت الأسبوع الماضي بالمقارنة بهذا النهار، يضحكني. لم أتخيل في ملايين السنين أن يستهلكني التفكير في فتاة، مثلما حدث. من اللحظة التي غادرت فيها بيتها السبت الماضي، لم أفعل شيئًا إلا الأكل والتنفس والنوم معها في خيالي.

تسألني أمي: «حسنًا هل تعجبك سكاي؟». تجلس عند مائدة المطبخ تتناول الفطار، وتقرأ الجريدة. وتفاجأت أنها تتذكر اسمها. لقد ذكرتها فقط مرة واحدة. أغلق باب الثلاجة وأذهب إلى البار.

أقول: «إنها عظيمة. هي تعجبني كثيرًا».

تضع أمي الجريدة وترفع رأسها. تقول رافعة حاجبيها: «هي؟». لم أفهم ارتباكها. أنظر إليها، بينما تهز رأسها وتضحك، وتقول: «يا إلهي، لديك مشاعر قوية».

ما زلت مرتبكًا.

ـ «ماذا تقصدين؟ لقد سألتِني كيف أعجبتني سكاي وأجبتكِ».

تضحك بقوة أكبر الآن.

ـ «قلت المدرسة يا هولدر. سألتك كيف تعجبك المدرسة».

أوه.

ربما لدي مشاعر قوية.

أضحك حرجًا، ثم أقول: «توقفي».

تتوقف عن الضحك وتمسك بالجريدة حاملةً إياها أمامها. أمسك مشروبي وحقيبة ظهري وأتجه إلى الباب. تسألني: «حسنًا. هل تعجبك المدرسة؟».

أدير عيني. أقول خارجًا من المطبخ: «إنها جيدة. لكن سكاي تعجبني أكثر».

أذهب إلى السيارة، وألقي داخلها حقيبة ظهري. أتمنى لو أنني فكرت في أن أعرض عليها أن أقلها اليوم، لكن بعد قضاء أغلب يوم الأحد في المراسلة ذهابًا وجيئة، اتفقنا على أن

نبطئ من الأمور. قررنا ألا نركض معًا في الصباحات.

قالت إن هذا سيكون كثيرًا جدًّا، ومبكرًا جدًّا، وبالتأكيد، أريد أن أحافظ على وتيرتها، لذا وافقت. ومع ذلك، لا أستطيع أن أنكر حقيقة أنني كنت محبطًا قليلًا من أنها تريد أن تركض وحدها. أريد أن أكون حولها كل ثانية في اليوم، لكنني أيضًا أعرف أنها على حق. قضينا عطلة نهاية أسبوع واحدة معًا، وأشعر كأنني متصل معها على مرحلة أعمق من أي فتاة أخرى واعدتها. إنه شعور جيد، لكنه يرعبني أيضًا.

قبل أن أغادر الطريق الخاص، أخرج هاتفي وأراسلها.

لا أعرف إن كان الإيجو الخاص بكِ يحتاج إلى أن ينكمش اليوم. سوف أحكم بنفسي عندما أراكِ بعد خمس عشرة دقيقة.

أعيد هاتفي وأغادر الطريق الخاص. عندما أصل إلى أول لافتة توقف، ألتقط هاتفي مجددا، وأراسلها مجددًا.

أربع عشرة دقيقة.

أبقي هاتفي في يدي، وأراسلها مرة أخرى، عندما تمر دقيقة.

ثلاث عشرة دقيقة.

أفعل هذا كل دقيقة حتى أصل إلى موقف السيارات، وتمر كل الدقائق.

عندما أصل إلى الفصل، أخطف نظرة من خلال نافذة الباب. إنها تجلس في آخر الغرفة، بجوار مكتب ملائم فارغ. نبضاتي ترتفع قليلًا فقط من رؤيتها ثانية. أفتح الباب، وأسير إلى الداخل، ووجها يضيء على الفور بابتسامة بمجرد أن تراني.

أصل إلى آخر الغرفة، وأبدأ في وضع حقيبة ظهري أسفل المكتب الفارغ في الوقت الذي يحاول فيه شخص آخر أن يضع مشروبه على المكتب. أنظر إليه وينظر إليَّ، ثم ننظر كلانا إلى سكاي، لأنني لا أريد أن أدفعه بعيدًا دون إذن منها.

تقول بابتسامة محببة: «يبدو أن لدينا مأزقًا هنا يا أولاد». تنظر إلى القهوة التي في يد الفتى الواقف إلى جواري: «أرى أن المورمون أحضر للملكة هديتها من القهوة. مبهر جدًّا». تنظر إليَّ، وهي ترفع حاجبها: «هل تريد أن تكشف عن هديتك، أيها الولد الميؤوس منه، حتى أستطيع أن أحدد من سيرافقني في عرش الفصل اليوم؟»

إنها تغيظني. أحب هذا، والآن بالتفكير في الأمر، يبدو أن هذا هو الفتى الذي جالسته في الغداء طوال الأسبوع. بالنظر إلى حذائه الوردي وبنطاله المناسب للحذاء، ينتفي أي قلق من مجرد احتمالية أن يصبح منافسي.

ألتقط حقيبة ظهري وأدعه يجلس.

ـ «يبدو أن أحدهم يحتاج إلى رسائل تحطيم الإيجو اليوم».

أجلس في مقعد فارغ في الصف الذي أمامها. تقول للفتى صاحب القهوة: «مبارك أيها المرافق. أنت المختار من الملكة اليوم. اجلس، لقد كانت نهاية عطلة أسبوع هادئة».

يجلس، لكنه ينظر إليها بفضول. من الواضح من النظرة على وجهه، أنه لا يعرف ما حدث بيني وبين سكاي في عطلة نهاية الأسبوع. تقول سكاي وهي تعرفني به: «بريكن، هذا هو هولدر. هولدر ليس صديقي الحميم، لكن إذا أمسكت به، وهو يحاول أن يكسر سجل أفضل قبلة أولى مع فتاة أخرى، سوف يصبح بلا أنفاس، ولن يصبح صديقًا حميمًا».

لا تقلقي حبيبتي. لن أحاول كسر هذا السجل مع أي أحد غيرك.

ابتسم لها، وأقول: «وأنا أيضًا».

تقول مشيرة بيدها تجاهه: «هولدر، هذا هو بريكن. بريكن هو صديقي الجديد الأقرب على الإطلاق في العالم أجمع».

إذا كان صديق سكاي الأقرب، إذًا، على وشك أن يكون ثاني أقرب صديق لي. أمد يدي إليه، ويبادلني المصافحة بحذر، ثم يستدير إلى سكاي، ويقول بصوت منخفض: «هل يعرف الذي ليس صديقك الحميم أنني (مورمون)؟».

تبتسم سكاي وتومئ، وتقول: «اتضح أن هولدر ليست لديه مشكلة مع (المورمونيين) على الإطلاق. لديه مشكلة مع الحمقى فقط».

يضحك بريكن، وأحاول أن أستوعب، إذا كان «مورمون» حقًّا يعني «مورمون» في هذه الحالة، لأنه يبدو مثل شفرة لشيء آخر تمامًا.

يقول لي بريكن: «حسنًا، في هذه الحالة، أهلًا بك في التحالف». أحدق في كوب القهوة على مكتبه، وإذا كان «مورمون» يعني «مورمون» من الأفضل أن تكون القهوة بلا كافيين.

ـ «تصورت أن «المورمونيين» غير مسموح لهم بتناول الكافيين».

يقول بيركن بلا مبالاة: «قررت أن أكسر هذه القاعدة في اليوم الذي استيقظت فيه مثليًّا».

أضحك، وأظن أنه يعجبني هذا «المورمون».

تميل سكاي إلى الخلف على مقعدها، وتبتسم لي، وأشعر بشعور جيد بحصولي على القبول من الصديق الوحيد. يدخل الأستاذ موليجان، فأميل تجاه سكاي قبل أن يبدأ محاضرته.

ـ «انتظريني بعد الفصل؟»

تبتسم وتومئ.

***

عندما أصل إلى خزانتها أجدها مصفوفة بالملاحظات اللاصقة ثانية.

المتسكعون.

أكورها وألقي بها على الأرض، تمامًا مثلما أفعل كلما مررت بخزانتها. تبدل كتبها وتستدير لتواجهني. تقول: «لقد قصصت شعرك».

لست على وشك أن أعترف كم هو صعب أن أجد حلاقًا يعمل يوم الأحد.

ـ «نعم، الفتاة الجميلة التي أعرفها لم تتوقف عن الإلحاح على فعل هذا، إنه حقًّا أمر مزعج».

تقول: «يعجبني».

ـ «جيد».

تبتسم إليَّ وتضم كتبها إلى صدرها. لم أستطع التوقف عن التفكير في ليلة السبت، وكيف يمكن أن أتخلى عن أي شيء من أجل أن أعود إلى غرفتها معها الآن. تبًّا لماذا لم أقبّلها؟ سوف أقبَلها اليوم بعد المدرسة. أو في أثناء المدرسة إذا استطعت الإفلات بهذا، أو الآن.

تقول وهي ترمقني من الخلف: «أظن أن علينا أن نعود إلى الفصل».

أوافق، من المحتمل أن نعود إلى الفصل، لكنها ليست في حصتي التالية، لذا ليس لدي حافز للرجوع إلى الفصل.

تحدق بي لمدة طويلة كفاية بالنسبة لي لأرسم خطتي في ذهني، لكنني أريد أن آخذها، ونخرج الليلة. بهذه الطريقة سأوصلها إلى باب بيتها. وبمجرد أن نصل إلى الباب الأمامي، سوف أقبّلها بجنون على الأقل لنصف ساعة تمامًا، كما كان عليَّ أن أفعل ليلة السبت.

تدفع الخزانة، وتبدأ في السير بعيدًا، لكنني أمسك بذراعها وأعيدها للخلف، وأدفعها على الخزانة وتشهق، بينما أحتجزها بذراعي.

ترتبك ثانية.

أمد يدي إلى وجهها، وأمررها تحت فكها، ثم أسير بإبهامي على شفتها السفلى. أستطيع أن أشعر بحركة صدرها على صدري، وتتعاقب أنفاسها بسرعة.

أهمس وأنا أحدق في فمها: «تمنيتُ لو أنني قبَّلتك ليلة السبت». تباعد بين شفتيها وأستمر في حركة إبهامي عليهما: «لا أستطيع التوقف عن تخيل كيف سيكون مذاقك». أضغط إبهامي إلى منتصف شفتيها وبسرعة أميل عليها وأقبلها. أبتعد بسرعة رغم ذلك، لأن هذا الهياج قريب من أن يقتلني. عيناها مغمضتان وأنا أحرر وجهها وأسير بعيدًا.

أنا متأكد أنني أصبحت سيد قوة الإرادة، لأن الابتعاد عن هذا الفم، هو أحد أصعب الأشياء التي فعلتها على الإطلاق.

***

دانيال مقاطعًا طريقي ليقف أمامي: «أهلًا بسكويت ويسكر».

أتنهد وأهز رأسي، ثم أقول: «بسكويت ويسكر؟». أقسم أنني لا أعرف من أين أتى بهذا الهراء.

- "حسنًا، أنت لا تحب عندما أناديك هوبلس. أو قرف أو هراء».

- «يمكنك أن تناديني فقط هولدر».

- «الآخرون ينادونك هولدر، وأنا أكره الآخرين، لذا، لا أستطيع».

يأخذ صينيتين فارغتين ويناولني واحدة. يومئ تجاه مائدة سكاي. ويقول: «أتمنى أن تخليك عني ليلة السبت من أجل تشيزيتيتس التي هناك كان يستحق ذلك».

أصحح له قائلًا: «اسمها سكاي».

- «حسنًا، الآخرون ينادونها سكاي وأنا أكره الآخرين».

أضحك، ثم أقول: «حسنًا، لماذا إذًا تنادي فاليري باسمها؟».

يلف حول نفسه، ثم يسألني ناظرًا إليَّ كأنني فقدت عقلي: «مَن فاليري؟».

- «فال صديقتكِ الحميمة السابقة أو الحالية، أيًّا كانت».

يضحك دانيال، ثم يقول: «لا يا صديقي، اسمها ليس فاليري، إنها تيسا».

أوه تبًّا؟

ـ «أناديها فال لأنه اختصار، فاليوم وأنا أخبرها أن عليها أن تأخذ من هذا الهراء ملء الدلو. لم أكذب عندما قلت إنها مجنونة».

ـ «هل تنادي أي أحد باسمه الحقيقي؟»

يتأمل سؤالي لثانية، ثم ينظر إليَّ مشوشًا، ويقول: «لماذا عليَّ أن أرغب في فعل هذا؟».

أستسلم. أقول له: «سوف أجالس سكاي اليوم، هل تحب أن تجلس معنا؟»

يهز دانيال رأسه، ويقول: «لا، فال يومها جيد، ومن الأفضل أن أستفيد بهذا». يأخذ الباقي من كاشير الكافيتريا.

ـ «أراك لاحقًا، يا بوتشارك».

ارتحت بجلوسه مع فال نوعًا ما. لا أعرف إن كنت مستعدًّا لتقديم جرعة من داينال لسكاي بعد. أحاسب على طعامي، وأتجه إلى مائدتهما. عندما أصل إليهما يبدو أن سكاي كانت تحكي لبريكن خلاصة عطلة نهاية الأسبوع. يراني بريكن أسير خلفها، لكنه فقط يرمش، ولا يدعها تعرف أنني أستمع.

ـ «ظهر في منزلي يوم الجمعة وبعد القليل من سوء التفاهم، فهمنا أخيرًا أننا أسأنا فهم بعضنا بعضًا. ثم خبزنا، قرأت عليه بعض القصص الساخنة، ثم ذهب إلى منزله. عاد مرة أخرى ليلة السبت، وطبخ لي، ثم ذهب معي إلى غرفتي و...»

أضع أطباقي، وأجلس جوارها. وأقول: «استمري. أحب أن أسمع ماذا فعلنا بعد ذلك».

تمنحني ابتسامة سريعة، عندما ترى أطباقي بجوار أطباقها، ثم تدور بعينيها وتعود إلى بريكن.

ـ «ثم كسرنا سجل أفضل أول قبلة في تاريخ القبل الأولى دون حتى أن نتبادل القُبَل».

يقول بريكن: «ملهم».

أقول: «كانت عطلة نهاية أسبوع مملة للغاية».

ينظر بريكن إليَّ كأنه يريد أن يركلني لإهاناتي سكاي. حصل على نقاط كثيرة بسبب هذا.

توضح: «هولدر يحب الملل.. يقصد أن يقول هذا بلطف».

يلتقط بريكن شوكته وينقّل نظره بيننا.

ـ «لا تربكاني كثيرًا. لكنكما استثنائيان».

إنه ليس الوحيد المرتبك منا. لم أشعر أبدًا بهذه الراحة مع فتاة من قبل، ونحن حتى لا نتواعد. حتى لم نتبادل القبل، رغم أنني منحتها جحيمًا من غير القُبلات. مجرد التفكير في الأمر يجعلني قلقًا.

ـ «هل أنتِ مشغولة الليلة؟»

تمسح فمها بمنديل، وتقول مبتسمة: «ربما».

أغمزها، لأنني أعرف طريقتها العنيدة في قول إنها ليست مشغولة.

يسأل بريكن: «هل قرأت لك هذه الرواية الرديئة التي أعرتها إياها؟».

أضحك، ثم أقول: «رديئة. لا أظن أنها كانت رديئة، لكنني لم أنتبه لمعظم الكتاب لأن ذهني انحرف قليلًا».

تصفعني سكاي على ذراعي.

ـ «جعلتني أقرأ لثلاث ساعات منتظمة، ولم تكن منتبهًا حتى؟»

أدير ذراعي على كتفها، وأشدها إليَّ، ثم أقبِّل جانب وجهها. أهمس في أذنها، وأقول: «أخبرتك بالفعل أنني كنت منتبهًا. ليس للكلمات التي تخرج من فمك».

أعود لبريكن.

ـ «انتبهت لبعض منه رغم ذلك. ليس كتابًا سيئًا. لم أظن على الإطلاق أنني قد أهتم برواية رومانسية، لكن لدي فضول لأعرف كيف لهذا الفتى أن يجد طريقه خارج هذا الهراء».

يوافقني بريكن ويأتي بجزء من الحبكة. نبدأ في الحديث حول الكتاب ولا يسعني إلا أن ألاحظ كم أن سكاي هادئة طوال الوقت الذي أتحدث فيه مع بريكن. أستمر في النظر إليها لكنها تشرد، تمامًا كما شردت في مطبخها ليلة السبت. بعد مدة من عدم حديثها أو عدم أكلها للطعام حتى، أصبحت قلقًا أن هناك شيئًا خطأ.

أسأل محولًا انتباهي لها، وهي لا ترمش: «أنتِ بخير؟». أقول بصوت أعلى قليلًا: «سكاي». عيناها أخيرًا تنظران إلى عيني برعشة وهي تخرج من سرحانها، وأسألها قلقًا: «أين

ذهبت؟».

تبتسم، لكنها تبدو محرجة من حقيقة أنها شردت لتوها. أمد يدي، وأداعب خدها وأمرر إبهامي مطمئنًا ذهابًا وجيئة.

ـ «يجب أن تتوقفي عن هذا الشرود. إنه يخيفني قليلًا».

تهز كتفيها، وتقول: «آسفة. ذهني يتشتت بسهولة». تبتسم وتبعد يدي عن وجهها، وقد منحتني تربيتة مطمئنة.

ـ «أنا حقًّا بخير».

أنظر إلى يدها التي تمسك يدي الآن. أرى النصف الفضي المألوف لقلب يتدلى من تحت كمها، لذا على الفور أقلب يدها، وألف معصمها ذهابًا وإيابًا.

إنها ترتدي سوار ليز.

تبًّا، لماذا ترتدين سوار ليز؟

أسألها: «من أين حصلتِ على هذا؟»، ولا أزال أنظر إلى السوار الذي يجب ألا يكون على معصمها الآن.

تنظر إليَّ، وتهز كتفيها كأنه ليس بأمر مهم.

هي فقط تهز كتفيها.

هي تهز كتفيها غير مهتمة بأنها طردت أنفاسي مني تمامًا لتوها. كيف يمكن أن ترتدي سوار ليز؟ إنه سوار ليز، آخر مرة رأيته كان على معصم ليز.

أقول: «من أين حصلتِ عليه؟».

تنظر إليَّ الآن كأنها مرعوبة من الشخص الذي أمامها. أدرك أنني أمسك رسغها بقبضة محكمة فأحررها، بينما تبعد عني.

تسألني مرتبكة: «تظن أنني حصلت عليه من فتى؟».

لا، لا أظن أنه من فتى يا إلهي. لا أظن هذا أبدًا. ما أظنه هو أنها ترتدي سوار أختي الميتة، وأنها ترفض أن تخبرني من أين حصلت عليه. لا يمكنها فقط أن تهز كتفيها وتجلس هنا، تتظاهر بأنها صدفة، لأن هذا السوار مصنوع يدويًّا، وهناك واحد آخر فقط مثله في هذا العالم

المجنون. لذا ما لم تكن هوب، فهي بطريقة ما ترتدي سوار ليز، وأريد أن أعرف بشدة لماذا ترتديه؟!

ما لم تكن هوب.

ضربت رأسي وأظن أنني على وشك أن أمرض. لا، لا، لا.

يقول بريكن وهو ينتقل إلى الأمام: «هولدر. اهدأ يا رجل».

لا، لا، لا. هذا لا يمكن أن يكون سوار هوب. كيف يمكن حتى أن يظل لديها بعد كل هذا الوقت؟ كلماتها من ليلة السبت تندفع خلال رأسي.

ـ الشيء الوحيد الذي كان لدي قبل أن تتبناني كارين هو بعض المجوهرات، وليست لدي فكرة من أين أتت.

أميل إلى الأمام، أدعو ألا يكون هذا السوار هو المجوهرات التي أشارت إليها.

ـ «مَن أعطاكِ هذا السوار يا سكاي؟»

تشهق، ولا تزال غير قادرة على أن تمنحني إجابة. لا تستطيع أن تجاوبني لأنها لا تعرف. تنظر إليَّ كأنني حطمتها توًّا. وللأسف، أظن أنني فعلت هذا.

أعرف أنه ليست لديها فكرة عما يحدث في عقلي الآن، لكن كيف أبدأ في أن أقول لها؟ كيف؟ كيف أشرح لها أنها ربما لا تعرف من أين أتى السوار الذي في معصمها، لكنني أعرف، كيف أقول لها إن السوار أتى من ليز؟ من صديقتها الأقرب التي لا تتذكرها حتى؟ وكيف أعترف أنها حصلت على هذا السوار فقط لدقائق قبل أن أرحل بعيدًا عنها؟ دقائق قبل أن تتغير حياتها كلها، وتقتلع من تحتها.

لا أستطيع أن أقول لها، لأنها ليست لديها ذكريات عني أو عن ليز أو عن كيف حصلت على السوار البائس. بالنظر إليها، لا أعتقد أنها تتذكر هوب. هي لا تتذكر نفسها حتى. قالت ليلة السبت إنه ليس لديها ذكرى عن حياتها قبل كارين.

كيف لا تتذكر؟ كيف لأحد ألا يتذكر أنه اختُطف من بيته ومن صديقه الأقرب؟

كيف لا تتذكرني؟

أغمض عيني بقوة، وأستدير بعيدًا عنها. أضغط كفي لجهتي، وأستنشق نفسًا عميقًا. عليَّ أن أهدأ. أجعلها تشعر بالرعب الآن، وهذا آخر ما أريد أن أفعله. أمسك مؤخرة عنقي، حتى أبقي يدي مشغولتين، لكيلا أضرب بقوة المائدة.

إنها هوب، سكاي هي هوب، وهوب هي سكاي، «تبًّا!».

لم أقصد أن أقولها بصوت عالٍ، لأنني أعرف أنني أرعبها، لكن هذا أهدأ ما يمكن أن أكونه الآن. عليَّ أن أبتعد من هنا، عليَّ أن أكتشف كيف سأشرح لها هذا. أقف وأسرع إلى مخرج الكافيتريا قبل أن أفعل أو أقول أي شيء آخر. بمجرد أن أمر من الأبواب وأصبح وحدي في المدخل، أنهار عند أقرب خزانة، وأشد يدي المرتجفتين على وجهي.

«تبًّا، تبًّا، تبًّا!»

الفصل السابع عشر

ليز،

أنا آسف لأنني لم أجدها مبكرًا. لا يسعني إلا أن أتساءل إذا كان هذا سيصنع فارقًا. أنا آسف للغاية.

هـ

الفصل الثامن عشر

ليز،

ما زال لديها سوارك، رغم ذلك. لا بد من أن يعني هذا لكِ شيئًا.

هـ

الفصل التاسع عشر

ليز،

لا أعرف ماذا أفعل. مضى ست ساعات الآن، وأحاول أن أكتشف، إذا كان عليَّ أن أذهب إلى بيتها، وأخبرها بكل شيء أم عليَّ أن أمنح الأمر المزيد من الوقت. أعتقد أنني سأمنحه المزيد من الوقت. أحتاج إلى أن أستوعب هذا.

هـ

الفصل العشرون

ليز،

ماذا لو اتصلت بكارين، وشرحت لها كل شيء؟ تبدو سكاي على علاقة جيدة بها. قد تكتشف كارين ماذا تفعل.

هـ

الفصل الواحد والعشرون

ليز،

تبًّا، ماذا لو أن كارين هي من فعلتها؟

هـ

الفصل الثاني والعشرون

ليز،

ماذا إذا أخبرت أمي؟ يمكنني أن أخبرها، وهي تستطيع أن تكتشف ماذا نحتاج أن نفعل أو إذا كان علينا أن نطلب الشرطة. إنها محامية. أنا متأكد من أنها تتعامل مع هذا النوع من الأمور طوال الوقت.

هـ

الفصل الثالث والعشرون

ليز،

لا أستطيع أن أقول لأمي. أمي محامية ملكية فكرية. لا تعرف ماذا تفعل أكثر من ذلك.

هـ

الفصل الرابع والعشرون

ليز،

إنه على الأغلب منتصف الليل. جعلت هذا يستمر اثنتي عشرة ساعة دون أن أمنحها تفسيرًا واحدا عما حدث على الغداء اليوم. يا إلهي، أتمنى ألا أكون جعلتها تبكي.

هـ

الفصل الخامس والعشرون

ليز،

على الأغلب هي نائمة الآن. سوف أخبرها في الصباح. إنها تركض كل صباح لذا سوف أظهر لها وأركض معها، ثم أخبرها. سوف نرى ما سنفعل بعد هذا.

هـ

الفصل السادس والعشرون

ليز،

لا أستطيع النوم. لا أصدق أنني وجدتها بالفعل.

هـ

الفصل السابع والعشرون

ليز،

لماذا برأيك تسمي نفسها سكاي؟

كان هناك هذا الشيء الذي اعتدنا فعله ونحن صغار. فعلناه فقط مرات عدة لأنها خُطِفت بعد ذلك بوقت قصير، لكنها اعتادت أن تبكي طوال الوقت، وأنا كرهت هذا، لذا كنا نستلقي في الطريق الخاص، ونشاهد السماء، وكنت أمسك بإصبعها. أذكر اعتقادي بأنه فعل فاضح أن أمسك بيد فتاة، لذا كنت دائمًا أمسك خنصرها بدلًا من ذلك. لأنني مع هذا كنت مجرد طفل وكان فاضحًا أن أمسك يد فتاة، أردت حقًّا أن أمسك يدها.

اعتدت أن أطلب منها أن تفكر في السماء، عندما تكون حزينة، وكانت تعدني دائمًا أنها ستفعل. والآن ها هي. واسمها سكاي (سماء). إنها الثالثة صباحًا. ولا شيء من هذا له معنى. سوف أذهب للنوم الآن.

هـ

الفصل الثامن والعشرون

ليز،

حسنًا، ركضت معها. نوعًا ما، بدا أكثر كأني أطاردها. لم أستطع أن أحمل نفسي على التحدث معها، عندما ظهرت، ثم بعد الركض كان كلانا متعبًا، وانهرنا على العشب.

كنت أتمنى لو أن هذه الحادثة عند الكافيتريا أمس، قد تشعل بعضًا من ذاكرتها. كنت أتمنى عندما ظهرت لها اليوم أن تعرف ما ضايقني بشدة بالضبط أمس. أردتها أن تقول لي إنها تذكرت، فلا أصبح الشخص الذي يجب أن يخبرها.

كيف تخبر أحدًا بشيء كهذا يا ليز؟ كيف أخبرها أن المرأة التي ربتها قد تكون هي الشخص الذي سرقها منا؟ إذا قلت أي شيء، حياتها ستتغير إلى الأبد. وهي تحب حياتها، وتحب الركض والقراءة والخبز... تبًّا.

لم يكن لهذا معنى حتى الآن، لكن، موضوع الإنترنت. لم ترد أمها أن يكون لديها هاتف، كارين من فعلتها. كارين من خطفتها، وهي تفعل كل ما تستطيع فعله، لتتأكد أن سكاي لن تعرف.

لا أعلم ماذا أفعل؟ أعرف أنني لا يمكن أن أبقى بجوارها الآن. لا توجد طريقة تجعلني أكون جوارها، وأتظاهر بأن كل شيء بخير، في حين أنه ليس كذلك، لكن لا توجد طريقة لإخبارها بالحقيقة أيضًا، لأنها ستقلب حياتها رأسًا على عقب. لا أعرف ما الذي سيكون أكثر ألمًا. البقاء بعيدًا عنها حتى لا تكتشف، أم إخبارها بالحقيقة، وإفساد حياتها كلها ثانية.

هـ

الفصل الثامن والعشرون ونصف

ليز،

إنها ليلة الخميس. لم أتحدث معها منذ الاثنين. لم أستطع حتى النظر إليها، لأن هذا يؤلمني كثيرًا. ما زلت لا أعرف ماذا أفعل، وكلما تركت ذلك يستمر لمدة أطول، جعلني هذا أبدو أحمق أكثر. لكن في كل مرة أحث نفسي على الحديث إليها، لا أعرف ماذا سأقول حتى. أخبرتها أنني سأكون دائمًا صادقًا معها، وهذا شيء لا أستطيع أن أكون صادقًا معها فيه.

حاولت أن أكتشف لماذا قد تفعل كارين شيئًا مثل هذا، لكن لا يوجد عذر صالح في العالم أجمع، يمكن أن يبرر لأحد خطف طفل. فكرت في احتمال أن يكون أبو هوب لا يريدها حقًّا، لذا تخلى عنها فقط. لكنني أعرف أن هذا ليس حقيقيًّا، لأنه فعل كل ما يستطيع فعله لأشهر حتى يجدها.

أنا فقط لا أستطيع اكتشاف الأمر. أنا حتى لا أعرف، إن كنت أحتاج إلى ذلك. حتى اقتحمت حياتها، قبل أسبوعين كانت سعيدة. إذا لم أرحل الآن، فسوف أفسد كل شيء.

مفارقة أليس كذلك؟ رحلت عنها قبل ثلاثة عشر عامًا وأفسدت حياتها. الآن إذا قررت ألا أرحل عنها، فسوف أفسد حياتها مجددًا. وهذا يظهر فقط أن كل شيء أفعله ميؤوس منه.

هـ

الفصل التاسع والعشرون

يقول دانيال وهو يتجه إلى خزانتي: «أنت فليبديك. سنخرج هذه الليلة؟».

آخر شيء أرغب في فعله الليلة هو الخروج. أعرف أن دانيال على الأغلب سوف يبعدها عن ذهني بكل الهراء الجنوني الذي يخرج من فمه، لكنني لا أريد حقًّا أن أبعدها عن ذهني. لم أتحدث معها منذ يوم الاثنين، والشيء الوحيد الذي يبدو جذابًا بجانب وجودي معها، هو الغرق في الشفقة على النفس.

ـ «ربما غدًا. لا أشعر حقًّا بالرغبة في فعل أي شيء الليلة».

يقرب دانيال مرفقه من الخزانة، وينزل يده ليميل نحوي. يقول: «أنت أصبحت رجلًا نسويا. أنت حتى لم تواعدها. تجاوزها أيها الأحمق..».

ينظر دانيال إلى أحد من فوق كتفي دون أن ينهي جملته.

يتحدث لأحد أعرف أنه يقف خلفي: قائلًا: «ما مشكلتك حقًّا يا باودربوف؟».

تعني طريقة كلامه أنه جرايسون. أستدير خائفًا من أن أحصل على لكمة من الخلف.

لم يكن جرايسون.

بل بريكن، ولا يبدو مسرورًا بهذا.

أقول: «مرحبًا».

يقول: «أحتاج إلى أن أتحدث إليك». أعرف أنه يريد أن يتحدث عن سكاي، ولا أريد أن أتحدث عن سكاي. ليس لبريكن، ليس لدانيال، ليس حتى لسكاي. لا أحد سيفهم أي شيء عن أي شيء، وبصراحة، هذا ليس من شأن أحد.

ـ «آسف بريكن. لست في مزاج يسمح بالحديث عنها».

يتقدم بريكن خطوة إلى الأمام، وأعود بسرعة خطوة إلى الخلف، لأنني لم أتوقع أن يعاجلني، كما فعل للتو. ظهري على الخزانة ودانيال يضحك. ربما لأن بريكن أخف مني وأقصر قليلًا، وعلى الأغلب، يتساءل دانيال لماذا حقًّا لم ألقِ ببريكن على ظهره بعد. لكن هذا لم يوقف بريكن من الاقتراب أكثر، ودفع إصبعه في صدري.

ـ «لا يهمني أي نوع من المزاج لديك، لأنني في مزاج أسوأ بدوري يا هولدر. أنت لست الشخص الذي كان عليه أن يجمع حطام سكاي هذا الأسبوع. لا أعرف ماذا حدث حقًّا في الكافيتريا يوم الاثنين، لكنه كان كافيًا لأعرف أنني لا أحبك. أنت لا تعجبني على الإطلاق، ولا أعرف ماذا رأت سكاي فيك... بسبب ما فعلته معها؟ كيف كنت معها لأربعة أيام، ثم فجأة رحلت كأنها كانت تضيع وقتك؟»

يهز بريكن رأسه، وهو ينفث الغضب، وينظر إلى ذراعي على الوشم. يتنهد قائلًا: «أشعر بالأسف عليك». يستنشق نفسًا مهدئًا، وببطء يعاود النظر إليَّ.

ـ «أشعر بالأسف عليك، لأن الناس مثلها لا يأتون في الحياة إلا مرة واحدة. هي تستحق من يدرك هذا. شخص يقدرها، وشخص لا...»

يهز رأسه، وهو ينظر إليَّ بخيبة أمل، ويقول: «شخص لا يحطم أملها، ثم يرحل».

يعود بريكن خطوة إلى الخلف عندما ينتهي من جملته، ودانيال ينظر إليَّ. تلك النظرة التي تشير إلى أنه مستعد لبدء واحدة من مشاجراته، قبل حتى أن أجد الفرصة لأقول لدانيال أن يمتنع عن هذا، يبدأ في الاندفاع تجاه بريكن. أقف بينهما بسرعة، وأدفع دانيال إلى الخزانة بذراعي مُبقيًا صدره مضغوطًا إليها. أقول وأنا أكبح دانيال: «لا تفعل».

يقول بريكن بصوت عالٍ من خلفي: «دعه يضربني، أو الأفضل من ذلك، لماذا لا تفعلها أنت يا هولدر؟ لقد أثبتَّ لسكاي يوم الاثنين أنك همجي، افعلها».

أترك دانيال، ثم أستدير لأواجه بريكن. آخر ما أريد فعله هو أن أضربه. لماذا أضربه إذا كان كل ما قاله للتو هو الحقيقة المطلقة؟ هو غاضب مني بسبب معاملتي لسكاي. هو غاضب وهو يحميها، ولا أعرف كم يعني لي أن أعرف أن لديها صديقًا مثله.

أستدير وأفتح الخزانة، ثم أمسك بحقيبة ظهري ومفاتيح سيارتي. يترقبني دانيال، متسائلًا لماذا لا أركل بريكن مباشرة؟ أواجه بريكن مرة أخرى، وهو ينظر إليَّ بمثل ارتباك دانيال. أبدأ في المغادرة، ثم أتوقف عندما أكون كتفًا بكتف مع بريكن: «أنا ممتن لأن لديها شخصًا مثلك يا بريكن».

لا يرد، ثم أحمل حقيبة ظهري على كتفي وأرحل.

الفصل التاسع والعشرون ونصف

ليز،

لم أتحدث معها لأسبوعين، ما زلت أذهب إلى المدرسة رغم ذلك، لأنني لا أستطيع تخيل فكرة أن أكون غير قادر على رؤيتها كل يوم. لكنني ما زلت أشاهدها من بعيد، وأكره أن تبدو حزينة الآن.

كنت آمل أن أفعالي في الكافيتريا الاثنين الماضي سوف تتركها غاضبة، حتى لو قليلًا. وعندما قررت أنه من الأفضل ألا أدخل حياتها مجددًا، كنت آمل أن غضبها سوف يساعدها لتتخطاني بسرعة، لكنها لا تبدو غاضبة. هي تبدو فقط مكسورة القلب، وهذا يحطمني.

أعددت قائمة في عطلة نهاية الأسبوع من فوائد إخبارها بحقيقة من هي وأضراره. سوف أشاركها حتى تتفهم قراري فهمًا أفضل، لأنني أعرف أن هذا ليس له معنى.

فوائد إخبار سكاي بالحقيقة، عائلتها تستحق أن تعرف ماذا حدث لها وأنها بخير، وهي تستحق أن تعرف ما حدث.

أما أضرار إخبار سكاي بالحقيقة، فالحقيقة ستفسد الحياة التي لديها الآن، ولم تبدُ أبدًا سعيدةً بالنسبة لي، عندما كنا صغارًا، لكنها تبدو سعيدة الآن، وإجبارها على العودة لحياة لا تتذكرها، لا يبدو الشيء الصواب لأفعله، وإذا اكتشفت أنني أعرف طوال هذه المدة من هي، فلن تسامحني لإخفاء الأمر عنها.

أعرف أنها تظن أن عيد ميلادها الأسبوع المقبل، لكن ما زال لديها أشهر قبل أن تصبح رسميًّا في الثامنة عشرة. إذا اكتشفت الآن، قرارها بشأن ما سيحدث لها، سيكون من صنع أبيها والولاية. عندما تكتشف الحقيقة، أريدها أن تكون كبيرة كفاية لتصنع قراراتها فيما سيحدث لحياتها بنفسها.

بقدر ما لا أريد تصديق أن كارين من فعلت هذا، ماذا إذا كانت هي من فعلتها؟ إذا عُرِفت الحقيقة كارين ستعاقب. وهذا من المفترض أن يكون ضمن الفوائد، لكنني فقط لا أظن أن ذهابها إلى السجن، سيكون بأي حال ذا فائدة لسكاي.

لذا يمكنك أن ترى فوائد لماذا قررت ألا أخبرها بالحقيقة وأضرار ذلك. ليس الآن على أي حال. بعد أن قررت ألا أخبرها ماذا حدث لها وهي طفلة، فكرت أيضًا ما إذا كانت فكرة جيدة أن أجرب على الأقل وأعتذر لها عما حدث على الغداء في هذا اليوم.

أعتقد أنني قادر بطريقة ما على الاحتفاظ بالسر حتى تتخرج من المدرسة الثانوية، ولكن في الوقت الراهن، يمكننا البقاء معًا. أرغب بالبقاء معها أكثر من أي شيء آخر، ولكنْ هناك أسباب كثيرة تمنعني من فعل ذلك.

فوائد أن أكون مع سكاي:

* أفتقدها بشدة، وأفتقد تعليقاتها الفظة وضحكاتها وابتسامتها وعبوسها والكوكيز والبراونيز وقبلتها، رغم أنني لم أحصل حقًّا على واحدة أبدًا، وأعرف أنني سأفتقدها إذا فعلتها.

* لن تكون مكسورة القلب، إذا اعتذرت فقط، وسوف نعود إلى ما كنا نفعله، وسأستطيع التظاهر بأنها ليست هوب، وسوف يكون قاسيًا، لكن على الأقل ستكون سعيدة.

أضرار أن أكون مع سكاي:

* من الممكن أن يحفز وجودي معها ذاكرتها، ولست متأكدًا أنني مستعد لتتذكرني بعد.

* بمجرد أن تعرف الحقيقة، سوف تكرهني لخداعها، وعلى الأقل إذا لم أكن معها، سوف تتمكن من احترام حقيقة أنني لم أكذب عليها، بينما أسمح لها بالوقوع في حبي.

* إذا قضيت أي وقت معها، أشعر بأنني سأخطئ في التعامل معها، وربما أناديها بأسماء من الماضي أو أتحدث كثيرًا عن ماضينا، وهذا قد يثير ذاكرتها.

* كيف سأعرفها على أمي؟ أنا متأكد أنه بقدر الوقت الذي قضته هوب في منزلنا، ستتعرف أمي إليها على الفور. سوف أفعل شيئًا يفسد الأمور مجددًا، ويبدو أن هذا هو الشيء الوحيد الذي أثبت عليه في هذه الحياة، وأن أفسد الأمور لكِ ولهوب.

* إذا خرجت من حياتها تمامًا، سوف تذهب لتعيش حياتها القانعة التي كانت تعيشها في الثلاثة عشر عامًا الماضية.

* إذا بقيت، سأخبرها بالحقيقة لا محالة. ولا يهم كم تحتاج إلى أن تعرف الحقيقة، سوف أقلب حياتها رأسًا على عقب. لا أستطيع أن أرى هذا يا ليز، لا أستطيع فحسب.

لديكِ كل الصورة الكبيرة بالحبر العريض لكل شيء، ولن أخبرها الحقيقة، ولن أدعها تسامحني. إنها أفضل من دوني. أفضل بالاحتفاظ بالماضي والبقاء على مسافة مني.

هـ

الفصل الثلاثون

بعدما التقطت الكيس من الأرضية، توجهت نحو الباب الأمامي، وقرعت جرس الباب، وعلى الرغم من أنني أدركت أن هذا الأمر قد لا يكون فكرة جيدة، قررت الاعتماد على الشخص الذي أثق به لفعل هذا الأمر. بعد الانتظار لحظات، فتحت امرأة الباب، من المرجح أن تكون والدته، وقفت على عتبة الباب.

ـ «هل بريكن هنا؟»

تبدأ من مقدمة رأسي، ثم ببطء تتفحص جسدي كله متوقفة عند حذائي. إنه ليس نوع التفحص الذي يحصل عليه الفتى من امرأة معجبة به. إنه تفحص عدم القبول. تقول ببرود: «بريكن لا ينتظر أحدًا».

حسنًا، أنا لم أتوقع هذه المعضلة.

ـ «حسنًا يا أمي».

أسمع بريكن يقول هذا، وهو يفتح الباب أكثر.

ـ «إنه ليس هنا من أجل رغباتي».

تتهكم أم بريكن، ثم تلف عينها، وتذهب، بينما أحاول أن أمسك ضحكتي. بريكن الآن يقف مكانها، يتفحصني باستنكار مثلها.

ـ «ماذا تريد؟»

أشعر قليلًا بعدم الراحة والتوتر عندما أنقل قدمي، حيث أشعر أنني غير مرحب بي في هذا المنزل. أقول: «أريد شيئين. أولًا، أود أن أعتذر. ولكنني هنا أيضًا لطلب خدمة ما منك».

تمتلئ عينا بريكن بالدهشة، ويرفع حاجبيه.

ـ «أخبرت أمي أنك لست هنا لرغباتي يا هولدر. لذا تفضل واعتذر، لكنني لن أقدم لك أي خدمة».

أضحك، ويعجبني أنه غاضب للغاية، ومع ذلك يسخر من نفسه في الوقت ذاته. هذا شيء يمكن أن تفعله ليز.

أسأل: «هل يمكن أن أدخل؟». أشعر بحرج كبير في الرواق الآن، ولا أريد حقًّا أن أقيم هذا الحوار واقفًا على مدخل الباب. يعود بريكن إلى الخلف، ويفتح الباب أكثر.

يقول مشيرًا إلى الكيس في يدي: «من الأفضل لهذه أن تكون هدية اعتذار». لم ينظر إلى الخلف، أو يدعوني لأتبعه، بينما يتخذ طريقه إلى الداخل، لذا أغلق الباب الأمامي، أنظر حولي ثم أتبعه. يفتح باب غرفته وأسير خلفه، ثم يشير إلى كرسي. يقول بحزم: «اجلس هنا».

يذهب إلى سريره، يجلس على طرفه في مواجهتي. أجلس على الكرسي ببطء، هو يضع مرفقيه على ركبتيه، ويشبك يديه أمامه، ناظرًا مباشرة في عيني.

ـ «سأعتبر أنك ستعتذر لسكاي بعدي؟ بعد أن تركتها؟ لأنها الشخص الذي يحتاج إلى أن تعتذر له حقًّا».

أضع الكيس عند قدمي، وأسند ظهري إلى الكرسي.

ـ «أنت حقًّا حامٍ لها، أليس كذلك؟»

يرفع بريكن كتفيه بلا مبالاة.

ـ «حسنًا، مع كل معاملتك السخيفة لها مثل نفاية، يجب أن يرعاها أحدهم».

أزم شفتي في خط مستقيم وأومئ، لكن لا أقول شيئًا فورًا. يحدق بي لمدة، على الأغلب محاولًا أن يعرف الغرض من وراء وجودي هنا، وأنفث نفسًا سريعًا، ثم أبدأ بما جئت لأقوله.

ـ «اسمع بريكن. أنا غالبًا لن أكون منطقيًّا إلى حد بعيد، لكن استمع إليَّ، حسنًا؟»

يستقيم بريكن في الوقت الذي يلف عينيه.

ـ «أرجوك قل لي إنك ستفسر ما حدث حقًّا في هذه الكافيتريا. حاولنا تفسير تصرفك ليس أقل من عشرات المرات، لكن لم نجد أي معنى».

أهز رأسي، وأقول: «لا أستطيع أن أخبرك بما حدث يا بريكن. لا أستطيع، كل ما أستطيع أن أقوله لك إن سكاي تعني لي أكثر بكثير مما قد تفهم على الإطلاق. أنا أفسدت الأمور، وتأخرت جدًّا عن إصلاح الأمور معها. لا أريد غفرانها لأنني لا أستحقه. كلانا يعرف أنها أفضل من دوني. لكنني أردت أن آتي إلى هنا لأعتذر لك، لأنني أعرف من مشاهدتك فقط، كم تهتم بها. يقتلني أنني آلمتها، لكنني أعرف أن إيلامها يؤلمك أيضًا بطريقة ما. لذا أنا آسف».

أبقي عيني معلقتين بعينيه، يميل برأسه قليلًا، ويمضغ شفته السفلى، وهو ينظر إليَّ.

أقول ملتقطًا الكيس: «عيد ميلادها الأحد المقبل. أحضرت لها هذا، وأريدك أن تمنحه لها. لا أريدها أن تعرف أنه مني. أخبرها فقط أنك أحضرته لها. أعرف أنها ستحبه». آخذ القارئ الإلكتروني من الكيس، وأناوله له، يمسك به، ثم ينظر إليه.

يحدق فيه لدقائق قليلة، ثم يقلبه وينظر إلى ظهره. يضعه على السرير بجواره، ثم يشبك يديه معًا مُحدقًا في الأرض. أنتظره أن يتحدث لأنني قلت كل ما أتيت لأقوله.

يقول رافعًا بصره: «هل يمكن أن أقول شيئًا واحدًا؟».

أومئ. عرفت أنه عندما يقول شيئًا واحدًا، لديه أكثر من شيء يقوله بعد كل ذلك.

يقول: «أظن أن أكثر ما أغضبني هو حقيقة أنني أحببت كونها معك. أحببت رؤية كم كانت سعيدة في هذا اليوم. ورغم أنني شاهدتك معها ثلاثين دقيقة فقط على الغذاء قبل أن تقلب كل شيء رأسًا على عقب».

يقول ملوحًا بذراعه في الهواء: «لقد بدا هذا صحيحًا للغاية. بدوت مناسبًا لها، وبدت مناسبة لك، ولا أعرف هولدر. أنت فقط لا تبدو منطقيًّا الآن، ولم تبدُ منطقيًّا عندما تركتها في هذا اليوم، لكنني أستطيع أن أقول إنك تهتم بها. أنا فقط لا أفهمك. لا أفهمك أبدًا، وهذا يضايقني، لأنه إذا كان هناك شيء واحد في هذا العالم أنا جيد فيه، فهو فهم الناس».

لم أعد، بينما يتكلم، لكنني متأكد أن ما قاله أكثر من شيء واحد. أقول: «هل يمكن فقط أن تثق أنني أهتم بها حقًّا؟ أريد الأفضل لها، ورغم أنه يقتلني أنني لست الأفضل لها، أريد أن أراها سعيدة».

يبتسم بريكن، ثم يلتقط القارئ الإلكتروني بجواره.

ـ «حسنًا، أظن أنني بمجرد أن أعطيها هذه الهدية الرائعة التي صرفت عليها مدخرات حياتي، سوف تنسى كل شيء عن دين هولدر. كل ما سيشغلها، سيكون نشارة الخشب وأشعة الشمس بمجرد أن تغرق في الكتب التي سوف أحمِّلها هنا».

أبتسم، على الرغم من أنني ليست لدي فكرة بشأن ماذا يقصد بنشارة الخشب وأشعة الشمس.

الفصل الثلاثون والنصف

ليز،

بريكن لطيف للغاية. كنتِ ستحبينه. ذهبت إلى منزله ليلة الجمعة وأعطيته الهدية التي اشتريتها لسكاي. تحدثنا عن هذه الأمور لبعض الوقت، ولا أظن أنه يريد أن يركلني بعد الآن. ليس لأنه كان بإمكانه أن يفعل هذا، لكن هذا ما رسَّخ احترامي له حقيقة أنه كان غاضبًا جدًّا، وأراد أن يتشاجر معي، حتى وهو يعرف أنه ليست لديه فرصة حقًّا ليفوز.

لست متأكدًا كيف ستنتهي الأمور هناك، لكنني انتهيت بالبقاء معه حتى منتصف الليل. لم أكن أبدًا معجبًا بألعاب الفيديو، لكننا لعبنا الحرب الحديثة، لقد شعرت بالاسترخاء عندما قررت إعطاء عقلي بعض الراحة لبعض الوقت. وعلى الرغم من عدم تأكدي من مدة الراحة التي استمتعت بها، نبهني بريكن أني تحدثت عن سكاي كثيرًا في غيابها. لم يفهم لماذا لا أعتذر لها فحسب، إذا كان من الواضح أنني أحبها بهذا القدر. للأسف، لم أستطع أن أشرح له، لذا لن يفهم الأمر أبدًا، لكن يبدو أنه قبل هذا.

لم يظن كلانا أنها فكرة جيدة أن تعرف سكاي بخروجنا معًا. لا أريدها أن تتضايق من بريكن، لكنني الآن أشعر أنني نوعًا ما أغشها بإقامة صداقة معه. لكنني أستطيع أن أطمئنك يا ليز. لم أكن هناك من أجل ميوله المختلفة.

هـ

الفصل الواحد والثلاثون

أسأل: «ماذا تريد أن تفعل؟».

يقول دانيال: «لا أهتم بما نفعل».

ـ «ولا أنا».

نجلس عند مدخل بيته، مسنداً ظهري إلى مقعدي وقدمي على لوح السرعات. هو يجلس في كرسي السائق على الوضعية نفسها، يده معلقة بارتخاء فوق عجلة القيادة، ورأسه مستريح على مسند الرأس. يحدق خارج النافذة وهو شارد على غير العادة.

أسأله: «ماذا بك؟».

يستمر في التحديق من النافذة، ويتنهد تنهيدة عميقة محبطة. يقول بخيبة أمل: «انفصلت عن فال مجددًا. إنها مجنونة للغاية».

ـ «اعتقدت أن هذا سبب حبك لها؟»

ينزل ساقه على لوح الأرضية، ويقدم مقعده بسرعة: «هذا أيضًا سبب أنني لا أحبها.. دعنا نبعد عن هنا».

يشغل السيارة، يبدأ في الخروج من الطريق الخاص. وأضع حزام الأمان وأنزل نظارة الشمس من رأسي إلى عيني.

ـ «ماذا تريد أن تفعل؟»

يقول: «لا يهمني ما نريد أن نفعل».

ـ «ولا أنا».

***

أسأل أم بريكن، التي تنظر الآن إلى دانيال على مدخل الباب، كما كانت تنظر إليَّ ليلة الجمعة الماضية: «هل بريكن في البيت؟».

تقول لي أم بريكن: «حسنًا، ألست عاديًّا بحق». لا توجد أي فكاهة خلف صوتها، وكانت مخيفة قليلًا.

نقف بصمت في حرج لثوانٍ، ولا تزال لا تدعونا للدخول. يقرب دانيال رأسه مني، ويقول: «تمسك بي، أنا خائف».

ينفتح الباب أكثر، ويقف بريكن مكان أمه بعد أن تستدير وترحل. ينظر إلى دانيال في ريبة، ويقول له بريكن: «أنا بالتأكيد لن أقدم لك أي خدمات».

يستدير دانيال ليواجهني، ينظر إليَّ متسائلًا: «إنها ليلة الجمعة، وتحضرني لبيت باودرباف؟». يهز رأسه بإحباط، ويقول: «ماذا حدث لنا حقًّا يا رجل؟ ماذا فعلت بنا الفتيات؟».

أنظر إلى بريكن، وأنا أحرك رأسي تعاطفًا باتجاه دانيال.

ـ «مشكلة فتاة. ظننت أن بعضًا من لعبة الحرب الحديثة قد يساعد».

يتنهد بريكن، ويلف عينيه، ثم يقف جانبًا سامحًا لنا بالدخول. نتخذ طريقنا في الداخل، ويغلق بريكن الباب خلفنا، ثم يقف أمام دانيال.

ـ «نادني باودرباف مرة أخرى، وثاني أقرب صديق لي على الإطلاق في العالم أجمع سيركلك».

يبتسم دانيال وتتقاطع عيوننا. نجري حوارًا صامتًا، عندما يقول لي إن هذا الفتى ليس سيئًا جدا، ثم أبتسم موافقًا إياه تمامًا.

***

يقول بريكن محاولًا توضيح اعتراف دانيال: «دعني أخوض في هذا بمباشرة. أنت حتى لا تعرف كيف تبدو الفتاة؟».

يبتسم دانيال بتفاخر، ويقول: «لا أعرف».

أسأل: «ما اسمها؟».

يهز كتفيه، ويقول: «لا أعرف».

يضع بريكن جهاز التحكم في اللعبة، ويستدير ليواجه دانيال.

ـ «كيف انتهى بك الأمر معها في خزانة الصيانة؟»

وجه دانيال ما زال مغمورًا بابتسامة متعجرفة. ويبدو فخورًا جدًّا بهذا، أنا مصدوم من أن هذه هي أول مرة يذكر فيها لي هذه القصة.

يقول: «قصة مضحكة حقًّا. في العام الماضي لم أكلَّف أبدًا بحصة خامسة. كان خطأ من الإدارة، لكنني لم أرد أن يعرفوا. كل يوم خلال الحصة الخامسة، بينما الجميع يحضرون فصولهم المجدولة، كنت أختفي في خزانة البواب، وآخذ غفوة. لا ينظفون هذا القسم من المدخل إلا بعد المدرسة، لذا لم يدخل أحد أبدًا إلى هناك».

يقول فاقدًا بعض المتعة التي في عينيه: «أخمِّن أن هذا كان منذ ستة أو سبعة أشهر، تمامًا قبل نهاية العام الدراسي، كنت في واحدة من غفوات الحصة الخامسة، وفجأة فتح أحدهم الباب، ودخل، وسقط فوقي. لم أستطع أن أرَ من هي لأنني أبقيت الأضواء مطفأة دائمًا، لكنها هبطت فوقي تمامًا. كنا في هذا الوضع الواعد، وبدت رائحتها حلوة، ولم تكن تزن كثيرا، لذا لم أمانع من هبوطها فوقي. لففت ذراعي حولها ولم أحاول أن أزيحها عني لأن الشعور بها كان رائعًا. كانت تبكي رغم ذلك».

يعود مستندًا إلى ظهر كرسيه ويكمل: «سألتها ماذا بكِ، وكل ما قالته (أكرههم). سألتها عمن تكرهه وقالت (الجميع، أنا أكره الجميع) الطريقة التي قالت بها هذا محطمة للقلب، شعرت بالسوء لها، كانت رائحتها وأنفاسها حلوة للغاية، وعرفت بالضبط ماذا تقصد لأنني أكره الجميع أيضًا. لذا أبقيت ذراعي ملتفة حولها وقلت (أنا أكره الجميع أيضًا يا سندريلا)، كنا لا نزال في...».

يقول بريكن مقاطعًا القصة: «انتظر، انتظر، ناديتها سندريلا؟ ماذا بك حقًّا؟».

يهز دانيال كتفيه.

ـ «كنا في خزانة البواب. لا أعرف اسمها، وكان هناك كل هذه المماسح والمكانس والنفايات، وذكرني هذا بسندريلا، حسنًا، امنحني فاصلًا».

يسأل بريكن غير مدرك ميل دانيال العشوائي للأسماء المستعارة: «لكن لماذا تناديها بأي شيء؟».

يلف دانيال عينيه، ويقول: «لم أعرف اسمها يا آينشتين. توقف عن مقاطعتي، سوف أدخل حالًا في الجزء الجيد». يميل مرة أخرى للأمام، ويقول: «لذا قلت لها (أنا أكره الجميع أيضًا يا سندريلا.) كنا على الوضعية نفسها، والمكان مظلم ولأكون صادقًا، كان حارًّا إلى حد ما. تعرف، جهلي بمن تكون هي أو كيف تبدو، نوع من الغموض، ثم ضحكت ومالت للأمام

وقبلتني. فبادلتها القبلة، لأنني بالفعل انتهيت من غفوتي، وما زال لدينا خمس عشرة دقيقة نقضيها. تبادلنا القبل لبقية المدة. هذا كل ما فعلناه، ولم ننطق بكلمة أخرى، ولم نفعل أكثر من التقبيل. عندما دق الجرس، قفزت من فوقي، ورحلت، ولم أرَ حتى كيف بدت».

يحدق في الأرض مبتسمًا. لم أرَه يتحدث عن فتاة بهذه الطريقة من قبل، ولا حتى فال.

يقول بريكن ليعيدنا إلى النقطة التي بدأت منها المحادثة كلها: «لكن أظن أنك قلت إنها كانت أفضل متعة حصلت عليه؟».

يبتسم دانيال بتفاخر ثانية.

ـ «كانت كذلك بالفعل، اتضح أنه لم يكن من الصعب إيجادي بعد ذلك. ظهرت مرة أخرى بعد أسبوع. ضوء الخزانة كان مطفأ كالعادة، دخلت وأغلقت الباب خلفها. كانت تبكي مجددا. قالت (هل أنت هنا يا فتى؟) الطريقة التي قالت بها فتى جعلتني أظن أنها ربما تكون معلمة، وسأكذب إن قلت إن هذا ثبط من همتي. ثم أمر أفضى إلى الآخر، ودعنا فقط نقول إنني أصبحت أميرها الوسيم لبقية الساعة. وكانت هذه أفضل متعة حصلت عليه على الإطلاق».

نضحك أنا وبريكن، وأسأله: «حسنًا مَن كانت هي؟».

يهز دانيال كتفيه.

ـ «لم أعرف أبدًا، ولم تظهر مجددًا بعد ذلك، وانتهت المدرسة بعدها بأسابيع. ثم قابلت فال وحياتي خرجت عن السيطرة». يزفر دفعة عميقة من الهواء، ثم يستدير ليواجه بريكن.

ـ «هل هذه عنصرية مني إذا كنت حقًا لا أريد أن أسمع عن المثلية؟»

يضحك بريكن، ويلقي بجهاز التحكم في اللعبة على دانيال.

ـ «عنصرية ليست المصطلح الصحيح، تبًّا. رهاب المثلية والتمييز، نعم. وأنا متفهم. لن أخبرك على أي حال».

ينظر دانيال إليَّ، ويقول: «لا أظن أن عليَّ أن أخمن من ستخبرنا أنه الأفضل». يقول: «من الطريقة التي كُسِرت بها بسبب سكاي الآن، أظن أن هذا واضح جدًّا».

أهز رأسي.

ـ «حسنًا، أنت مخطئ، لأننا لم نفعلها، بل إننا لم نتبادل القبل أبدًا».

يضحك دانيال، لكن لا أنا ولا بريكن نضحك، ما يخرس دانيال.

ـ «أرجوك قل لي إنك تمزح؟»

أهز رأسي، ويقف دانيال ويرمي جهاز التحكم في الألعاب على السرير. يقول رافعًا صوته: «كيف يُعقل أنك لم تقبِّلها؟ لأن الطريقة التي كنت تتصرف بها هذا الشهر، جعلتني أعتقد أنها حب حياتك».

أحرك رأسي، وأقول: «لماذا تبدو غاضبًا من هذا؟».

يلف رأسه، ويقول: «حقًّا؟» يسير نحوي وينثني للأمام، واضعًا يديه على جانبي السرير. يترك الكرسي ويتراجع.

ـ «يا إلهي يا هولدر. لقد شعرت بالأسف عليك. تقبل الأمر يا رجل. اذهب إلى بيتها وقبلها بالفعل، واسمح لنفسك بأن تكون سعيدًا لمرة واحدة».

يسقط على السرير ويمسك بجهاز التحكم، يبتسم بريكن ويزم شفتيه ويهز كتفيه.

ـ «لا أحب صديقك حقًّا، لكنه أثار نقطة جيدة. ما زلت لا أفهم لماذا غضبت منها ورحلت، لكن الطريقة الوحيدة لتصلح الأمر هي ألا تبقى بعيدًا».

يستدير تجاه التلفاز، وأحدق فيهما، دون أن أنطق بكلمة.

جعلوا الأمر يبدو سهلًا، كأن حياتها كلها ليست معلقة على الميزان. إنهم لا يعرفون عمَّ يتحدثون.

أقول لدانيال: «أعدني إلى البيت». لا أريد أن أبقى هنا لأكثر من ذلك، ثم أخرج من غرفة بريكن، وأسير عائدًا إلى سيارة دانيال.

الفصل الثاني والثلاثون

ليز،

كل شخص يحب أن يكون له رأي، أليس كذلك؟ دانيال وبريكن لا يدركان ما أمر به. ما مر به كل منا.

تبًّا. لا أشعر حتى بالرغبة في إخبارك بذلك.

هـ

أغلق الدفتر، وأحدق به. لماذا حقًّا أكتب هذا؟ لماذا حقًّا أنزعج وهي ميتة؟ ألقي بالدفتر في الغرفة، فيضرب الجدار، ويسقط على الأرض. ألقي بالقلم على الدفتر، ثم أمسك بالوسادة التي خلف رأسي، وألقيها أيضًا.

أتأوه محبطًا. غاضبٌ لأن دانيال يظن أن حياتي بهذه السهولة. غاضب لأن بريكن ما زال يظن أنني يجب أن أعتذر لها، كأن هذا سيجعل كل الأمور بخير. غاضب لأنني ما زلت أكتب إلى ليز رغم أنها ميتة. لن تستطيع قراءة ذلك، ولن تقرأه أبدًا. أنا فقط أضع كل الهراء الذي أعيش فيه على الورق بلا سبب، غير حقيقة أنه لا يوجد شخص واحد في هذا العالم أستطيع أن أتحدث معه الآن.

أستلقي، ثم أغضب مجددًا، وألكم سريري لأن وسادتي ملقاة في الغرفة. أقف وأذهب إلى الوسادة وأنتزعها، وأنظر إلى الدفتر تحتها، مفتوح على الأرض.

تسقط الوسادة من يدي.

وتسقط ركبتاي على الأرض.

وتقبض يداي على الدفتر المقلوب المفتوح على آخر صفحة.

أقلب بعصبية وسرعة خلال الصفحات المكتوبة بخط يد ليز، حتى أجد أين تبدأ الكلمات. بمجرد أن أرى الكلمات الأولى المكتوبة على قمة الورقة، يتوقف صراخ قلبي.

عزيزي هولدر،

إذا كنت تقرأ هذا، أنا آسفة جدًّا.

أغلق الدفتر بقوة، وألقي به في الغرفة.

كتبت لي رسالة؟ رسالة انتحار؟

لا أستطيع التنفس، أنهض وأفتح النافذة، ثم أخرج رأسي منها. آخذ نفسًا عميقًا، الهواء لا يكفي، ولا أستطيع التنفس. أغلق النافذة، وأسرع إلى باب غرفة نومي، أفتحه وأجري على الدرج، آخذًا درجات عدة في مرة واحدة. أمر بأمي، وتتسع عيناها، وهي تراني في هذه العجلة.

ـ «هولدر، إنه منتصف الليل أين..؟»

أصرخ قائلًا: «سأركض»، ثم أغلق الباب الأمامي خلفي. وهذا ما أفعله، أركض مباشرة لبيت سكاي لأنها الشيء الوحيد في هذا العالم الذي قد يساعدني على أن أتنفس مرة أخرى.

الفصل الثالث والثلاثون

الأسابيع الماضية التي فعلت فيها كل ما بوسعي لأتجنبها، أخذت كل ما أملك من قوتي، ولم أعد أستطيع أن أفعل أكثر، واعتقدت في بقائي بعيدًا عنها أنني كنت قويًّا، لكن عدم وجودي إلى جوارها، جعلني أضعف أكثر من أي وقت مضى.

أعرف أنني يجب ألا آتي إلى هنا، وأعرف أنها لا تريدني هنا، لكن عليَّ أن أراها وأسمعها وألمسها وأشعر بها، لأن عطلة نهاية الأسبوع التي قضيتها معها كانت الوقت الوحيد منذ رحلت عنها قبل ثلاثة عشر عامًا، الذي تطلعت فيه حقًّا إلى الأمام.

لم أتطلع إلى الأمام من قبل، ونظرت دائمًا إلى الخلف، أفكر كثيرًا في الماضي، وأفكر فيما كان عليَّ أن أفعله، وكل شيء خاطئ فعلته، ولم أنظر أبدًا ولو مرة واحدة في حياتي إلى الأمام.

وجودي معها جعلني أفكِّر في الغد واليوم الذي يليه، واليوم الذي يليه، والعام المقبل والأبد. أحتاج إلى هذا الآن، لأنني إذا لم أضمها مرة أخرى. سأصبح مرعوبًا من النظر خلفي مرة أخرى، وأن الماضي سيبتلعني تمامًا.

أمسك بعتبة النافذة، وأغمض عيني، وأستنشق مرات عدة، مُحاولًا أن أهدئ نبضي، والرجفة التي تسري بيدي الآن. أكره أنها دائمًا تترك نافذتها مفتوحة. أدفعها وأحرك الستائر للخلف، ثم أدخل. أفكِّر في قول شيء حتى تعرف أنني في غرفتها، لكنني أيضًا لا أريد أن أخيفها إذا كانت نائمة.

أستدير وأغلق النافذة، أتجه إلى سريرها، وببطء أدخل إليه. إنها تواجه الجهة الأخرى، لذا أرفع الأغطية، وأندس إلى جوارها. وضعيتها تتجمد على الفور، وترفع يديها إلى وجهها. أعرف أنها مستيقظة، وأعرف أنها عرفت أنني دخلت إلى سريرها، لكن حقيقة أن هذا أخافها حطمتني تمامًا.

هي خائفة مني، ولم أتوقع أن يكون رد فعلها الخوف على الإطلاق. ربما الغضب، وكنت أفضل أن تكون غاضبة مني الآن عوضًا عن أن تكون خائفة.

لم تطلب مني الرحيل بعد، ولا أظن أنني أستطيع أن أفعل ذلك، حتى إذا طلبت مني. عليَّ أن أشعر بها بين ذراعي، لذا أقترب منها، وأضع ذراعي تحت وسادتها.

ألف ذراعي الآخر حولها، وأصابعي في أصابعها، ثم أدفن رأسي في عنقها. أحتاج إلى عطرها وجلدها، والشعور بدقات قلبها حول يدينا، أكثر من أي وقت مضى. أريد فقط أن أعرف أنني لست وحيدًا، حتى لو لم تكن لديها فكرة كم يساعدني ضمي لها.

أقبِّلها برقة على جانب رأسها، وأشدها نحوي، لا أستحق أن أعود إلى سريرها أو إلى حياتها بعد كل ما وضعتها فيه. في هذه اللحظة، هي تسمح لي بأن أكون هنا، ولن أفكر فيما يمكن أن يحدث في الدقائق القليلة المقبلة. لن أفكر فيما حدث في الماضي، ولن أنظر إلى الأمام أو الخلف. أضمها فقط وأفكر في هذا.

لم تنطق على الأغلب لنصف ساعة، ولا حتى أنا. لن أعتذر لها، لأنني لا أستحق غفرانها، ولهذا أنا هنا. لا أستطيع أن أخبرها عما حدث في هذا اليوم على الغداء، لأنني لا أريدها أن تعرف بعد. ليست لدي فكرة ماذا أقول، لذا فقط أضمها، وأقبِّل شعرها، وفي صمت أشكرها لمساعدتها لي على التنفس مرة أخرى.

أطوي ذراعي عاليًا، وأضمها بإحكام أكبر. أحاول بصعوبة ألا أنهار الآن. تستنشق نفسًا، ثم تتحدث إليَّ لأول مرة منذ شهر على الأغلب. تهمس: «أنا غاضبة منك للغاية».

أغمض عيني بشدة، وأضغط شفتي بيأس إلى جلدها. أحرك يدي حولها لأشدها أكثر، ثم أقول: «أعرف سكاي.. أعرف».

أصابعها تنزلق مع أصابعي، وتعتصر يدي، كل ما فعلته هو أن اعتصرت يدي، لكن هذه الإشارة الصغيرة فعلت الكثير بي في هذه اللحظة أكثر مما يمكن أن أمنحه لها في المقابل. معرفة أنها تطمئنني، حتى بأسهل الطرق، هو أكثر مما أستحقه منها.

أضغط شفتي إلى كتفها وأقبِّلها برفق. أهمس مجددًا بينما أقبل عنقها قائلًا: «أعرف». إنها تتجاوب معي، وأريد أن أبقى هنا إلى الأبد. آمل توقف الوقت. أريد أن أجمد الماضي والمستقبل، وأركز فقط على كوني هنا في هذه اللحظة إلى الأبد.

تصل إليَّ وتمرر يدها على رأسي جاذبة إياي إلى عنقها بقوة أكبر. تريدني هنا. تريدني هنا بقدر ما أريد أن أبقى هنا، ومجرد معرفة هذا كافٍ لتجميد الوقت، ولو قليلًا.

أرتفع في السرير إلى جوارها، وأشد كتفها برفق حتى تصبح على ظهرها ناظرةً إليَّ. أبعد الشعر عن عينيها، وأنظر إليها. لقد افتقدتها كثيرًا، وخائف جداً أن تعود إلى رشدها، وتسألني أن أرحل. يا إلهي، لقد افتقدتها. كيف فكرت يومًا أن البعد عنها سيكون جيدًا لأي منَّا؟

أقول ممرًا يدي على عنقها: «أعرف أنكِ غاضبة مني. أريدكِ أن تكوني غاضبة مني سكاي. لكنني أظن أنني أريد أكثر أن تبقي راغبة في وجودي هنا».

تستمر في النظر إلى عيني وتومئ برأسها قليلًا. أقرب جبهتي إلى جبهتها، وأمسك بوجهها في يدي، وتفعل الشيء نفسه.

تقول: «أنا غاضبة منك يا هولدر، لكن لا يهم كم كنت غاضبة، لأنني لم أتوقف لثانية واحدة عن الرغبة في وجودك هنا معي».

كلماتها أثرت فيَّ تأثيرًا كبيرًا، فرغت أنفاسي مني، وفي الوقت نفسه مُلئت رئتاي تمامًا بالهواء ثانية. تريد أن أكون هناك، وهذا الشعور هو الأفضل في العالم.

ـ «يا إلهي سكاي. لقد افتقدتك بشدة».

أشعر كأنها حياتي، وأنني إذا لم أُقبِّلها على الفور، سأموت.

أدس رأسي وأضغط فمي على فمها. كلانا يستنشق أنفاسًا عميقة في الثانية التي تتقابل فيها شفاهنا. تضمني إليها، مرحبةً بعودتي إلى حياتها. أفواهنا مضمومة بيأس معًا، لكن شفاهنا لا تزال ساكنةً، وكلانا يحاول أن يستنشق نفسًا آخر. أتراجع قليلًا لأن الشعور بها تحتي وفمها مضغوط لفمي غمرني تمامًا.

في أعوامي الثمانية عشرة، لم أشعر بشيء أكثر مثالية. بمجرد أن تنفصل شفتاي عن شفتيها، تنظر إلى عيني وتلف يديها حول عنقي. تنهض قليلًا من السرير تجلب فمها لفمي ثانية. في هذه المرة تقبّلني، مباعدة شفتي عن شفتيها برقة. عندما يتقابل لسانانا، تئن وأدفعها للخلف على السرير، مقبّلًا إياها هذه المرة.

لدقائق قليلة، كنا ضائعين تمامًا فيما يشبه الكمال المطلق. الوقت توقف تمامًا، وكل ما أفكر فيه بينما نقبِّل بعضنا بعضًا هو كيف أن هذا هو ما ينقذ الناس. اللحظات مثل هذه مع أناس مثلها يجعلون كل المعاناة تستحق العناء. إن اللحظات مثل هذه تبقي الناس يتطلعون للأمام ولا أستطيع تصديق أنني تركتها تفلت شهرًا بأكمله.

أعرف أنني أخبرتها أنها لم تُقبَّل أبدًا حقًّا من قبل، لكن حتى هذه اللحظة لم أعرف أنني أنا أيضا لم أُقبَّل أبدًا من قبل. ليس مثل هذه. كل قبلة، كل حركة، كل أنين، كل لمسة من يدها لجلدي. إنها نعمة إنقاذي. أملي.

ولن أتركها أبدًا مرة أخرى.

***

أسمع صوت باب غرفة نومها المغلق فأعرف أنها على وشك أن تأتي وتراني وأنا أصنع الإفطار لها. ما زلت لم أفسر ما فعلته بها حقًّا طوال الشهر الماضي ولا أظن أنني أستطيع ذلك، لكنني سأفعل ما بوسعي لأجعلها تتقبله دون أن تسامحني. بصرف النظر عما حدث بيننا ليلة أمس، ما زلت لا أستحق غفرانها وصدقًا هي ليست هذا النوع من الفتيات اللاتي يتحملن السوء الذي وضعتها فيه. إذا سامحتني، سأشعر أنها ساومت على قوتها. لا أريدها أن تساوم على أي شيء فيها من أجلي.

أعرف أنها تقف خلفي. قبل أن يلحق بها مرة أخرى كل شيء فعلته، أحاول أن أشرح لها حقيقة أنني تصرفت كأنني في بيتي في بيتها ثانية.

أقول وأنا ما أزال أولي ظهري إليها: «رحلت مبكرًا هذا الصباح، لأنني كنت خائفًا أن تأتي أمك وتظن أنني أحاول إغواءك. ثم عندما ذهبت للركض، مررت ببيتك مجددًا وأدركت أن سيارتها ليست هنا وتذكرت أنك قلتِ إنها تقوم بهذه الجولة التجارية أيامًا كل شهر. لذلك قررت أن أشتري بعض البقالة لأنني أردت أن أطهو لكِ فطورًا. وأيضًا اشتريت بقالة للغذاء والعشاء، لكن ربما يجب أن نتناولها في وجبة واحدة اليوم».

أستدير لأواجهها، ولا أعرف إذا كان هذا بسبب أنني قضيت الأسابيع الماضية بعيدًا عنها أم لسبب آخر، لكنها أجمل شيء وقعت عيناي عليه على الإطلاق. أنظر إليها من فوق وتحت مدركا أن هذه أول مرة أقع في حب قطعة ثياب من قبل. يا إلهي، ماذا تحاول أن تفعل بي؟

«عيد ميلاد سعيد». أقولها عرضًا، محاولًا ألا أظهر لها كم أنا مضطرب من رؤيتها بهذا الثوب: «لقد أحببت هذا الفستان حقًّا. اشتريت لبنًا طبيعيًّا، هل تريدين القليل؟» آخذ كوبًا وأصب لها فيه بعض اللبن، ثم أمرره لها، تنظر إلى اللبن بحذر لكنني لا أمنحها الوقت لتشربه. أرى هاتين الشفتين وهذا الفم و... يا إلهي.

أقول وأنا أسير تجاهها على مهل: «أريد أن أقبِّلك»، أمسك وجهها بيدي: «تبًّا لفمك، كان مثاليًّا ليلة أمس، خفت أن يكون كل هذا حلمًا». أتوقع أن تقاوم، لكنها لم تفعل. بدلًا من ذلك كان لدي موعد مع الكمال الشغوف، تتشبث بي بكلتا يديها. معرفة أنها ما زالت تريدني بعد كل ما وضعتها فيه، تجعلني أكثر امتنانًا لها. ومعرفة أنه أما زال لدي فرصة معها؟

أنني سأبقى أقبّلها بهذه الطريقة؟

هذا غالبًا كثير للغاية.

أتركها وأبتعد مبتسمًا: «لا. لم يكن حلمًا».

أواجه الفرن ثانية حتى أتوقف عن التركيز على فمها لفترة تكفي أن أصنع لها صحن طعام. لدي الكثير الذي أحتاج إلى أن أقوله لها ولا أعرف حتى من أين أو كيف أبدأ. أضبط صحنينا وأضعهما على البار حيث تجلس.

أسألها: «هل مسموح لنا أن نلعب تحقيق الغذاء في وقت الفطور؟».

تومئ. «إذا كان لي السؤال الأول».

هي لا تبتسم. لم تبتسم لي منذ أكثر من شهر. أكره أنني السبب في أنها لم تعد تبتسم.

أضع شوكتي على طبقي، وأرفع يدي، وأشبكهما تحت ذقني. وأقول: «كنت أفكر في أن أمنحك كل الأسئلة».

تقول: «أنا فقط أريد إجابة سؤال واحد».

أتنهد لأنني أعرف أنها تريد أكثر من إجابة واحدة فقط، لكن حقيقة أنها فقط تريد الإجابة عن سؤال واحد تقودني لتصديق أنها على وشك أن تسألني عن السوار. وهذا السؤال الوحيد الذي لا أرغب في مشاركة إجابته بعد.

تميل للأمام عل كرسيها، وأستعد لسؤالها.

ـ «منذ متى وأنت تتناول المخدرات يا هولدر؟»

أنظر إليها على الفور، ولم أتوقع أن يكون هذا هو سؤالها على الإطلاق. إنه يخالف كل توقعاتي، ما يجعلني أبقي عيني معلقتين بعينيها، لكن عشوائية السؤال جعلتني أريد أن أضحك. ربما عليَّ أن أكون منزعجًا من أن سلوكي منحها هذه الفكرة السخيفة، لكن عوضًا عن ذلك لا أشعر بشيء إلا الراحة.

أحاول بصعوبة ألا أضحك، لكن الغضب في عينيها رائع وجميل وصادق وأنا مرتاح لذلك. علي أن أنظر بعيدًا عنها، لأنني أحاول بصعوبة ألا أبتسم. إنها جادة للغاية ومباشرة تمامًا الآن، لكن يا إلهي، لا أستطيع.

تجد ابتسامتي أخيرًا طريقها وأضحك. عيناها تصبحان غاضبتين أكثر، ما يجعلني أضحك أكثر.

ـ «مخدرات؟ تظنين أنني أتناول المخدرات؟» أحاول أن أتوقف، لكن كلما فكرت كيف أثر هذا فينا طوال الشهر الماضي، يجعلني أضحك أكثر.

قسماتها لا تتغير أبدًا. إنها غاضبة. أمسك أنفاسي مُحاولًا أن أوقف الضحك حتى أتمكن من أن أبقي وجهي جادًّا. أميل إلى الأمام وأمسك بيدها في يدي، ناظرًا إليها في عينيها مباشرة.

ـ «لا أتناول المخدرات سكاي. أقسم لكِ. لا أعرف لماذا فكرتِ في هذا، لكنني أقسم لك».

تقول: «إذًا ماذا بك حقًّا؟».

تبًّا، أكره النظرة على وجهها. إنها مجروحة ومحبطة ومرهقة. لست متأكدًا أي جزء من سلوكي المبهم، غريب الأطوار تشير إليه، لكنني لا أعرف صدقًا كيف أجيبها.

ما الخطأ بي؟ ما الذي ليس خطأ بي؟

أسألها: «هل يمكن أن تكوني أقل غموضًا؟».

تهز أكتافها، وتقول: «أكيد، ما حدث لنا، وكيف أنك تتعامل كأنه لم يحدث؟».

تبًّا. هذا مؤلم، إنها تعتقد أنني فقط نسيت كل شيء حدث بيننا، أريد أن أخبرها بكل شيء. أريد أن أخبرها كم تعني لي، وكيف أن هذا كان من أصعب فترات حياتي. أريد أن أخبرها عن ليز وعنها وعني، وكم يؤلم أنها لا تتذكر. كيف يمكن أن تنسى هذا الجزء المهم من حياتها؟

ربما أنا وليز لم نكن مهمين بالنسبة لها، كما كنت أظن. أنظر إلى ذراعي، وأتعقب الحروف هاء واو باء، آملًا أن تتذكر، لكن مرة أخرى، إذا تذكرت، سوف تعرف أيضًا المعنى

من هذا الوشم. سوف تعرف أنني خذلتها. ستتذكر أن كل شيء حدث في حياتها في الثلاثة عشر عامًا الماضية، كنتُ السبب المباشر فيه.

أنظر إلى عينيها وأجيبها بأكثر إجابة صادقة أسمح لنفسي بأن أمنحها إياها.

ـ «لا أريد أن أخذلكِ سكاي. لقد خذلت كل شخص أحبني في حياتي، وبعد هذا اليوم في الغداء عرفت أنني خذلتكِ أيضًا. لذا، تركتكِ قبل أن تحبيني، وإلا كان كل جهد أحاول به ألا أغضبكِ، جهدًا ميؤوسًا منه».

تغيم عيناها بالإحباط، وأعرف أنني أصبحت غامضًا ثانية، لكنني لا أستطيع أن أخبرها. ليس الآن، ليس قبل أن أتأكد أنها ستصبح بخير.

ـ «لماذا لا تقولها فقط هولدر؟ لماذا لا تعتذر؟»

يقبض الألم في صوتها قلبي، وأنظر إليها مباشرةً في عينيها، لترى كم هو مهم بالنسبة لي ألا تقبل الطريقة التي عاملتها بها أبدًا.

ـ «أنا لن أعتذر لكِ، لأنني لا أريدكِ أن تسامحيني».

تغمض عينيها بشدة على الفور، محاولة أن تمنع الدموع. لا شيء يمكن أن أقوله قد يجعلها تشعر شعورًا أفضل حول ما حدث بيننا. أترك يدها وأقف، ثم أتجه إليها وأرفعها للأعلى.

أجلسها على البار فنصبح في مستوى النظر نفسه. هي قد لا تصدق الكلمات التي ستخرج من فمي، لكنني أريدها أن تشعر بي. أريدها أن ترى الصدق في عيني والإخلاص في صوتي لتعرف أنني لم أقصد أن أؤلمها. أردت فقط أن أحميها من هذا الشعور، لكنني جعلته أسوأ.

ـ «حبيبتي، لقد أخفقت. لقد أخفقت معكِ أكثر من مرة. أعرف هذا. لكن صدقيني، ما حدث على الغداء في هذا اليوم لم يكن غيرة أو غضبًا أو أي شيء يمكن أن يخيفكِ. أتمنى لو أنني أستطيع أن أقول لكِ ما حدث، لكنني لا أستطيع. يومًا ما سأفعل، لكنني لا أستطيع الآن، وأريدك أن تقبلي هذا. أرجوكِ. ولا أعتذر لكِ لأنني لا أريدكِ أن تنسي ما حدث، ويجب ألا تسامحيني عليه أبدًا. ولا تتخذي لي الأعذار سكاي».

تصغي لكل كلمة أقولها، وأحب هذا فيها. أميل عليها وأقبّلها، ثم أعود إلى الوراء، وأكمل قول ما أحتاج إلى لأن أقوله، بينما ما زالت ترغب في سماعي.

- «طلبت من نفسي أن أبعد عنكِ وأجعلكِ غاضبة مني، لأن لدي الكثير من المشكلات التي لا أستطيع أن أشاركها معكِ بعد. وحاولت بصعوبة أن أبعد، لكنني لم أستطع. لست قويًّا كفاية لأستمر في إنكار ما حدث أيًّا كان. في غرفة الطعام عندما عانقتِ بريكن وضحكتِ معه أمس، شعرت بشعور جيد لأنني رأيتكِ سعيدة سكاي. لكنني أردت بشدة أن أكون أنا الشخص الذي يجعلكِ تضحكين هكذا. كان يمزقني من الداخل أنكِ تعتقدين أنني لا أهتم بهذا، أو أن عطلة نهاية الأسبوع التي قضيناها معًا لم تكن أفضل عطلة نهاية أسبوع قضيتها في حياتي على الإطلاق. كانت أفضل عطلة نهاية أسبوع في تاريخ عطلات نهاية الأسبوع».

أمرر يدي من شعرها إلى أسفل عنقها، وأداعب فكها بإبهامي. أحتاج إلى أن آخذ نفسًا مهدئا لأقول ما أريد أن أقوله بعد ذلك، لأنني لا أريد أن أخيفها، وأريد فقط أن أكون صادقًا معها.

أقول بهدوء: «إن هذا يقتلني يا سكاي، لأنني لا أريدكِ أن تمضي يومًا آخر، دون أن تعرفي كيف أشعر تجاهكِ. ولست مستعدًّا لأن أقول لكِ إنني أُحبّكِ، لأنني لست كذلك، ليس بعد. لكن أيًّا كان ما أشعر به، إنه يبدو أكثر من الإعجاب، أكثر بكثير. وفي الأسابيع القليلة الماضية كنت أحاول أن أستوضحه. أستوضح لماذا ليس هناك كلمات أخرى لتصف ما أشعر به. أريد أن أقول لكِ ما أشعر به بالضبط، لكن ليس هناك كلمة واحدة في القاموس تستطيع أن تصف هذه النقطة بين معجب بكِ وأحبُّكِ، لكنني أريد هذه الكلمة، لأنني أريدك أن تسمعيني وأنا أقولها».

أقبِّلها وأتراجع، لكنها لا تزال تنظر إليَّ بعدم تصديق. أقبّلها مُجددًا، متوقفًا بعد كل قبلة، على أمل أن ترد بشيء. لا يهمني إن كانت ستصفعني أو ستقبِّلني أو تخبرني أنها تحبني. أريدها فقط أن تقر بكل شيء قلته. بدلًا من ذلك، هي فقط تحدق بي، وهذا يجعلني متوترًا.

أتوسل: «قولي شيئًا».

تستمر في التحديق بي لمدة طويلة. أحاول أن أبقى صبورًا. إنها دائمًا صبورة معي، رغم أنها سريعة البديهة. ما أريده بشدة هذه المرة، هو أن تكون أكثر سرعة بديهة من هذا بقليل، وأحتاج إلى رد فعل منها.

شيء ما، أي شيء.

تهمس أخيرًا: «نحيا».

هذا ما لم أتوقع أن يخرج من فمها، لكن على الأقل قالت شيئًا. أضحك وأهز رأسي مرتبكًا مما تقصد.

ـ «ماذا؟»

ـ «نحيا. إذا دمجت الحروف في كلمات إعجاب وحب، ستجد حياة. تستطيع أن تستخدم هذه الكلمة».

نوعًا ما أعطتني الكلمة التي أبحث عنها منذ أن رأيتها في متجر البقالة. أنا لا أستحقها، ولا أستحق تفهمها، ومتأكد للغاية أنني لا أستحق الطريقة التي جعلت قلبي يشعر بها الآن. أضحك وألف ذراعي حولها، وأنا أقبِّلها. أقول قبالة شفتيها: «أنا أحيا بكِ سكاي. أحيا بكِ كثيرا».

بقدر المثالية التي وصفت بها النقطة التي نقف عندها، أعرف أنها كذبة.

لست فقط أحيا بها، أنا أحبها، أحببتها منذ كنا صغارًا.

الفصل الرابع والثلاثون

ليز،

لن أقرأ هذا الخطاب. لن أقرأه أبدًا، على الإطلاق. وانتهيت من الكتابة في هذا الدفتر البائس. لذا أخمِّن أن هذا يعني أنني انتهيت من الكتابة إليكِ أيضًا.

هـ

الفصل الخامس والثلاثون

يدق رنين الهاتف وقبل حتى أن أبدأ الحديث، يبدأ دانيال الحديث.

ـ «هلا أتيت أنت وسكاي لتشاهدا فيلمًا معنا أنا وفال الليلة؟»

ـ «ظننت أنك انفصلت عن فال».

يقول دانيال: «ليس اليوم».

ـ «لا أعرف إن كانت هذه فكرة جيدة».

لقد سمعت الكثير عن فال، لأعرف أنني لست متأكدًا، إذا كنت سأشعر بالراحة من أخذ سكاي إلى هناك. نحن نتواعد فقط منذ أسبوعين.

يحتج دانيال قائلًا: «إنها فكرة جيدة. والداي سيرحلان في الثامنة. تعالَ في الثامنة ودقيقة».

يغلق الخط فجأة، لذا أراسل سكاي.

ـ تريدين أن تشاهدي فيلمًا مع دانيال وفال الليلة؟

أنقر ذر الإرسال، وألقي بهاتفي على السرير. أذهب إلى خزانة ثيابي لأتحقق من اختياري للقميص، ثم أتذكر أنني ليس لدي الكثير من الخيارات. ألتقط تي شيرت عشوائيًّا، وأضعه من رأسي، عندما يدق الهاتف برسالة سكاي.

بشرطين، وفق كارين. عليَّ أن أعود إلى البيت قبل منتصف الليل ولا يمكنك إغوائي.

أضحك وأراسلها.

ـ عليَّ الأخذ في الحسبان كم أنتِ مملة، أنا متأكد أنكِ ستعودين إلى البيت بعد أقل من ساعة.

ـ ألا يعني هذا أنك ما زلت تحاول إغوائي رغم ذلك؟

ـ بالضبط.

ـ أضحك بصوت عالٍ.

لقد كتبتْ حرفيًّا أضحك بصوت عالٍ.

أنا أفعل LOL، بعد ذلك، أضع الهاتف في جيبي، وأتجه إلى السيارة.

***

لم أحصل على أي حوار مع فال من قبل، والليلة ليست استثناءً. سكاي وأنا على الأريكة أمام التلفاز في قبو دانيال. دانيال وفال على الكرسي يعبثان معًا، ما يجعلني أسأل لماذا دعانا دانيال لأن نكون هنا في المقام الأول، إذا كان هذا كل ما سيفعلانه.

نشاهدهما بانزعاج. من الصعب أن تنتبه للتلفاز عندما يكون هناك مشهد حميمي حقيقي يحدث.

في الثانية التي راح فيها دانيال يرفع قميص فال، ألقي عليهما بجهاز التحكم مصيبًا دانيال في ركبته. يقفز ويرفع يده بحركة بذيئة دون أن يترك تواصله مع فم فال. يرمقني قليلًا رغم ذلك، وبهدوء أخبره أن يترك المكان أو يترك القميص.

يقف وفال الآن ملتفة حوله. لا يقولان شيئًا إذ إنه يحملها أعلى الدرج إلى غرفة النوم.

تقول سكاي متنهدة بارتياح: «شكرًا كنت على وشك أن أتقيأ».

تتكوم بجانبي على الأريكة، ورأسها على كتفي. أرخي نفسي على الأريكة، حتى نصبح أكثر راحة، وكلانا يعاود النظر إلى التلفاز. لكنني أعلم أننا لا ننتبه حقًّا له، لأن الطاقة في الغرفة تحولت تمامًا في اللحظة التي غادر فيها دانيال وفال. لم نحصل على خصوصية مثل هذه منذ واعدنا بعضنا رسميًّا قبل أسبوعين.

يدها في يدي متشابكة معًا، مستندًا إليها. لا ترتدي الفستان الذي ذوبني تمامًا في أول مرة رأيتها به، لكنها ترتدي فستانًا، وأحب هذا الفستان بقدر ما أحببت الآخر.

أتمنى لو أنها كانت ترتدي الجينز. سمعت ليز تقول لإحدى صديقاتها عندما كنا في السادسة عشرة، كانا على وشك الذهاب إلى موعد مشترك، وكانت صديقة ليز تشرح لها قواعد ارتداء الثياب من أجل موعد. قالت إذا كانت ليز تريد أن تقبِّل الفتى فهي تحتاج إلى أن ترتدي الجينز لأن احتمال أن ينزل الفتى يده حيث لا ينبغي له سيكون قليلًا. ثم قالت لليز إنها إذا خططت لأن تتجاوز القاعدة الأولى، فلترتدي تنورة أو فستانًا حيث سيسهل الطريق. أتذكر انتظاري في غرفة المعيشة بعد سماع هذا الحوار، لأرى ماذا ستختار ليز لترتدي. نزلت من الدرج في تنورة، وأعدتها إلى الغرفة، وأجبرتها على أن ترتدي الجينز.

أتمنى لو أن سكاي كانت ترتدي الجينز الآن، لأن يديَّ بدأتا في التعرق، وأعرف أنها تستطيع أن تشعر بنبضي من كف يدي. يجعلني فستانها أفكِّر أنها تريد أن تأخذ الأمور لخطوة أبعد الليلة، ولا يمكن أن أخرج هذا من رأسي.

متأكد أنني أريد أن آخذ الخطوة التالية، لكن ماذا لو أن سكاي لا تعرف قواعد ارتداء الثياب عند المواعدة؟ ماذا إذا كانت ترتدي فستانًا من أجل ذلك؟ ماذا إذا كانت فقط لا ترتدي الجينز لأن غسالة ثيابها معطلة، وكل ملابسها متسخة؟ ماذا إذا كانت ترتدي هذا الفستان لأن ليس لديها وقت لتبدله إلى الجينز قبل أن آتي إلى البيت؟ ماذا إذا كانت ترتدي هذا الفستان لأنها ذهبت إلى كنيسة عشوائية اليوم وكانت لديها خدمة يوم السبت؟

أتمنى لو أعرف ماذا يدور برأسها الآن. أريح رأسي على ظهر الأريكة، وأبتلع الكتلة الكبيرة في حلقي قبل أن أتحدث. أقول: «أحب فستانك».

خرجت كهمس خشن لأن حلقي ضعيف جدًّا الآن فقط بالتفكير فيها، لكنني أظن أنها أحبت الطريقة التي قلتها بها، لأنها تميل رأسها وتنظر إليَّ، وببطء تنظر إلى فمي. ليس علينا حتى أن نبدل أماكننا لنقبِّل بعضنا، فمها قريب للغاية، إنه بالفعل فوق فمي. لكن كلينا لا يستفيد من هذا. بعد.

تهمس قائلةً: «شكرًا». النفس الحلو الآتي من كلماتها يتكسر أمام فمي، يدفئني من الداخل إلى الخارج.

الضغط ثقيل الآن، ولا أستطيع حتى أن أتنفس.

ـ «على الرحب والسعة».

أهمس لها محدقًا في فمها بالطريقة التي تحدق بها في فمي. كلانا هادئ للحظة، نحدق ببعضنا البعض في صمت فقط، وتحرك شفتيها وترطبهما، ومتأكد أنني قلت «تبًّا» من خلف أنفاسي.

تحب أن تجعلني مضطربًا للغاية، لأنها تبتسم.

تهمس: «أتريد أن نعبث معًا؟».

يا إلهي، نعم.

شفتاي على شفتيها قبل أن تكمل الجملة تمامًا من فمها. أنزل يديّ إلى خصرها وأشدها إلي حتى تتداخل معي.

تتداخل معي. في فستانها.

أبقي يديّ بإحكام على ردفيها بينما تتحرك يداها ببطء من عنقي إلى شعري. الطريقة التي يلتصق بها صدرها بصدري تجعل رأسي يدور، وأشعر بأن الشيء الوحيد الذي قد يعيد إليّ عقلي أن أشدها أقرب مني وأقبلها بقوة أكبر. لذا هذا ما أفعله. أحرك يداي عن شفتيها إلى خلفها وأشدها أقرب إليّ، ضاغطًا إياها بشكل مثالي حتى أنها تتأوه وتشد شعري. أبقي يدًا واحدة على مؤخرتها، جاعلًا إياها تتبع إيقاع حركاتها بينما يدي الثانية تداعب ظهرها حتى شعرها. أجذب فهما إلى فمي أكثر بينما أصوب وضعي وأميل للأمام حتى لا يصبح ظهري ملامسا للأريكة وفمي متشابكًا معها حسبما اتفق. فقط هذا يجعل رأسي يلف بشكل أسوأ، لذا نتبادل القبل أسرع الآن وهي تئن بصوت أعلى وأنا أمسك بردفها ثانية وأحركها علي بطريقة مثالية حتى أنني متأكد أنها ستحصل على ما فعلته معها نفسه في الليلة الأولى التي عبثنا بها معًا.

لا أريد هذا بعد لأنها ترتدي هذا الفستان، وهو رائع للغاية، وأنا لا أستفيد من ذلك حتى. أمسك بكتفيها وأدفعها بعيدًا عني سامحًا لنفسي بالسقوط على الأريكة.

كلانا يلتقط أنفاسه ويبتسم، وينظر إلى الآخر كأنها أجمل ليلة على الإطلاق، لأن الساعة ما زالت العاشرة وما زالت لدينا ساعتان متبقيتان. أترك كتفيها وأمسك بوجهها بين يدي، ثم ببطء أعيدها إلى فمي. أغيِّر وضعية يدي لأدعم جسدها وأقف، ثم أنزلها على الأريكة. أتشارك معها، ضاغطًا ركبتي بين ساقيها والركبة الأخرى جوارها.

أصبح لدي انطباع أن دانيال اختار هذه الأريكة الضخمة بالطريقة التي تختار بها الفتيات ثياب المواعدة. لأنها أريكة مثالية لمثل هذه الأمور.

أبدأ في تقبيل ذقنها حتى عنقها ثم إلى أن ينتهي فستانها ويظهر مفرق نهديها. ببطء أحرك يدي على فستانها ثم بطول جسدها حتى أصل إلى نهديها. أداعبهما من فوق القماش فيقسوان تحت أطراف أصابعي.

يا إلهي أنا أحب الليلة بشدة.

أتأوه وأمسك صدرها بقوة أكبر بقليل فتئن وتقوس ظهرها، ضاغطةً نفسها أكثر ليدي. أدعو فمها لفمي وأستمر في تقبيلها حتى يتحتم علينا أن ننفصل من أجل الهواء ثانية. أضغط خدي لخدها.

شفتاي بجوار أذنها.

أهمس: «سكاي».

تستنشق نفسًا سريعًا، وتقول: «نعم؟».

أستنشق نفسًا بطيئًا، وأقول: «أنا أحيا بكِ».

تزفر قائلة: «أنا أحيا بك أيضًا دين هولدر».

أزفر.

وأتنفس.

وأزفر.

وأكرر الجملة بصمت في رأسي «أنا أحيا بك دين هولدر».

إنها المرة الأولى التي أسمعها فيها تقول دين.

وهي أيضًا المرة الأولى التي أشعر فيها أن قلبي اخترقته كلمة من قبل.

أبعد عن خدها وأنظر إليها، وأقول: «شكرًا لكِ».

تبتسم قائلةً: «لماذا؟».

أفكر من داخلي: لأنكِ حيَّة.

أقول بصوت عالٍ: «لأنكِ أنتِ».

تتبدد ابتسامتها، وأقسم أنها نظرت من خلال عيني مباشرةً إلى روحي. تقول: «أنا جيدة في أن أكون أنا، خاصة عندما أكون معك».

أحدق بها لثوانٍ عدة، ثم عليَّ أن أخفض ذقني مجددًا. أريد أن أقبِّلها، لكنني أبقي خدي مضغوطا بقوة إلى خدها، لأنني لا أريدها أن ترى الدموع في عيني.

لا أريدها أن ترى كم يؤلمني أن أعرف أنها يمكن أن تكون بهذا القرب مني، ولكنها لا تتذكرني.

الفصل الخامس والثلاثون ونصف

أعزائي الميتون ما عدا ليز، حيث إنني لن أكتب إلى ليز بعد ذلك،
أحببت هوب منذ كنا صغارًا، لكن الليلة وقعت في حب سكاي.

هـ

الفصل السادس والثلاثون

ليز،

أعرف أنني قلت إنني لن أكتب إليكِ بعد ذلك. ما زلت لا أكتب في هذا الدفتر، لأنني لا أريد أن ألمسه، مع معرفتي أن به رسالة منكِ. لا أستطيع أن أقرأها، لذا فقط اشتريت دفترًا جديدًا. حُلت المشكلة. الآن أريد أن أعلمكِ بما حدث. أنا أواعد سكاي منذ شهر الآن. ما زالت لم تتذكرني ولا أنتِ ولا عندما كنا صغارًا. أستمر في كبح نفسي التي على وشك أن تنزلق، لكن لحسن الحظ لم تفعل.

أتذكرين الفتى الذي ألقي القبض عليَّ بسببه العام الماضي؟ الذي تحدث بالهراء عنكِ؟ حسنًا، أخوه أخيرًا قال شيئًا لي اليوم. كنت أنتظره، أو أي أحد، لأستحضر الأمر منذ اليوم الذي عدت فيه إلى المدرسة.

كان من الجيد إذا واجهني فقط، لكنه لم يفعل. استخدم سكاي وبريكن حتى أنتِ طريقةً للانتقام مني. بدأ بالحديث بهراء عنهما على الغداء، وأردت أن أؤذيه بشدة تمامًا، كما آذيت أخاه. في الحقيقة من المحتمل أنني كنت سأؤذيه بطريقة أسوأ مما آذيت بها أخاه، إذا لم تكن سكاي هناك.

رأت إلى أين يذهب عقلي وعلى الفور شدتني خارج الموقف، أجبرتني على الخروج من غرفة الطعام. عندما ذهبنا إلى سيارتي في موقف السيارات كنت مهزومًا تمامًا أمامها. كأن العام الماضي بأكمله يعيد لكمي في أحشائي وعليَّ فقط أن أخرجه.

أخبرت سكاي بكل ما شعرت به لأول مرة منذ حدث هذا، واعترفت لنفسي بصوت عالٍ أنني كنت المخطئ. واعترفت بأنكِ كنتِ مخطئة. أخبرت سكاي كم كنت غاضبًا منكِ. كم كنت غاضبًا منذ اللحظة التي دخلت عليكِ فيها ووجدتكِ ميتة في سريركِ. كنت غاضبًا منك للغاية ليز، بسبب أشياء كثيرة.

لكن أكثر ما أغضبني هو حقيقة أنكِ لم تفكري أبدًا لمرة ما الذي سيحدث لي عندما أجدكِ. تعرفين أنني سأجدكِ وحقيقة أنكِ تعرفين هذا، ومضيتِ في قتل نفسكِ؟

أكره أنكِ فعلتها على أي حال، لأنكِ تعرفين أنكِ لن تكوني الوحيدة التي ماتت. كنت غاضبًا للغاية لأنكِ جعلتني أموت أيضًا.

سكاي على حق. كان عليَّ أن أتجاوز اللوم. لكن حتى تعرف سكاي الحقيقة، لا أظن أنني سأستطيع أن أغفر لنفسي. لست مستعدًّا لأغفر لكِ.

هـ

الفصل السابع والثلاثون

لم أحضرها إلى بيتي من قبل، رغم أننا نتواعد منذ شهر الآن. قضت هوب الكثير من الوقت في بيتنا عندما كنا صغارًا، لذا أنا قلق أن أمي قد تتعرف إليها وتقول شيئًا عندما تقابلها. لذا حتى تعرف سكاي الحقيقة عن ماضيها، لا أريد أن أجازف باكتشافها هذا من أي أحد آخر غيري.

لا أريد أن تظن سكاي أنني لم أرد أن أجعلها جزءًا من حياتي بعدم السماح لها بالمجيء إلى بيتي أو مقابلة عائلتي، لهذا استغللت الفرصة لأحضرها الليلة بما أنني أعرف أن أمي لن تكون بالبيت. وبرغم أننا وحدنا ونتبادل القبل في السرير، ينتابني شعور سيئ. لم تبدأ الليلة جيدًا والشعور بالذنب من كل شيء حدث هذه الليلة يقبع في مقدمة رأسي، على الرغم من أنني أفضل التركيز على عقلي في هذه اللحظة.

كانت شاردة طوال اليوم، وكان عليَّ أن أعرف أن هذا خطأي نوعًا ما. بعدما تركنا المعرض الفني، حيث ذهبنا لندعم بريكن وصديقه ماكس، بصعوبة تحدثت إليَّ بكلمتين. تساءلت عمَّا إذا كان هذا بسبب الليلة الماضية، وبالتأكيد كان لها علاقة بكل شيء.

بعد حفلة الهالوين الخاصة بأمي في شركة المحاماة أمس، ربما شربت الكثير من الكحول، ذهبت إلى بيت سكاي ودخلت من النافذة. الأمور كانت جيدة ونمنا، لأستيقظ على بكاء سكاي الهيستيري. كانت تبكي وترتجف ولم أرَ أبدًا شخصًا يتفاعل مع كابوس بهذا الشكل. على الإطلاق.

أرعبني هذا، لأنني لم أعرف كيف أساعدها، لكن أيضًا بسبب أنني لم أعرف أين أنا، عندما استيقظت إلى جوارها. كنت أشعر بالثمالة قليلًا، ولم تسعفني ذاكرتي في تذكر أنني تركت بيتي، وتسكعت إلى غرفة نومها.

أرعبني أن أعرف أنني كنت حولها، بينما كنت غير متماسك. أرعبني أنني قد تركت شيئًا من الماضي يتسرب. حضنتها حتى توقفت عن البكاء، ثم رحلت لأنني ما زلت أشعر بآثار الكحول، ولم أرد أن أقول شيئًا يفسد كل الأمور.

لكن من الواضح أنني فعلت، لأننا مبكرًا عندما كنا على الدرج، قالت شيئًا عن هوب. قالت اسمها وفاجأني هذا تمامًا. سحبت مني أنفاسي، وإذا لم أكن أحاول التظاهر بأنني لا أعرف عم تتحدث، كان هذا سيسقطني على ركبتي.

لكني تركتها تشرح نفسها، واتضح أن مخاوفي قد ماتت وأنا حولها، بينما لم أكن متماسكًا تمامًا. من الواضح أنني تمتمت باسم هوب بدلًا من اسم سكاي، وليوم كامل بعدها جعلتها حزينة بسبب ذلك. كانت تفكر أن هوب اسم شخص آخر تمامًا، والتفكير في أنها اعتقدت أنني قد أريد أو أحتاج أو حتى أستمتع بالتفكير في فتاة أخرى، هشم قلبي تمامًا.

حتى الآن، أفعل كل ما أستطيعه لأريها أنها الفتاة الوحيدة التي أفكر بها.

فقط هي.

أقبِّلها وأنا مستند على يدي وركبتي، مُحاولًا تجنب أن أجعلها تشعر أنني جلبتها إلى هنا لشيء آخر غير قضاء الوقت معها.

لكنها ترتدي فستانًا مجددًا.

بعد هاتين الساعتين في قبو دانيال أعتقد أن كلانا كان معجبًا بكيف أن يدي وفستانها أصبحا على معرفة. كنا أيضًا معجبين بكيف أن يدي والثياب تحت فستانها أصبحا على معرفة.

هذا لم يساعد الأمور قبل أن نصل إلى غرفة النوم، كنا نعبث على الدرج وبادرت بحقيقة أنها عذراء. أعرف أنها عذراء، لكن حقيقة أنها كانت تفكر بهذا وأنا أقبِّلها حتى إنها قالتها بصوت عالٍ تقودني لأصدق أنها أرادت أن تحذرني قبل أن نصل إلى هذه النقطة.

وأظن أنها تشعر بأنها تحتاج إلى أن تصفي الأجواء في الدرج، لذا ما كان عليها أن تقولها، إذا كنا وصلنا إلى هذه النقطة.

إلى النقطة التي هي عليها الآن.

النقطة التي أشكر فيها الملائكة والآلهة والطيور والنحل والمسيح لأنها ترتدي هذا الفستان. إذا كان هناك شيء واحد يمكن أن يخفف شعوري بالذنب ويسمح لي بالتركيز عليها وحدها في الوقت الحالي، فهو فستانها.

أقول وأنا أقبّلها بجنون: «تبًّا يا سكاي. يا إلهي تبدين رائعة. شكرًا لارتدائكِ هذا الفستان». أقبّلها من ذقنها حتى تقابل شفتاي عنقها. «حقًا يعجبني. فستانك». أستمر في

تقبيل عنقها وهي تميل برأسها للخلف، سامحة لي بدخول أسهل. أنزل يدي إلى فخذها أريد بإلحاح أن أستمر. لكن حقيقة أنها سمحت لي مرة من قبل لا تعني أنني مسموح لي بهذا الآن.

لكن من الواضح أنه كذلك، لأنها تلف جسدها تجاه جسدي، موجهة يدي لتستمر في الذهاب أينما تشاء. يداها تنقران ظهري بمجرد أن تحيي يدي خط الردف بسروالها. أدخل أصابعي تحت سروالها وأشده في الوقت نفسه الذي تشد فيه قميصي.

تبدأ في شده من رأسي وأنا مجبر على أن أبعد يدي. أعتصرها بقوة، غير راغب في الابتعاد، لكنني متأكد أنني أريدها أن تنزع قميصي بقدر ما ترغب هي.

بمجرد أن أنهض على ركبتي بعيدًا عنها، تئن. الصوت يجعلني أبتسم وبعد أن ينزع قميصي، أنثني للأمام وأقبل طرف شفتيها. أجلب يدي إلى وجهها وبرفق أداعب مفرق شعرها وأنا أشاهدها. أعرف أننا على وشك أن نمر بأهم أول شيء فيها جميعًا، وأريد أن أحتفظ بكل شيء عن هذه اللحظة. أريد أن أتذكر بالضبط كيف تبدو وهي نائمة تحتي. أريد أن أتذكر كيف هو مذاقها، وكيف هو شعورها وكيف أنها...

تقول بلا أنفاس: «هولدر».

أقول مقلدًا إياها: «سكاي». لا أعرف ما ستقوله، لكن أيًّا كان ما هو، يمكنه أن ينتظر لثوان، لأنني أريد أن أقبِّلها مرة أخرى. أدس رأسي وأباعد شفتيها حتى تتلاقى ألسنتنا. نقبِّل بعضنا ببطء بينما أحفظ في ذاكرتي كل إنش من فمها.

تقول مجددًا وهي تبعد عن فمي: «هولدر». تضع يدها على خدي، وتنظر في عيني.

ـ «أريد الليلة. الآن».

قالت الآن، هذا لطيف لأنني ليست لدي أي ارتباطات مسبقة الآن.

أقول راغبًا في التأكد أنها لا تفعل هذا فقط من أجلي: «سكاي. لسنا مضطرين لذلك. أريدك أن تكوني متأكدة تمامًا أن هذا ما تريدينه. لا أريد التعجل في أي شيء».

تبتسم وتداعب ذراعي بأظافرها لفوق وتحت.

ـ «أعرف، لكنني أقول لك إنني أريد هذا. لم أرد هذا مع أي شخص من قبل، لكنني أريده معك».

لا شك أنني أريدها الآن، ومن الواضح أنها تريدني أيضًا. لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بالذنب، لأنني أعرف أنني أخدعها. لم أخبرها بالحقيقة، وأشعر أنها إذا عرفت لن تتخذ هذا القرار.

كنت على وشك أن أبتعد عنها، حتى وضعت يدها على خدي، ورفعت نفسها في السرير حتى لمست شفتاها شفتي.

ـ «إنها أنا لا أقول نعم، إنها أنا أقول أرجوك».

في ماذا كنت أفكر الآن؟ شيء عن الانتظار؟

تبًّا.

شفتانا يتحدان وأتأوه دافعًا إياها على السرير. أسأل غير مصدق نفسي فعلًا: «نحن نفعل هذا حقًّا؟».

تضحك، ثم تقول: «نعم، نحن نفعل هذا بالفعل. ولم أكن متأكدة من شيء في حياتي أكثر من هذا».

يدي تعود لوضعها وأبدأ في إنزال سروالها الداخلي.

تقول: «أريدك فقط أن تعدني بشيء واحد».

أبعد يدي معتقدًا أنها ربما على وشك أن تطلب أن أبطئ قليلًا.

ـ «أي شيء».

تمسك يدي وتعيدها إلى مكانها عند ردفها.

ـ «أريدك أن تفعل هذا، لكن فقط إذا وعدتني أننا سنكسر سجل أفضل مرة أولى في تاريخ المرات الأولى».

ـ «عندما نكون أنا وأنتِ، سكاي، لن يكون شيء آخر».

أنزل ذراعي تحت ظهرها وأشدها. أجعد أصابعي تحت حمالات فستانها، ثم ببطء أنزلهما من ذراعيها. تقبض إحدى يديها على شعري، ضاغطة خدها لخدي بينما شفتاي تقابلان كتفها. ما زالت يداي تمسكان حمالات فستانها.

«سوف أخلعه».

تومئ وتمسك بالقماش الطري من على خصرها وتبدأ في نزعه من رأسها. بمجرد أن تنزعه تمامًا أخفض ظهرها على السرير وتفتح عينيها. أمرر يدي على جسدها من تحت ذراعها وعلى بطنها، حتى أتوقف عند منحنى ردفها.

أدع كل شيء أراه يتخللني لأن هذا أكثر ما أريد أن أتذكره. أريد أن أتذكر بالضبط كيف تبدو مثل في اللحظة التي منحتني فيها قطعة من قلبها.

أهمس ممررًا يدي على جلدها. أنثني وأقبِّلها برفق على بطنها: «تبًّا سكاي، أنتِ رائعة».

أشاهد يدي وهي تنزلق على بطنها لتقابل صدرها. أشاهد إبهامي يختفي تحت حمالة صدرها. بمجرد أن تصبح يدي كلها تحت حمالة صدرها، تلف ساقيها حول خصري. أتأوه وأتمنى في هذه اللحظة لو أن لدي العديد من الأيادي لأنها تريد أن تكون في كل مكان في الوقت نفسه. ولا أريد أن يكون هناك قماش في طريق رحلتها.

أصل للأسفل وأشد سروالها، ثم أنزع حمالة الصدر. أقبِّلها طوال الوقت، حتى عندما أغادر السرير لأنزع بقية ثيابي. أعود معها في السرير. فوقها.

بمجرد أن ألتصق بها يصدمني اكتشاف أنني لم أجرب أو أشعر أي شيء مثلها في حياتي من قبل. هذا ما يجب أن يكون عندما يمر الناس بالأشياء الأولى. وهذا بالضبط ما أشعر به، وهو لا يصدق.

أعبر السرير وأشد واقيًا طبيًّا من منضدة السرير. لم نتوقف عن التقبيل لثانية واحدة، لكنني أريد أن أرى وجهها. أريد أن أرى أنها تريدني داخلها بقدر ما أريد أن أكون داخلها.

أمسك بالواقي مستندًا على ركبتي. أفتحه وقبل أن أضعه أنظر إليها. عيناها مغمضتان بإحكام وحاجباها مسحوبان معًا.

أقول: «سكاي». أريدها أن تفتح عينيها. أريد فقط نظرة أخيرة مطمئنة منها، لكنها تفشل في أن تفتح عينيها. أخفض نفسي فوقها ثانية، مداعبًا خدها. أهمس: «حبيبتي، افتحي عينيك».

شفتاها ترتجفان، وترفع ذراعيها لتعقدهما أمام عينيها. تهمس: «ابتعد عني».

قلبي يسقط، لا أعرف ما الخطأ الذي ارتكبته. لقد فعلت كل ما أستطيع لأفعل هذا بالطريقة الصحيحة، لكن من الواضح أن هناك خطأ في شيء ما ولا أعرف أين. أجلس على

ركبتي، وأبتعد عنها، عندما ينفطر منها بكاء عنيف. تلتف بعيدًا عني، وتحضن ذراعيها لتغطي نفسها. وتصرخ: «أرجوك».

أقول مداعبًا ذراعها: «سكاي، لقد توقفت». تدفع يدي بعيدًا بيدها، وجسدها كله يبدأ في الارتجاف. شفتاها تتحركان وتتكلم من خلف أنفاسها، لكنني لا أستطيع سماع ما تقوله. أميل للأمام لأحاول أن أسمع ما تحاول أن تخبرني به.

ـ «ثمانية وعشرون، تسعة وعشرون، ثلاثون، واحد وثلاثون...»

إنها تعد بتعاقب سريع وتبكي بهيستريا مكومة نفسها ككرة على سريري.

أقول بصوت أعلى محاولًا أن أوقفها: «سكاي». لا أعرف حقًّا ما الخطأ، أو ماذا فعلت، لكن هذه ليست هي وهذا يرعبني. إنها تتعامل كأنني لست هنا، وأحاول أن أشد ذراعها بعيدًا عن عينيها حتى تراني، لكنها تصفع يدي بعيدًا، وهي تبكي بهيستريا.

أصرخ بجنون قائلًا: «تبًّا، سكاي». أرفع ذراعها مجددًا، لكنها تصارعه. لا أعرف ماذا أفعل أو لماذا لا تريد الخروج من هذا، لذا أرفعها للأعلى بين ذراعي وأشدها إلى صدري. ما زالت تعد وتبكي، وأظن أنني على شفا البكاء أيضًا، لأنها تفقد نفسها ولا أعرف كيف أساعدها.

أهزها ذهابًا وجيئة، وأبعد الشعر من على وجهها، محاولًا أن أخرجها من هذا، لكنها فقط تستمر في البكاء. أشد الغطاء للأعلى وألفه حولنا، ثم أقبِّلها على جانب وجهها. أهمس: «أنا آسف»، دون أن أعرف ما الذي أفعله بعد ذلك.

عيناها تنفتحان، وتنظر إليَّ، وهي مستهلكة من الخوف.

ـ «أنا آسف سكاي».

أقول وما زلت لا أعرف ما الخطأ الذي حدث، أو لماذا هي مرعوبة مني الآن.

ـ «أنا آسف».

أستمر في هزها، ولا أزال غير مصدق ما الذي تسبب فيما حدث لها، لكنني لم أرَ عينين مرعوبتين للغاية من قبل، وليست لدي أي فكرة كيف أهدئها.

تصرخ: «ما الذي حدث؟»، ما زالت تنظر إليَّ بعينين مليئتين بالخوف.

هي شاردة تمامًا، ولا تتذكر حقًّا ما فعلته؟

أقول لها وأنا أهز رأسي:

«لا أعرف، أنتِ فقط بدأتِ في العد والبكاء والارتعاش، وأنا استمررت في أن أحاول أن أجعلك تتوقفين يا سكاي. لم تتوقفي، فكنتِ مرعوبة. ماذا فعلت؟ أخبريني، لأنني آسف جدا».

تهز رأسها غير قادرة على الإجابة. يقتلني أنني لا أعرف إن كنت فعلت شيئًا خاطئًا دفعها إلى التقوقع داخل نفسها، وفقدانها للإمساك بالحقيقة.

أغمض عيني بشدة وأضغط جبهتي بجبهتها.

ـ «أنا آسف جدًّا. لم يكن عليَّ أبدًا أن أتمادى إلى هذا الحد. لا أعرف ما الذي حدث حقا، لكنك لست مستعدةً بعد. حسنًا؟»

تومئ، وما زالت تضمني بإحكام، تسأل بخجل: «إذًا لم نفعل... لم نفعلها؟».

قلبي يغرق في صدري، لأنني أدرك بهذه الكلمات أنه مهما حاولت أن أفعل لأحميها، هناك شيء يمزقها. لقد غابت تمامًا مثلما لم أرَ من قبل، ولا يوجد شيء في قوتي أستطيع أن أفعله لأوقف هذا الشيء. أضع يدي على خديها.

ـ «أين ذهبتِ يا سكاي؟»

تنظر إليَّ بارتباك وتهز رأسها.

ـ «أنا هنا، أسمعك».

ـ «لا، أقصد قبل ذلك. أين ذهبتِ؟ لم تكوني هنا معي، لأنه لا شيء حدث. رأيت على وجهك أن هناك شيئًا خطأ، لذا لم أفعل. لكن الآن يجب أن تفكري طويلًا وبصعوبة في أين كنت داخل رأسكِ، لأنك كنتِ مذعورة وهيستيرية. وأريد أن أعرف ما الذي أخذكِ هناك حتى أتأكد أنكِ لن تعودي لهذا مرة أخرى».

أضمها بإحكام، ثم أقبل جبينها. أعرف أنها ربما تحتاج أن تسترجع نفسها الآن، لذا أقف وأرتدي ملابسي، ثم أساعدها في ارتداء فستانها ثانية.

ـ «سأذهب لأحضر لكِ بعض الماء. سأعود فورًا».

أميل إلى الأمام غير متأكد، إذا كانت حتى تريدني بجانبها الآن، لكنني أقبلها على شفتيها لأطمئنها.

أخرج من غرفتي، وأتجه أسفل الدرج إلى المطبخ. بمجرد أن يلمس مرفقاي منضدة المطبخ، أدفن وجهي بين ذراعي، وأحشد كل ذرة من الشجاعة داخلي لأمنع نفسي من الانهيار. أستنشق أنفاسًا عميقة، وأزفر أنفاسًا أكبر، آملًا أن أستطيع أن أبقى قويًّا من أجلها. لكن رؤيتها بهذا العجز، وأنا أعرف أنه لا شيء أستطيع أن أفعله لأساعدها؟ إنها أكبر خيبة أمل شعرت بها في نفسي.

الفصل الثامن والثلاثون

ما زلت مستندًا إلى منضدة المطبخ، ورأسي بين يدي، عندما سمعت صوت باب يغلق أعلى الدرج. لقد كنت هنا في الأسفل لعدة دقائق الآن، ولا أريدها أن تظن أنني أحاول تجنبها، لذا أتجه أعلى الدرج، وأبحث في غرفة النوم والحمام، لكنها ليست بأي منهما. أنظر إلى باب غرفة ليز، وأتوقف قبل أن أصل وأدير مقبض الباب.

إنها تجلس على سرير ليز وتمسك بصورة. أسألها: «ماذا تفعلين؟». لا أعرف لماذا هي هنا، لا أريد أن أكون هنا، وأريدها أن تعود إلى غرفتي معي.

تقول بهدوء: «كنت أبحث عن الحمام. أنا آسفة، كنت فقط أحتاج لثانية».

أومئ، وأنظر حول الغرفة، لم تطأها قدمي منذ اليوم الذي وجدت فيه الدفتر. بنطالها الجينز ما زال في منتصف الغرفة، تمامًا كما تركته.

ـ «لم يأتِ أحد إلى هنا منذ أن...»

أقاطعها حتى لا تكمل الجملة: «لا. وما فائدة هذا؟ لقد رحلت».

تومئ، ثم تعيد الصورة إلى منضدة السرير.

ـ «هل كانت تواعده؟»

يربكني سؤالها لثانية، ثم أدرك أنها بالتأكيد رأت صورة لليز وجرايسون معًا، لم أخبرها أبدًا أنهما تواعدا، وكان يجب أن أخبرها.

أدخل الغرفة لأول مرة منذ أكثر من عام. أذهب إلى السرير وأجلس إلى جوارها. ببطء أتفحص الغرفة، متعجبًا لماذا ظننا أنا وأمي أنها ستكون فكرة جيدة أن نغلق الباب فقط بعد وفاتها، عوضًا عن التخلص من أشيائها. أخمن أن أيًّا منا لم يكن مستعدًّا ليتخطاها بعد.

أرمق سكاي، وهي لا تزال تنظر إلى إطار الصورة على منضدة سرير ليز. ألف ذراعي حول كتفيها وأضمها إليَّ، وتضع يدها على صدري، وتقبض على قميصي.

أقول لأمنحها بعض التوضيح: «انفصل عنها في الليلة التي كانت قبل أن تفعلها». لا أريد حقا أن أتحدث حول ذلك، لكن الشيء الوحيد المتبقي للحديث عنه، هو ما حدث في

سريري، وأعرف أن سكاي تحتاج إلى المزيد من الوقت قبل أن تتحدث عنه.

ـ «هل تعتقد أنه السبب أنها فعلت هذا؟ هل هذا سبب أنك تكرهه؟»

أهز رأسي.

ـ «كرهته قبل أن ينفصل عنها. وضعها في الكثير من المواقف السيئة يا سكاي. ولا أظن أنه سبب ما فعلته. ربما كان عاملًا في اتخاذ القرار الذي أرادته قبل مدة طويلة. كانت لديها مشكلات من قبل أن يظهر جرايسون في الصورة، لذا لا ألومه، ولن أفعل».

أمسك بيدها وأقف لأنني لا أريد أن أتحدث عن هذا. اعتقدت أنني أستطيع لكنني لا أستطيع.

ـ «تعالي. لا أريد أن أبقى هنا أكثر من ذلك».

أمسك بيدها، وأقف ثم أتجه إلى الباب، وتنزع يدها وتحررها، عندما نصل إلى الباب، لذا أستدير. إنها تحدق في صورة لي وليز عندما كنا صغارًا.

تبتسم للصورة لكن نبضي يتسارع فورًا، عندما أدرك أنها تراني أنا وليز ونحن أطفال. إنها ترانا بالصورة التي اعتادت أن تعرفنا بها، لا أريدها أن تتذكر. إذا كانت ستستعيد أقل ذكريات الآن، ربما ستبدأ في طرح الأسئلة. آخر شيء تحتاج إليه بعد الانكسار الذي مرت به، هو أن تجد الحقيقة.

تغمض عينيها لثوانٍ، والنظرة على وجهها تجعل نبضي يتصاعد. أسألها محاولًا أن آخذ الصورة من يديها: «أنتِ بخير؟». على الفور تخطفها، وتنظر إليَّ. إنها أول علامة للتذكر رأيتها من قبل على وجهها، وهذا يجعلني أشعر بأن جسدي كله يذبل.

أحاول أن أقترب منها خطوة، لكنها تعود خطوة إلى الخلف فورًا. تستمر في النظر إلى الصورة، ثم إليَّ، وأنا فقط أريد أن أمسك بالإطار، وألقي الصورة في الغرفة، وأخرج سكاي من هنا، لكن لدي شعورًا أنه فات الأوان.

ترتفع يدها إلى فمها وتخنق البكاء. تنظر إليَّ كأنها تريد أن تقول شيئًا، لكنها لا تستطيع الكلام.

أهمس: «سكاي، لا».

تقول بصوت لا يكاد يسمع، ناظرة إلى الصورة: «كيف؟ هناك أرجوحة وبئر وقطتك. لقد علقت بالبئر. هولدر، أنا أعرف غرفة المعيشة هذه. غرفة المعيشة خضراء والمطبخ لديه سطح مرتفع جداً علينا. أمك اسمها بيث». يتوقف سيل كلماتها، وتنظر إلى عيني. تقول محاولة التنفس: «هولدر، هل بيث هو اسم أمك؟».

لا ليس الليلة، هي لا تحتاج إلى هذا الليلة.

ـ «سكاي..»

تنظر إليَّ بقلب مفطور، وتسرع من جواري، وتتخطى الصالة إلى الحمام، حيث تغلق الباب خلفها. أتبعها وأحاول أن أفتح الباب، لكنها تغلقه بالقفل.

ـ «سكاي افتحي الباب من فضلكِ».

لا شيء، لا تفتح الباب، ولا تقول شيئًا.

ـ «حبيبتي أرجوكِ، نحتاج إلى أن نتحدث، ولا أستطيع أن أفعل ذلك من الخارج، أرجوك افتحي الباب».

لحظة أخرى تمر دون أن تفتح الباب. أمسك أطراف إطار الباب وأنتظر. فات أوان التراجع الآن، وكل ما أستطيع فعله هو أن أنتظر حتى تصبح مستعدة لسماع الحقيقة. ينفتح الباب وهي تنظر إليَّ، عيناها مليئتان بالغضب بدلًا من الخوف.

تقول بصوت بالكاد يفوق الهمس: «من هي هوب؟».

كيف أقولها؟ كيف أخبرها بإجابة هذا السؤال، لأنني بمجرد أن أفعل، أعرف أنه سيكون عليَّ أن أشاهد عالمها ينهار بالكامل حولها.

تقول بصوت أعلى هذه المرة: «من هي هوب حقًّا؟».

لا أستطيع أن أخبرها، فسوف تكرهني، وهذا قد يدمرني. عيناها مليئتان بالدموع. تسألني: «إنها أنا؟»، وصوتها بالكاد يسمع.

ـ «هولدر، هل أنا هوب؟»

يغادر نفس سريع رئتي، وأستطيع أن أشعر بالدموع التي تتبعه. أنظر إلى السقف محاولًا أن أمسك الدموع، وأغمض عيني وأضغط جبهتي على ذراعي، مستنشقًا نفسًا سيغلف الصوت الذي سيطلق الكلمة الواحدة التي ستدمرها ثانية.

ـ «نعم».

عيناها تتسعان، وهي تقف هناك تهز رأسها ببطء. لا أستطيع حتى تخيل ما الذي يدور في رأسها الآن.

فجأة تندفع من جواري خارج الصالة. أصرخ: «سكاي، انتظري»، بينما هي تنزل الدرجات، اثنتان في المرة الواحدة. أسرع خلفها محاولًا أن أمسك بها قبل أن ترحل، وبمجرد أن تخطو آخر سلمة، تتكوم على الأرض.

ـ «سكاي».

أنزل على ركبتي وآخذها بين ذراعي، لكنها تدفعني. لا أستطيع أن أدعها تركض، وتحتاج إلى أن تعرف باقي الحقيقة قبل أن ترحل من هنا.

تقول وهي تتنفس: «أريد أن أخرج. أرجوك يا هولدر». أعرف ما هو الشعور بالاحتياج للهواء بشدة. أحررها من قبضتي، وأنظر إلى عينيها.

ـ «لا تركضي سكاي. اذهبي إلى الخارج، لكن أرجوكِ لا ترحلي. نحتاج إلى أن نتحدث».

تومئ، وأساعدها في الوقوف. تسير إلى الخارج ثم إلى الحديقة الأمامية، حيث تميل رأسها إلى الخلف، وتحدق في النجوم.

تحدق في السماء.

أشاهدها طوال الوقت، لا أريد شيئًا أكثر من أن أضمها، لكنني أعرف أن هذا آخر ما تريده الآن، وتعرف أنني كنت أكذب عليها، ولها كل الحق في أن تكرهني.

بعد مدة، تستدير أخيرًا، وتعود إلى الداخل. تمر من جواري دون أن تنظر إليَّ، تسير مباشرة إلى المطبخ. تأخذ زجاجة مياه من المثلج وتفتحها، ثم تشرب جرعات عدة قبل أن تنظر إليَّ أخيرا.

ـ «أعدني إلى البيت».

سوف أخرجها من البيت، لكنني لن أعيدها إلى بيتها.

***

نحن في المطار الآن، ولم أستطع التفكير في مكان آخر هادئ لآخذها إليه، ورفضت أن آخذها إلى البيت، حتى سألتني عن كل شيء تحتاج إلى أن تسأل عنه.

الشيء الوحيد الذي سألتني عنه بصدق في الطريق إلى هنا، كان لماذا حصلت على هذا الوشم، أخبرتها الشيء نفسه الذي أخبرتها به في المرة الأخيرة التي سألتني فيها عنه، لكن أظن أنها فهمت في هذه المرة فقط.

أسألها: «هل أنتِ مستعدة للإجابات؟». كنا نشاهد النجوم في صمت لعدة دقائق الآن. أحاول أن أمنحها الفرصة لتهدأ، وتفرغ رأسها.

تقول والغضب يملأ صوتها: «أنا مستعدة إذا كنت حقًّا ستخطط لأن تكون صادقًا هذه المرة».

أستدير لأواجهها، والألم في عينيها بارز كالنجوم في السماء، أرتفع مستندًا إلى مرفقي، وأنظر إليها.

منذ قليل فقط، كنت أنظر إليها بالطريقة نفسها، محتفظًا في ذاكرتي بكل شيء عنها. عندما كنا في هذه اللحظة على سريري كنت أنظر إليها وكلي أمل. شعرت كأنها لي وأنا لها، وأن هذه اللحظة وهذا الشعور سيدومان للأبد. لكن الآن بالنظر إليها، أشعر أن كل شيء على وشك أن ينتهي.

أنزل يدي على وجهها وألمسها.

ـ «أحتاج إلى أن أقبِّلك».

تهز رأسها، تقول بحزم: «لا».

أشعر أن الليلة هي نهايتنا، وأنها إذا لم تجعلني أقبِّلها مرة واحدة سيقتلني هذا. أقول مجددًا: «أحتاج إلى أن أقبِّلك. أرجوكِ سكاي. أنا خائف من أنني عندما أقول لكِ ما أنا على وشك قوله، لن أستطع تقبيلكِ ثانية». أمسك وجهها بقوة وأشدها بقربي، وأقول: «أرجوكِ».

عيناها تبحثان عن عيني بيأس، ربما لترى إذا كان هناك شيء من الصدق خلف كلماتي. لا تقول شيئًا. بالكاد تومئ وهذا يكفي. أخفض رأسي، وأضغط شفتي بقوة لشفتيها. تمسك ذراعي بيدها، وتباعد بين شفتيها، سامحةً لي بأن أقبِّلها بحميمية أكبر.

نستمر في تقبيل بعضنا بعضًا لدقائق، لأنني لا أعرف إذا كان أي منا يريد أن يواجه الحقيقة بعد. أرتفع على ركبتي دون أن أنقطع عنها وأصعد فوقها. تمرر يدها خلال شعري وحتى وراء رأسي، تقترب مني وتحثني على الاقتراب.

تبدأ في شد قميصي بقبضتيها، بينما صرخة تتحرر من حلقها. أحرك شفتي على خدها وأقبلها برفق، ثم أنزل بفمي على أذنها. أهمس وأنا أضمها بيدي الحرة: «آسف للغاية. لم أكن أريدكِ أن تعرفي».

تدفعني بعيدًا عنها، ثم تجلس، وتشد ركبتيها إلى صدرها، وتدفن رأسها بينهما.

ـ «أريدك فقط أن تتحدث يا هولدر. سألتك عن كل شيء يمكن أن أسألك إياه في الطريق إلى هنا. أحتاج إلى أن تجيبني حتى أستطيع أن أعود إلى البيت».

تقول وتبدو متعبة ومنهكة، وأداعب شعرها وأمنحها الإجابات التي تريدها.

ـ «لم أكن متأكدًا أنكِ هوب عندما رأيتك لأول مرة. كنت معتادًا أن أراها في كل غريب في عمرنا، لقد يئست من أن أجدها قبل سنوات. لكن عندما رأيتكِ في المتجر ونظرت في عينيك، أتاني شعور بأنكِ حقًا هي. عندما أريتني بطاقتكِ التعريفية وأدركت أنكِ لست هي، شعرت بالسخافة. لقد كان بمثابة الإنذار الذي أحتاج إليه لأجعل ذكراها تتركني أخيرًا.

ـ عشنا في البيت المقابل لكما ـ أنتِ وأبيكِ ـ لمدة عام. أنت وأنا وليز.. كنا جميعًا أفضل أصدقاء. من الصعب تذكر وجوهنا منذ ذلك الوقت الطويل، ومع ذلك اعتقدت أنكِ هوب، لكنني أيضًا اعتقدت أنكِ إذا كنتِ حقًّا هي، فلن أشك في ذلك. ظننت أنني إذا رأيتها مجددًا، سوف أعرفها بالتأكيد.

ـ عندما غادرت متجر البقالة في هذا اليوم، بحثت عبر الإنترنت فورًا عن الاسم الذي أعطيتني إياه. لم أجد أي شيء عنكِ ولا حتى على فيسبوك. بحثت لمدة ساعة كاملة، ثم أصبحت محبطًا، وذهبت للركض لأهدأ. عندما لففت في الزاوية، ورأيتكِ تقفين أمام بيتي، لم أستطع التنفس. لقد كنتِ تقفين هناك، منهكة ومستهلكة من الركض، لقد كنتِ جميلة للغاية. ما زلت غير متأكد إن كنتِ هوب أم لا، لكن في هذه اللحظة لم يكن هذا يخطر ببالي. لم أهتم من تكوني، أردت فقط أن أعرفك.

ـ بعد قضاء وقت معكِ في هذا الأسبوع، لم أستطع أن أمنع نفسي من الذهاب إلى بيتكِ في ليلة الجمعة. لم أظهر بنية التنقيب عن ماضيكِ أو حتى بأمل أن يحدث شيء بيننا. ذهبت إلى بيتكِ لأنني أردت أن تعرفي هولدر الحقيقي، وليس الذي سمعتِ عنه من أي شخص آخر. بعد قضاء وقت أكثر معكِ هذه الليلة، لم أستطع أن أفكر في شيء آخر غير اكتشاف كيف يمكن أن أقضي معكِ وقتًا أكثر. لم أقابل أبدًا من خطفني بالطريقة التي خطفتني بها. وما زلت أتساءل هل هذا ممكن... إن كنتِ هي، كان لدي فضول، خاصة بعد أن أخبرتني أنكِ متبناة، لكن مرة أخرى، اعتقدت أنها صدفة.

ـ لكن عندما رأيت السوار..»

أحتاج إلى أن أنظر في عينيها، لذا أرفع ذقنها وأجعلها تنظر إليَّ.

ـ «قلبي تحطم سكاي. لم أرد أن تكوني هي. أردت أن تقولي لي إنكِ حصلتِ على السوار من صديقة لكِ، أو وجدته، أو اشتريته. بعد كل السنوات التي قضيتها أبحث عنكِ في كل وجه نظرت إليه، أخيرًا وجدتكِ... أصبحت مُدمرًا».

بمجرد أن قلت الكلمة ندمت عليها، لأنني أعرف أنها لم تكن حقيقية. كنت غاضبًا ومثقلًا، لكنني لا أعرف حتى معنى مدمر. أتنهد وأنهي اعترافي.

ـ «لم أرد أن تكوني أنتِ هوب. أردتكِ أن تكوني أنتِ فحسب».

تهز رأسها، وتقول: «لكن لماذا لم تخبرني؟ كم كان صعبًا أن تعترف أننا كنا نعرف بعضنا بعضا؟ لم أفهم لماذا كذبت بشأن هذا؟».

يا الله هذا صعب للغاية.

ـ «ماذا تتذكرين عن تبنيكِ؟»

تقول وهي تهز رأسها:

«ليس الكثير، أعرف أنني كنت في دار رعاية، بعد أن تخلى عني أبي. أعرف أن كارين تبنتني، وانتقلت هنا من ولاية أخرى، عندما كنت في الخامسة. غير هذا ذكريات قليلة وغريبة، لا أعرف أي شيء».

لم تفهم هذا. هذا ليس ما تتذكره على الإطلاق. هذا ما قيل لها. أتحرك من مكاني جوارها، وأجلس مباشرة أمامها مواجهًا لها. أمسك أكتافها.

ـ «هذا كل ما أخبرتكِ به كارين. أريد أن أعرف ما تتذكرينه أنتِ. ماذا تتذكرين سكاي؟»
تشيح بعينيها محاولة أن تفكر. عندما لا تجد شيئًا تعاود النظر إليَّ.

ـ «لا شيء. الذكريات الأولى التي لدي كانت مع كارين. الشيء الوحيد الذي أتذكره من قبل كارين كان السوار، لكن هذا فقط لأنني ما زلت أملكه، والذكرى التصقت بي، ولم أكن حتى متأكدة من أهداني به».

ألمس جبينها بشفتي، وأعلم أن الكلمات التي سأقولها قد لا تكون مرغوبة منها. أشعر بأنها تدرك مدى ألمي، تلف ذراعيها حول عنقي وتجلس بجواري، تضمني بقوة. ولم أفهم تمامًا سبب رغبتها في تهدئتي الآن.

تهمس: «أخبرني فقط، قل لي ما تمنيت ألا تضطر أن تقوله لي».

أخفض رأسي، وأغمض عيني بشدة. تظن أنها تريد أن تعرف الحقيقة، لكنها ليست كذلك. إذا كانت تستطيع أن تشعر ما على وشك أن تفعله بها الحقيقة، لم تكن لترغب بأن تعرف.

ـ «أخبرني يا هولدر».

أتنهد ثم أبتعد عنها.

ـ «في اليوم الذي أعطتكِ فيه ليز هذا السوار، كنتِ تبكين. أتذكر كل تفصيلة كأنها حدثت أمس. كنتِ تجلسين في الحديقة المقابلة لمنزلكِ. جلست أنا وليز معكِ لمدة طويلة، لكنك لم تتوقفي عن البكاء. بعد أن أعطتكِ السوار عادت إلى منزلنا، لكنني لم أستطع. شعرت بالسوء من تركك هناك، لأنني فكَّرت أنكِ غاضبة من أبيكِ ثانية. كنتِ دائمًا تبكين بسببه، وجعلني هذا أكرهه. لا أتذكر أي شيء عنه، غير أنني كرهت حتى أحشاءه لما جعلكِ تشعرين به. كنت فقط في السادسة، لذا، لم أعرف أبدًا ماذا عليَّ أن أقول لكِ، عندما بكيتِ، أظن أنني في هذا اليوم قُلت شيئًا مثل: "لا تقلقي..."».

تقول مُنهية جملتي: «لن يعيش إلى الأبد. أتذكر هذا اليوم. ليز تهديني السوار، وأنت تقول إنه لن يعيش إلى الأبد. هذان هما الشيئان اللذان تذكرتهما طوال الوقت. أنا فقط لم أعرف أنه أنت».

ـ «نعم، هذا ما قلته لكِ. فعلت شيئًا ندمت عليه كل يوم من حياتي بعد ذلك».

تقول وهي تهز رأسها: «هولدر، لم تفعل أي شيء، أنت مشيت فقط».

أومئ: «بالضبط، مشيت إلى حديقة بيتي حتى وأنا أعرف أنه كان عليَّ أن أجلس جواركِ على العشب. وقفت في الحديقة الأمامية ورأيتكِ وأنتِ تبكين على ذراعيكِ، بينما كان يجب أن تبكي على ذراعي. وقفت هناك فقط، وشاهدت السيارة التي كبحت الفرامل ورأيت نافذة باب الركاب، وهي تنزلق للأسفل، وسمعت أحدًا ينادي باسمك. ورأيتكِ تنظرين إلى السيارة، وتمسحين عينيكِ. وقفتِ، ثم سرتِ إلى السيارة. رأيتكِ تركبين بالداخل، وعرفت أنني مهما كان يحدث لم يكن عليَّ أن أقف هناك. لكن كل ما فعلته هو المشاهدة، عندما كان يجب أن أكون معكِ. ما كان هذا ليحدث، إذا بقيت هناك معكِ».

تأخذ نفسًا عميقًا: وتقول: «ما الذي ما كان ليحدث؟».

أمسك فكها بإبهامي وأنظر إليها بهدوء وأطمئنها بقدر ما أستطيع، لأنني أعرف أنها ستكون بحاجة إليها.

ـ «خطفوكِ. أيًّا كان من في السيارة، خطفوكِ من أبيكِ ومنِّي، من ليز. لقد فُقدتِ لثلاثة عشر عامًا يا هوب».

الفصل التاسع والثلاثون، الفصل التاسع والثلاثون ونصف، الفصل التاسع والثلاثون وثلاثة أرباع

تغمض عينيها وتريح رأسها على كتفي. وتضيق قبضتها حولي، فأفعل المثل في المقابل. أنتظر أن تستوعب الأمر، وأنتظر دموعها، وأنتظر قلبها المحطم، لأنني أعرف أن هذا ما سيأتي.

نجلس في صمت لدقائق عديدة، لكن الدموع لا تأتي أبدًا. أبدأ في التساؤل إذا كان ما قلته للتو لها قد وصل إليها. أتوسل: «قولي شيئًا».

لا تصدر صوتًا، ولا تتحرك حتى، ويجعلني عدم ردها أبدأ في القلق، لذا أضع يدي خلف رأسها، وأقترب برأسي منه.

ـ «أرجوكِ قولي شيئًا».

ترفع رأسها ببطء بعيدًا عن كتفها، وتنظر إلي بعينين جافتين.

ـ «لقد ناديتني هوب. لا تناديني بهذا. إنه ليس اسمي».

لم أدرك حتى أنني فعلت ذلك.

ـ «أنا آسف سكاي».

أصبحت عيناها باردتين، تبتعد عني، ثم تقف، وتقول: «لا تنادني بهذا أيضًا».

أقف وأمسك بكلتا يديها، لكنها تبعد وتستدير تجاه السيارة. لم أفكّر حقًّا ماذا أقول أو أفعل بعد أن عرفت أخيرًا الحقيقة مني. أنا لست مستعدًّا على الإطلاق لما سيأتي بعد ذلك.

تقول مستمرة في السير بعيدًا: «أحتاج إلى استراحة بين الفصول». أقول وأنا أتبعها: «لا أعرف حتى ماذا تعنين». أيًّا كان ما تريده فهو أكثر من استراحة فصول. إنها تحتاج إلى استراحة فصول، ولا أستطيع تخيل كم هي مرتبكة الآن.

تستمر في السير بعيدًا فأمسك بذراعها، لكنها على الفور ترتعش وتبعد عني. تدور حول نفسها، وعيناها تتسعان من الخوف والارتباك. تبدأ في أخذ أنفاس عميقة كأنها تحاول أن تمنع نوبة ذعر. لا أعرف ماذا أقول لها، وأعرف أنها لا تريدني أن ألمسها مرة أخرى.

تتخذ خطوات عدة للأمام، وتصل إليَّ، وتمسك بوجهي، وهي واقفة على أطراف أصابعها. تقبلني بقوة بيأس، لكنني لا أجد أنني يمكن أن أقبلها في المقابل. أعرف أنها فقط مرعوبة ومرتبكة الآن، وأنها تفعل ما تستطيع فعله أيًّا كان حتى لا تفكر بالأمر.

تبتعد عن فمي، عندما تدرك أنني لا أقبِّلها، ثم تصفعني. ما تمر به الآن على الأغلب صادم وعاطفي أكثر مما قد يمر به شخص في حياته، موت مختصر.

أحاول تذكر هذا وهي تصفعني مرة أخرى، ثم تدفعني في صدري. يتملكها الذعر تمامًا، وهي تصرخ وتضربني والشيء الوحيد الذي يمكن أن أفعله هو أن أديرها وأقربها من صدري. ألف ذراعي حولها من الخلف وأضغط شفتي على أذنها. أهمس: «تنفسي. اهدئي سكاي. أعرف أنكِ مصدومة وخائفة، لكنني هنا، تنفسي فقط».

أضمها لدقائق لأجعل الوقت يلملم أفكارها. أعرف أن لديها أسئلة. أحتاج فقط أن يصل عقلها للنقطة التي يستطيع فيها أن يتعامل مع كل الإجابات.

تسألني بعد أن تبتعد عني: «هل كنت ستخبرني من أنا؟ ماذا لو لم أتذكر أبدًا؟ هل كنت ستخبرني أصلًا؟ هل كنت خائفًا من أن أتركك، وألا تجد الفرصة لتخدعني؟ هل كنت تكذب علي طوال الوقت؟ بسبب هذا».

كانت جميع الأسئلة التي تسألها تُشكل مخاوفي الكبرى. كنت خائفًا للغاية ألا تفهم أسبابي في عدم إخبارها.

ـ «لا، الأمر لم يكن هكذا، الأمر ليس هكذا. لم أخبرك لأنني خفت مما سيحدث لكِ. إذا أبلغت الشرطة عن الأمر، سيأخذونكِ من كارين. ومن المحتمل أن يلقوا القبض عليها، ويرسلونك لتعيشي مع أبيكِ حتى تبلغي الثامنة عشرة. هل تريدين لهذا أن يحدث؟ أنتِ تحبين كارين وأنتِ سعيدة هنا. لا أريد أن أفسد عليكِ هذا».

تهز رأسها وتضحك ضحكة محبطة، وتقول: «أولًا، لن يضعوا كارين في السجن لأنني متأكدة أنها لا تعرف شيئًا عن هذا. ثانيًا، أتممت الثامنة عشرة في سبتمبر. إذا كان عمري هو السبب في أنكِ لم تكن صادقًا معي، فكان يجب أن تخبرني الآن».

أنظر إلى الأرض لأنه من الصعب للغاية أن أنظر إليها في عينيها.

أقول: «سكاي، هناك الكثير الذي يجب أن أشرحه لكِ».

ـ «عيد ميلادكِ ليس في سبتمبر. عيد ميلادكِ 7 مايو. لن تتمي الثامنة عشرة قبل ستة أشهر».

أقترب منها وأمسك بكلتا يديها.

ـ «لا بد أنها تعرف سكاي، فكري في الأمر. من غير كارين يمكن أن يفعل هذا؟»

بمجرد أن أقول هذا تسحب يديها من يدي، وتتراجع خطوات إلى الوراء كأنني أهنتها للتو.

تقول وهي تهز رأسها في عدم تصديق: «أعدني إلى البيت. لا أريد أن أسمع أو أعرف أي شيء آخر الليلة».

أمسك بيدها ثانية، وتسحبهما بعيدًا.

ـ «أعدني إلى البيت».

***

وقفنا بالسيارة في طريقها الخاص وجلسنا صامتين في سيارتها. في أثناء الطريق إلى بيتها جعلتها تعدني ألا تقول شيئًا لكارين. تخبرني أنها لن تقول أي شيء حتى نتحدث مجددًا غدا، لكنني ما زلت لا تعجبني فكرة أن أتركها هنا في هذه الحالة التي هي عليها.

تخرج من الباب لكنني أمسك بيدها، وأقول: «انتظري»، ثم تتوقف، وأضيف: «هل ستكونين بخير الليلة؟».

تتنهد وتجلس ثانية على كرسي الراكب، وتقول بصوت مهزوم: «كيف يحتمل أن أكون بخير بعد الليلة؟».

أدس شعرها خلف أذنها. لا أريد أن أتركها. أريد أن أطمئنها أنني لن أذهب بعيدًا عنها هذه المرة. أقول: «إنه ليقتلني أن أدعكِ تذهبين هكذا. لا أريد أن أتركِكِ وحدكِ، هل يمكن أن آتي بعد ساعة؟».

تهز رأسها بلا، وتقول بضعف: «لا أستطيع، من الصعب للغاية أن أبقى بالقرب منك الآن. أحتاج فقط إلى أن أفكِّر. سأراك غدًا».

أومئ، ثم أسحب يدي، وأضعها على عجلة القيادة. بقدر ما يؤلمني هذا، لكنني أحتاج إلى أن أمنحها ما تريده الآن. أعرف أنها تحتاج إلى الوقت لتستوعب كل شيء يجري في عقلها. أعتقد أنني أحتاج إلى الوقت لأستوعب أنا أيضًا.

الفصل الأربعون

ليز،

لقد عرفت. ولا أصدق أنني أنزلتها في بيتها وتركتها. لا أهتم إذا كانت لا تريدني أن أبقى بجانبها الآن. لا مجال حقًّا لأتركها وحدها فقط. أتمنى لو أنك كنتِ هنا الآن، لأنني لا أعرف ماذا أفعل حقًّا.

هـ

أسرع عندما أسمعها تصرخ بجانبي على سريرها، وتلهث من أجل نفس.

إنه كابوس آخر.

تقول: «ماذا تفعل هنا؟».

أنظر إلى ساعتي، ثم أفرك عيني. أحاول أن أفرز كل ما كان حقيقيًّا في الساعات القليلة الماضية، وكل ما كان حلمًا.

للأسف كله كان حقيقة.

أضع يدي على ساقها، وأسرع إلى قربها، وعيناها مرعوبتان.

- «لم أستطع أن أترككِ. أردت فقط أن أتأكد أنكِ بخير».

أضع يدي على عنقها ونبضها يخفق في كفي.

- «أنتِ خائفة».

تنظر إليَّ بعينين متسعتين، وصدرها يرتفع والخوف النابع منها يكسرني. تجلب يدها إلى يدي وتعتصرها، وتقول: «هولدر... أنا أتذكر».

على الفور أستدير لأواجهها وأجبر عينيها على النظر إلي. أسألها متوترًا من إجابتها: «ماذا تذكرت؟».

تبدأ في هز رأسها، ولا تريد أن تقولها. أحتاج إلى أن تقولها رغم ذلك. أريد أن أعرف ما تتذكره. أومئ برأسي، مُقنعًا إياها بصمت أن تكمل. تأخذ نفسًا عميقًا.

- «كانت كارين في السيارة، لقد فعلتها، هي مَن خطفتني».

هذا بالضبط ما أردتها أن تشعر به. أحضنها، وأقول: «أعرف يا حبيبتي، أعرف».

تمسك بقميصي، وأحكم قبضتي عليها، لكنني أدفعها بمجرد أن ينفتح باب غرفة نومها.

تقول كارين وهي تشاهدنا من عتبة الباب: «سكاي».

تنظر كارين إليَّ محاولة فهم لماذا أنا هنا، وتعود إلى سكاي، وتقول: «ماذا تفعلين يا سكاي؟».

تستدير سكاي وتنظر إليَّ بخيبة أمل في عينيها. تتوسل بهمس: «أخرجني من هنا، أرجوك».

أومئ ثم أقف وأذهب إلى الدولاب. لا أعرف إلى أين تريد أن تذهب، لكنني أعرف أنها تحتاج إلى ثياب. أجد حقيبة قماشية في الرف العلوي، ثم أضعها على سريرها.

ـ «ألقي بها بعض الثياب. سوف أجلب ما تحتاجينه من الحمَّام».

تومئ وتتجه إلى دولابها، بينما أتجه إلى حمامها لألتقط أي شيء آخر قد تحتاج إليه. تتوسل كارين إليها ألا تغادر. عندما تمتلئ يداي أخرج من الحمام، وأجد يد كارين على كتف سكاي.

ـ «ماذا تفعلين؟ ما خطبكِ؟ لن تغادري معه».

أسير حول كارين، وأحاول أن أبقى هادئًا بقدر الإمكان من أجلنا جميعًا.

ـ «كارين، أقترح أن تدعيها تذهب».

تستدير كارين لتواجهني مصدومة من كلماتي.

ـ «أنت لن تأخذها. إذا كنت ستخرج من هذا البيت معها، سوف أبلغ الشرطة».

لا أقول شيئًا، لست متأكدًا أن سكاي تريد كارين أن تعرف أنها عرفت الحقيقة، لذا أفعل ما بوسعي لأتجنب قول ما أريد أن أقوله لكارين من اللحظة التي أدركت فيها أنها المسؤولة. أغلق الحقيبة القماشية وأمسك بيد سكاي.

ـ «هل أنتِ جاهزة؟»

تومئ.

تصرخ كارين: «هذه ليست مزحة. سوف أتصل بالشرطة. ليس لديك الحق بأن تأخذها».

تصل سكاي إلى جيبي وتشد هاتفي المحمول، ثم تتقدم خطوة من كارين، وتقول: «هيا اتصلي بهم».

إنها تختبر كارين، وتأمل أن تستطيع أن تثبت أن كارين بريئة من كل هذا. ما تفعله يجعل قلبي يتحطم من أجلها، لأنني أعرف أن كارين ليست بريئة. يبدو أن هذا سينتهي بطريقة سيئة.

ترفض كارين أن تأخذ الهاتف، تمسك سكاي بيدها، وتضع الهاتف في كفها.

- «اتصلي بهم. اتصلي بالشرطة، أمي أرجوكِ».

يتباعد حاجبا سكاي، وهي تتوسل بإحباط لمرة أخيرة، وتهمس: «أرجوكِ».

لا أستطيع أن أرى سكاي تتحمل هذا لثانية أخرى، لذا أمسك بيدها وأقودها إلى النافذة، ثم أساعدها في الخروج منها.

الفصل الواحد والأربعون

أرفع رأسي عن الوسادة، وأغطي عيني. شمس الظهيرة ساطعة جدًّا، هذا مؤلم. أسحب ذراعي من حولها وأغادر السرير بصمت.

بطريقة ما تمكنت من القيادة طوال الليلة الماضية إلى أوستن. لم أظن أنني قد أستطيع البقاء مستيقظًا لدقيقة أخرى، لذا ذهبت إلى أول فندق استطعنا أن نجده. دخلنا غرفتنا في النهار، استحممنا، ثم تحطمنا. لقد نامت الآن أكثر من ست ساعات، وأعرف كم تحتاج إلى ذلك.

برفق أبعد الشعر عن خدها، وأميل للأمام وأقبِّلها. تشد ذراعها بعيدًا من تحت البطانية، وتنظر إليَّ بعينين مرهقتين. تهمس مبتسمة نوعًا ما: «أهلا»، رغم كل ما تمر به.

لا أريدها أن تستيقظ بعد. أقول: «هشش، أنا على وشك أن أغادر قليلًا لأجلب لنا شيئًا لنأكله. سوف أوقظكِ عندما أعود، حسنًا؟»

تومئ، وتغمض عينيها، ثم تستدير مرة أخرى.

***

بعد أن ننتهي من الأكل تتجه إلى السرير وترتدي حذاءها، وأسألها: «أين ستذهبين؟».

تربط حذاءها، ثم تقف وتلف ذراعيها حول عنقي، وتقول: «أريد أن أذهب في تمشية. وأريدك أن تأتي معي. أنا جاهزة للبدء في طرح الأسئلة».

أمنحها قبلةً سريعةً، ثم ألتقط المفاتيح من على المائدة، وأتجه إلى الباب.

ـ «حسنًا دعينا نذهب».

نصل إلى فناء الفندق أخيرًا، ونجلس في إحدى الكبائن. أشدها إليَّ، وأقول: «تريديني أن أخبرك بما أتذكره؟ أم أن لديكِ أسئلة معينة؟».

تقول: «كلاهما، لكنني أريد أن أسمع حكايتك أولًا».

أقبِّلها على خدها، ثم أريح رأسي على رأسها بينما نحدق في الفناء.

ـ «عليكِ أن تعرفي كم أن هذا سريالي بالنسبة لي سكاي. لقد فكّرت فيما ما حدث لكِ كل يوم في الثلاثة عشر عامًا الأخيرة. وأعتقد أنني كنت أعيش قريبًا منكِ لسبع سنوات منها. ما زلت أجد صعوبة في استيعاب ذلك. والآن، أخيرًا وجدتكِ، وأحكي لكِ عن كل ما حدث..».

أتنهد، متذكرًا هذا اليوم.

ـ «بعد أن رحلت السيارة، ذهبت إلى البيت، وأخبرت ليز أنك رحلتِ مع أحدهم. استمرت في سؤالي من، لكنني لم أعرف. أمي كانت في المطبخ، لذا ذهبت إليها وأخبرتها. لم تلق لي أي انتباه. كانت تطهو العشاء وكنا مجرد أطفال. تعلمت ألا تنتبه لنا. بجانب أنني كنت لا أزال غير متأكد من أنه حدث شيء لا يفترض به أن يحدث. لذا لم أبدُ فزعًا أو غيره. طلبت مني أن أذهب إلى الخارج وألعب مع ليز. طريقتها غير المبالية بشأن هذا، جعلتني أعتقد أن كل شيء بخير. كوني في السادسة جعلني متأكدًا أن الكبار يعرفون كل شيء، لذا لم أتفوه بشيء آخر عن هذا الأمر. خرجت لألعب ومضت ساعتان أخريان، عندما خرج والدكِ ينادي عليكِ. بمجرد أن سمعته ينادي باسمكِ تجمدت. وقفت في منتصف حديقتي، وشاهدته وهو يقف على الرواق وينادي عليكِ. كانت هذه اللحظة التي عرفت فيها أنه لا يعرف أنكِ رحلتِ مع أحدهم. عرفت أنني فعلت خطأ ما».

تقاطعني: «هولدر. كنت مجرد ولد صغير».

نعم، طفل صغير لكنه كبير كفاية ليعرف الفرق بين الصواب والخطأ.

ـ «سار أبوكِ إلى حديقتنا وسألني إذا كنت أعرف أين أنتِ».

يصعب الأمر عليَّ، فهذه هي النقطة التي أدركت فيها الخطأ الفادح الذي فعلته.

أقول لها: «سكاي، عليكِ أن تفهمي شيئًا، لقد كنت مرعوبًا من أبيكِ. كان عمري فقط ست سنوات وعرفت للتو أنني فعلت شيئًا بشعًا بتركِكِ وحدكِ. الآن أبوكِ ضابط الشرطة يقف أمامي وبندقيته تظهر من زيّه. ذعرت، وركضت إلى بيتي مباشرة إلى سريري، وأغلقت الباب بالمفتاح. هو وأمي طرقا بابي نصف ساعة، لكنني كنت خائفًا جدًّا أن أفتحه، وأعترف لهما أنني عرفت ما حدث. رد فعلي أقلقهما، لذا طلب من خلال بثّه اللاسلكي دعمًا. عندما سمعت سيارات الشرطة تقف في الخارج، ظننت أنهم هنا لأجلي. ما زلت لم أفهم ماذا حدث

لك. بعد وقت أقنعتني أمي بالخروج من الغرفة، ثلاث ساعات مرت منذ أن رحلتِ في السيارة».

تشعر كم يؤلمني الحديث عن هذا، وتخرج إحدى يديها من كم قميصها، وتضعها في يدي.

ـ «أخذوني إلى قسم الشرطة واستجوبوني لساعات. أرادوا أن يعرفوا إذا كنت رأيت أرقامًا للوحة السيارة، ما نوع السيارة التي خطفتك، ماذا كان شكل الشخص، ماذا قالوا لكِ. سكاي، لم أكن أعرف أي شيء. أنا حتى لم أستطع تذكر لون السيارة. كل ما استطعت قوله لهم هو ما كنتِ ترتدينه بالضبط، لأنكِ كنتِ الشيء الوحيد الذي حفظت صورته في رأسي. أبوكِ كان غاضبًا مني. استطعت أن أسمعه يصرخ في مدخل القسم أنني إذا كنت فقط أخبرت أحدهم عندما حدث ذلك، كان من الممكن أن يجدوكِ. لامني. عندما يلومك ضابط شرطة لأنه فقد ابنته، تميلين إلى تصديق أنه يعرف ما يتحدث عنه. سمعته ليز يصرخ أيضًا، لذا اعتَقَدَتْ أن كل ما حدث كان خطأي. لأيام، لم تتكلم معي حتى. كلانا كان يحاول أن يفهم ما حدث. لست سنوات عشنا في هذا العالم المثالي أن كل الكبار دائمًا على صواب والأشياء السيئة لا تحدث للطيبين. ثم، في حدود دقيقة، خُطفتِ وكل شيء ظننا أننا نعرفه أصبح صورة مزيفة للحياة التي بناها لنا آباؤنا. أدركنا هذا اليوم أن حتى الكبار يفعلون أشياء فظيعة. الأطفال يختفون. أصدقاؤكِ الأقرب يؤخذون منكِ، ولا تعرف حتى إذا كانوا على قيد الحياة.

ـ شاهدنا الأخبار باستمرار، في انتظار التقارير. لأسابيع يعرضون صورتكِ على التلفاز، يبحثون عمن يدلهم. أحدث صورة لكِ كانت تمامًا قبل وفاة أمكِ، عندما كنتِ في الثالثة فقط. أذكر أن هذا ضايقني، متعجبًا كيف مر عامان دون أن يلتقط لكِ أحدهم صورة أحدث. عرضوا صورًا لبيتكِ وأحيانًا لبيتنا أيضًا. كانوا يذكرون كل حين وآخر الولد في البيت المجاور الذي رأى ما حدث، لكنه لا يتذكر أي تفاصيل. أذكر أنه في آخر ليلة سمحت لنا أمي بمشاهدة التلفاز، عرض أحد المراسلين صورة جديدة لبيوتنا. ذكروا الشاهد الوحيد، لكنهم أشاروا إليَّ بالولد الذي فقد هوب. أغضب هذا أمي بشدة، ركضت إلى الخارج وبدأت تصرخ في المراسلين، تصيح فيهم ليتركونا في حالنا. كان على أبي أن يجرَّها لتعود إلى داخل البيت.

ـ فعل والداي ما في وسعهما ليحاولا أن يجعلا حياتنا طبيعية قدر الإمكان. بعد شهرين، توقف المراسلون عن الظهور. توقفت الرحلات اللانهائية إلى قسم الشرطة ليحققوا معي أخيرًا. بدأت الأشياء تعود ببطء إلى طبيعتها مع كل الجيران. كلهم إلا ليز وأنا. كان الأمر كما لو أن أملنا ضاع مع هوب».

تتنهد عندما أنتهي وتصمت لبرهة، وتقول: «لقد قضيت سنوات طويلة أكره أبي لأنه تخلى عني. لا أصدق أنها خطفتني منه. كيف أمكنها أن تفعل هذا؟ كيف يفعل أحد هذا؟».

ـ «لا أعرف حبيبتي».

تجلس على الكرسي وتنظر في عيني، وتقول: «أحتاج إلى أن أرى البيت. أحتاج إلى مزيد من الذكريات، لكن ليس لدي أي منها، وهذا صعب الآن. بالكاد أتذكر أي شيء، ناهيك عن أبي. أريد فقط أن نقود إلى هناك، وأحتاج أن أراه».

ـ «الآن؟»

ـ «نعم، أريد أن أذهب قبل أن يحل الظلام».

الفصل الثاني والأربعون

لم يكن عليَّ أن أدعها تأتي إلى هنا. بمجرد أن وقفنا أمام البيت، أعرف أن مجرد رؤيته لن تكون كافية لها. متأكد بما يكفي، خرجت من السيارة، وطلبت أن تراه من الداخل، وحاولت أن أرجعها عن هذا، لكن لمقدرتي حدودًا.

أقف خارج نافذتها، منتظرًا. لا أريدها أن تبقى بالداخل الآن، لكنني أستطيع أن أرى بوضوح أنها لن تستطيع فعل ذلك بطريقة أخرى. أستند إلى البيت آملًا أن تسرع. لا يبدو أن أحدا من الجيران بالبيت، لكن هذا لا يعني أن أباها قد لا يصل في أي لحظة الآن.

أنظر إلى الأرض تحت قدمي، ثم أرمق داخل البيت من ورائي. إنها البقعة ذاتها التي وقفت بها عندما تركتها منذ ثلاثة عشر عامًا. أغمض عيني، وأسند رأسي إلى البيت. لم أتوقع أبدًا أنني قد أعود معها هنا مرة أخرى.

أفتح عيني، وأقف باستقامة في الثانية التي أسمع فيها صوت تحطم يأتي من داخل غرفة نومها، متبعًا بصرخة. لم أمنح نفسي الوقت لأتساءل ماذا يحدث بالداخل، أركض فقط.

أركض من الباب الخلفي إلى الصالة، حتى أصبح في غرفة نومها القديمة معها. إنها تبكي بهيستيريا، وتلقي بالأشياء في الغرفة، على الفور ألف ذراعي حولها من الخلف لأهدئها. لا أعرف ما الذي جعلها هكذا، لكنني سأتعرض لخسارة أكبر إن لم أوقفها. ترتجف بجنون محاولةً أن تتخلص من قبضتي، لكنني فقط أقبض عليها بإحكام أكبر. وأقول في أذنها: «توقفي». ما زالت ترتجف، وأحتاج إلى أن أهدئها قبل أن يسمعها أحد.

تصرخ: «لا تلمسني». تلامس ذراعي، لكنني لا ألين، حتى لو لثانية. أخيرًا تضعف قواها وتصبح مهزومة مما يسيطر على رأسها الآن. تنهار بين ذراعي، وأعرف أنني أحتاج إلى أن أخرجها من هنا، لكنني لا أستطيع أن أتركها على هذه الحالة بمجرد أن أخرجها.

أرخي قبضتي وأديرها لتواجهني، تسقط على صدري وتتنهد ممسكة بقميصي، بينما تحاول أن تتماسك، وأدنو بفمي لأذنها.

ـ «سكاي، يجب أن ترحلي الآن».

أحاول أن أبقى قويًّا من أجلها، لكنني أريد أيضًا أن أجعلها تعرف أن وجودها هنا فكرة سيئة للغاية، خاصة بعد أن دمرت الغرفة بأكملها، بالتأكيد سيُعرف أن أحدًا كان هنا الآن، لذا علينا أن نرحل.

أحملها وأخرج بها من غرفة النوم. تبقي وجهها مدفونًا بصدري، بينما أخرج بها إلى السيارة. آخذ سترتي من المقعد الخلفي، وأناولها إياها.

ـ «خذي، استعملي هذه لتمسحي الدم. سأذهب لأصلح ما أستطيعه».

أشاهدها لثوانٍ قليلة لأتأكد أنها ليست على وشك أن تصاب بالذعر مجددًا، ثم أغلق باب السيارة، وأتجه إلى غرفة نومها. أعدِّلها قدر المستطاع، لكن المرآة شيء يصعب إخفاؤه. أتمنى ألا يكون أبوها قد دخل إلى هذه الغرفة كثيرًا. إذا استطعت أن أجعل الأمر يبدو كأن لا شيء خارج هذه الغرفة مختلف، سوف تمر أسابيع قبل أن يلحظ المرآة.

أضع البطانية على السرير وأعلق الستائر، ثم أتجه إلى الخارج. عندما أصل إلى السيارة، مجرد رؤيتها تكفي لتجعلني أسقط على ركبتي. إنها ليست هي.

إنها مرعوبة. مكسورة، ترتجف وتبكي، وأتساءل للمرة الأولى إذا كان أي من القرارات التي اتخذتها خلال الأربع وعشرين ساعة الأخيرة كان ذكيًّا.

أشغل السيارة وأبعد عن البيت، غير راغب في رؤيته أو التفكير فيه مرة أخرى. أتمنى ألا تريد ذلك أيضًا. أضع يدي خلف رأسها الذي تدسه بين ركبتيها. أمرر أصابعي في شعرها ولا أحرك يدي بعيدًا عنها طوال قيادتي عائدًا إلى الفندق. أريدها أن تعرف أنني هنا. مهما كان ما تشعر به الآن، هي ليست وحدها. إذا كنت تعلمت شيئًا من فقدانها طوال الأعوام الماضية أو مما حدث مع ليز، فهو أنني لا أريدها أن تشعر بأنها وحيدة مجددًا.

***

بمجرد أن نصبح داخل غرفة الفندق، أساعدها لتدخل إلى السرير، ثم أمسك خرقة مبتلة، وأعود لأتفحص الجروح.

أقول: «مجرد خدوش بسيطة. لا شيء عميق جدًّا».

أنزع حذائي، أدخل معها في السرير، وأشد البطانية علينا، وأريح رأسها على صدري، بينما تبكي.

طول المدة التي تبكي فيها واليأس الذي تضمني به، أكره نفسي لسماحي بأن يحدث هذا لها. كنت غير مبالٍ ليلة أمس، ولم أفكر في أن أبقيها بعيدة عن غرفة ليز. لم تكن لتمر بأي من هذا الآن، إذا لم ترَ الصورة. لم تكن لتعود أبدًا إلى هذا البيت.

تنقل بصرها إليَّ وعيناها حزينتان للغاية. أمسح دموعها وأقرب فمي من فمها لأقبلها برفق.

ـ «أنا آسف. لم يكن عليَّ أن أدعك تدخلين».

ـ «هولدر لم تفعل أي شيء خطأ. توقف عن الاعتذار».

أهز رأسي، وأقول: «لم يكن عليَّ أن آخذكِ إلى هناك. إنه كثير جدًّا عليكِ لتتعاملي معه بعد أن عرفتِ كل شيء».

تنهض على مرفقيها.

ـ «لم يكن فقط وجودي هناك هو الكثير جدًّا. ما تذكرته، كثير جدًّا. لن تتحكم في الأشياء التي فعلها بي أبي. توقف عن إلقاء اللوم على نفسك على كل شيء سيئ يحدث للناس حولك».

الأشياء التي فعلها بها؟ ألف يدي على مؤخرة عنقها.

ـ «عم تتحدثين؟ ما الأشياء التي فعلها بكِ؟»

تغمض عينيها بشدة، وتسقط رأسها على صدري، ثم تبدأ في البكاء مجددًا. الإجابة التي ترفض أن تمنحها لي الآن تمزق قلبي تمامًا، أهمس: «لا سكاي».

تتغلب علي مشاعر عديدة مرة واحدة. لم أرد أن أؤذي أي أحد، كما أريد أن أؤذي النذل أباها، وإذا لم تكن تحتاج إليَّ هنا معها الآن، كنت سأبقى في طريقي عائدًا إلى بيتها.

أغمض عيني، ولا أستطيع أن أنزع تفكيري فيها وهي فتاة صغيرة من رأسي. حتى عندما كنت فتى صغيرًا، كنت أستطيع أن أرى أنها مكسورة، وكانت أول شيء أشعر بالرغبة في حمايته. والآن، وهي ملتفة حولي، تبكي... الشيء الوحيد الذي أريد أن أفعله هو أن أحميها منه، لكنني لا أستطيع حمايتها من كل الذكريات التي تسيل في رأسها الآن، وقد أفعل أي شيء من أجل ذلك.

تمسك بقميصي بين قبضتيها والتنهد يستمر. أضمها بإحكام قدر الإمكان، لأنني أعرف أن لا شيء يمكن أن أفعله لأطرد ألمها بعيدًا، لذا أضمها فقط، كما تعودت أن أضم ليز. لم

أرغب أبدًا في أن أتركها.

تستمر في البكاء، وأستمر في التمسك بها، وأحاول بصعوبة أن أكون قويًّا من أجلها الآن، لكنني أتحطم. لأن معرفة ما حدث لها وكل ما عليها أن تعيش فيه تفككني تمامًا، ولا أعرف كيف يمكن أن تتمكن حتى من التماسك على الإطلاق.

بعد العديد من الدقائق، تبدأ دموعها في النقصان، لكنها لا تنقطع. أخيرًا ترفع رأسها من فوق صدري، ثم تدير جسدها فوقي. تغمض عينيها وتضع شفتيها على شفتي، ثم فجأة تحاول أن تنزع قميصي. لا أعرف لماذا تفعل هذا، لذا أقلبها على ظهرها.

ـ «ماذا تفعلين؟»

تضع يدها خلف عنقي وتجذب فمي لفمها ثانية. بقدر ما أحب أن أقبّلها، لا يبدو هذا صحيحا الآن. عندما تمسك يدها بقميصي ثانية، أدفعهما بعيدًا، وأقول لها: «توقفي لماذا تفعلين هذا؟».

تنظر إليَّ بخيبة أمل. «لتفعلها معي الآن».

ماذا؟

على الفور أغادر السرير وأسرع على الأرض. لا أعرف حتى كيف أتجاوب مع هذا، خاصة بعد ما تذكرته للتو عن أبيها. أقول: «سكاي، لا يمكنني فعل هذا»، أتوقف لأنظر إليها.

ـ «لا أعرف حتى لماذا تطلبين هذا الآن؟»

تنطلق إلى حافة السرير، حيث أقف وتجلس على ركبتيها، تشد قميصي.

ـ «أرجوك هولدر. أحتاج إلى هذا».

أخطو بعيدًا عنها، بعيدًا عن قبضتها.

ـ «لن أفعل هذا يا سكاي. لن نفعل هذا. أنتِ في صدمة أو شيء ما... لا أعرف ماذا أقول الآن».

تلقي بنفسها مرة أخرى على السرير، وتبكي مجددًا.

تبًّا، لا أعرف كيف أساعدها، فأنا غير مستعد تمامًا لهذا.

تقول ناظرةً إلى عيني: «أرجوك». صوتها والألم خلفه يحطماني من الداخل إلى الخارج. تنظر إلى يديها المطويتين في حجرها.

ـ «هولدر... إنه الوحيد الذي فعل هذا معي».

ترفع عينها ببطء لتلتقي بعيني.

ـ «أريدك أن تأخذ هذا بعيدًا عني. أرجوك».

إذا كان لدي روح قبل هذه الكلمات، فهي قد كسرت تمامًا إلى نصفين. الدموع تملأ عيني، وأنا متألم من أجلها كثيرًا، لأنني لا أريدها أن تفكر في هذا النذل مرة أخرى. وتقول مرة أخرى: «أرجوك هولدر».

تبًّا.

لا أعرف ماذا أفعل أو كيف أتعامل مع كل هذا. إذا قلت لها لا، سوف أؤلمها أكثر. إذا وافقتها لأساعدها بفعل هذا، لا أعرف إن كنت سأتمكن من الغفران لنفسي.

تنظر إليَّ من على السرير، محطمة تمامًا. عيناها المتوسلتان تنتظران قراري. ورغم أنني لا أريد أن أختار، أذهب فقط مع الذي تظن أنها تحتاج إليه الآن. إذا كان يمكن أن نتبادل أرواحنا، كنت سأفعلها في نبضة القلب، كيلا تشعر أبدًا بما تشعر به، سوف أفعل، مهما كلفني الأمر لأخفف ألمها.

مهما كلفني الأمر.

أعود إليها وأنزل على ركبتي على الأرض. أدفعها إلى حافة السرير، ثم أنزع قميصينا. أرفعها وأذهب بها إلى قمة السرير، أجعلها تستلقي برفق. أدنو بجسدي فوقها، ثم أمسح دموعها ثانية.

أقول لها: «حسنًا».

أعرف أنها على الأرجح تريد أن تتخلص من هذا. لا يمكن بأي طريقة أن تصبح هذه اللحظة كما يجب أن تكون. أصل إلى محفظتي وأخرج منها الواقي الطبي ثم أخلع سروالي، وأنا أنظر إليها باهتمام طوال الوقت.

لا أريد أن يصيبها الذعر في أثناء هذا كما حدث في الليلة الماضية، لذا أنتظر أي علامة أنها غيَّرت رأيها. لقد مرت بما يكفي، وأريد أن أفعل كل ما أستطيع فعله لأساعدها، وإذا كان هذا سيساعدها، سأفعله.

أقبّلها طوال الوقت وأنا أنزع ثيابها. لا أحاول حتى أن أجعل الأمر رومانسيًّا. أحاول فقط أن أفكّر في أفكاري حولها التي أعتقد أنها ستساعدني لأنتهي من هذا بسرعة أيًّا كانت.

بمجرد أن أنتهي من نزع ثيابها، أضع الواقي وأريح نفسي عليها. أقول متمنيًا أن تطلب مني أن أتوقف: «سكاي». لا أريد أن أصبح هكذا بالنسبة إليها.

تفتح عينها وتهز رأسها، وتقول: «لا تفكر في هذا. افعلها يا هولدر».

صوتها بلا مشاعر تمامًا. أغمض عيني بقوة وأدفن رأسي في عنقها.

ـ «لا أعرف كيف أتعامل مع هذا كله، لا أعرف إن كان هذا خطأ أم أنكِ حقًّا تحتاجين إليه. أنا خائف إذا فعلت هذا أن أصعّب الأمر عليكِ».

تلف ذراعيها حول عنقي بإحكام، وتبدأ في البكاء مرة أخرى. بدلًا من أن تتركني، تمسك بي أكثر وترفع ردفيها في نداء صامت لي حتى أستمر.

أقبّلها بجانب رأسها وأمنحها ما تريد. في اللحظة التي ألجها فيها، تهرب الدموع من عيني. لا تصدر صوتًا أبدًا، تستمر فقط في لف نفسها حولي بإحكام وأنا أسير مع الحركات محاولًا بيأس ألا أفكر إلى أي مدى أردت أن يكون هذا مختلفًا.

أحاول ألا أفكر كيف أشعر أنني أستفيد منها مع كل حركة معها. أحاول ألا أفكّر في أن فعل هذا يجعلني أشعر كأنني لست أفضل من أبيها.

هذه الفكرة تجمدني. ما زلت داخلها، لكنني لا أستطيع أن أتحرك. لا أستطيع أن أفعل هذا بها مرة أخرى.

أبتعد عن عنقها، وأنظر إليها، ثم أستدير عنها تمامًا. أجلس على طرف السرير، وأقبض بيدي على شعري.

أقول لها: «لا أستطيع أن أفعل ذلك، إنه خطأٌ سكاي. أشعر أنه خطأ لأنكِ تبدين جيدة للغاية، لكنني أندم على كل ثانية منه». أقف وألقي الواقي الفارغ في القمامة، أرتدي ثيابي ثم أذهب إلى الباب، مدركًا أنني أخذلها مجددًا.

أخرج وبمجرد أن أصبح وحدي في موقف السيارات، أصرخ من الإحباط. أقف على الرصيف لبرهة مُحاولًا أن أكتشف ماذا سأفعل. أستدير وأضرب المبنى، مرارًا وتكرارًا، ثم أسقط على حائط الطوب، وأتساءل كيف جعلت الأمور تنتهي هنا. كيف سمحت للأمور أن

تصل إلى هذه النقطة؟ الأربع والعشرون ساعة الأخيرة من حياتي كانت ضخمة، هائلة وملعونة.

وها أنا هنا، أهرب منها ثانية. أفعل أفضل ما يمكنني فعله. أتركها وحدها تمامًا. راغبًا في تصحيح على الأقل واحد من قراراتي السيئة. على الفور أعود إلى غرفة الفندق. عندما أدخل أجدها في الحمام، لذا أجلس على السرير وألتقط قميصي، ثم أربطه حول يدي التي تنزف الآن.

باب الحمام ينفتح، وهي تتوقف في المنتصف، بمجرد أن أنظر إليها. عيناها تقعان على يدي وفورًا تسرع إليَّ، وتفك القميص لتتفحص يدي.

تقول وهي تحرك يدي ذهابًا وإيابًا: «هولدر، ماذا فعلت؟».

أقول وأنا ألف يدي ثانية: «أنا بخير». أقف وأنظر إليها، متسائلًا كيف من الممكن أن تقلق عليَّ الآن.

تقول بهدوء: «أنا آسفة. لم يكن عليَّ أن أطلب منك أن تفعل ذلك. أردت فقط...».

يا إلهي، إنها تعتذر لي؟ أقول وأنا أمسك وجهها بين يدي: «اصمتي. ليس لديك أبدًا ما تعتذرين عنه. غادرت لأنني كنت غاضبًا من نفسي».

تومئ، ثم تبعد عني وتذهب إلى السرير. تقول رافعة الأغطية: «حسنًا، لم أتوقع منك أن تريدني بهذه الطريقة الآن. كان خطأً مني وأنانية، وغير منطقي أن أطلب منك أن تفعل هذا، وأنا حقًّا آسفة. دعنا فقط ننام، حسنًا؟».

تصعد إلى السرير وتشد الأغطية عليها، وأحاول أن أستوعب كلماتها، لكن لا معنى لها. أنا لم أشعر بهذه الطريقة حول ما طلبت مني أن أفعله على الإطلاق. كيف تحصل على هذه الأفكار المجنونة في رأسها؟

ـ «تظنين أنني أمر بوقت صعب مع ما حدث لأنني لم أردكِ؟»

أسير إلى جانب السرير، وأنزل على ركبتي.

ـ «سكاي أنا أمر بوقت صعب، لأن كل ما حدث معكِ يحطم قلبي البائس، ولا أعرف كيف أساعدكِ».

أدخل إلى السرير معها، وأشدها إلى وضعية الجلوس معي.

ـ «أريد أن أكون هنا لأجلكِ وأساعدكِ في هذا، لكن كل كلمة تخرج من فمي تخرج كأنها الكلمة الخطأ. كل مرة ألمسكِ أو أقبّلكِ أخاف من أنكِ لا تريدينني أن أفعل. الآن تريدين أن أفعلها معكِ لأنكِ تريدين أن تأخذي هذا من أبيكِ، وقد فهمت. فهمت تمامًا من أين أتى كل هذا، لكن فهمي لا يجعل الأمور أسهل لأمارس الحب معكِ، في حين أنكِ حتى لا تستطيعين النظر في عيني. إنه مؤلم للغاية لأنكِ لا تستحقين أن يصبح الأمر كذلك. لا تستحقين هذه الحياة ولا يوجد شيء واحد أستطيع فعله لأجعلها أفضل لكِ. أريد أن أجعلها أفضل، لكنني أشعر بالعجز».

آخذها بين ذراعي وهي تلف ساقيها حولي، تنصت لكل كلمة أقولها.

ـ «رغم أنني توقفت، لم يكن عليَّ أبدًا أن أبدأ دون أن أخبركِ كم أحبّكِ جدًّا. لا أستحق أن ألمسكِ حتى تعرفي حقيقة أنني ألمسكِ لأنني أحبَّك، وليس لسبب آخر».

أضغط شفتي إلى شفتيها بيأس، أريدها أن تعرف أنني لا أقول إلا الصدق الآن. كل كلمة أقولها وكل مرة ألمسها، لا يوجد شيء إلا الإخلاص.

تبتعد وتقبل ذقني وجبهتي وخدي، ثم شفتي، وتقول: «أنا أيضًا أحبك»، مثبتة لي أن الكلمات صفة أخرى قد يقع الإنسان في حبها، لكنني لن أقع في حبها قطعة بعد قطعة لأكثر من ذلك. أنا أحب الفتاة كلها، وكل قطعة فيها.

ـ «لا أعرف ماذا كنت سأفعل الآن لو لم تكن معي يا هولدر. أحبّك جدًّا وأنا آسفة. أردتك أن تكون الأول، وأنا آسفة لأنه سبقك إلى هذا».

أقول لها: «لا تقولي ولا تفكري في هذا مرة أخرى أبدًا.. أبوكِ أخذ ذلك أولًا بطريقة لا يمكن تصورها، لكنني أضمن أن هذا هو كل ما أخذه. لأنكِ قوية للغاية سكاي. أنتِ مدهشة ومضحكة وذكية وجميلة وممتلئة بالقوة والشجاعة. ما فعله بكِ لم يأخذ منكِ أيًّا من أفضل ما فيك. لقد نجوتِ منه مرة وسوف تنجين منه مجددًا. أعرف أنكِ ستفعلين».

أضع كفي على قلبها، ثم أشد يدها لقلبي. أخفض بصري لمستوى بصرها، لأتأكد أنها معي تمامًا في هذه اللحظة.

ـ «تبًّا لكل الأشياء الأولى سكاي. الشيء الوحيد الذي يهمني معك هو الأشياء الأبدية».

تطلق نفس ارتياح، ثم تقبِّلني كثيرًا. أمسك رأسها وأريح ظهرها على السرير وأنا أعتليها. أقول أمام شفتيها: «أحببتكِ منذ مدة طويلة، لكنني لم أستطع أن أخبركِ. لم أشعر بأنه من الصواب أن أجعلكِ تحبينني، بينما أخفي عنكِ الكثير».

تبكي مجددًا، لكنها أيضًا تبتسم.

ـ «لا أظن أنه كان من الممكن أن تختار وقتًا أفضل من الليلة، لتخبرني أنك تحبني. أنا سعيدة لأنك انتظرت».

أدس رأسي وأقبِّلها، كما تستحق أن تُقبَّل. أضمها كما تستحق أن تضم. وأنا على وشك أن أنام معها كما تستحق أن يحدث ذلك. أفك المئزر الذي ترتديه وأحرك يدي على بطنها. أقول لها: «يا إلهي، أنا أحبَّك». يدي تتحرك من فوق خصرها إلى أسفل ردفها وفخذها. أستطيع أن أشعر بتوترها، لذا أرجع إلى الوراء وأنظر إليها.

ـ «تذكري... أنا ألمسكِ لأنني أحبَّكِ. ليس لسبب آخر».

تومئ وتغمض عينيها، أتعرف إلى القلق الذي يتسرب منها. أشد مئزرها لأغلقه، وأضع يدي على وجهها.

أقول: «افتحي عينيكِ». تفتحهما وهما ممتلئتان بالدموع، وأقول: «أنتِ تبكين».

تومئ وتبتسم لي، قائلةً: «أنا بخير، هذا نوع جيد من الدموع».

أشاهدها في صمت، وأقيس إمكانية أن نفعل هذا الآن. أريد أن أريها كم أحبها، وأريد أن أمحو ما حدث بيننا منذ ساعة، لأنه لم يفترض أن يحدث أبدًا. أريد أن أصحح أفكارها عن هذا الأمر، لقد كان دائمًا قبيحًا في ذاكرتها، لكنها تستحق أن تعرف كيف يمكن أن يكون جميلا.

أقول مشبكًا أصابعي في أصابعها: «أريد أن أمارس الحب معك سكاي. أظن أنكِ تريدينني أيضا، لكنني أريدكِ أن تعرفي شيئًا أولًا».

أقرب فمي منها وأقبِّل دمعة هاربة.

ـ «أعرف أنه من الصعب عليكِ أن تسمحي لنفسكِ بأن تشعري بهذا. لقد دربتِ نفسك طويلا على حبس هذه المشاعر والعواطف، بمجرد أن يلمسكِ أحدهم. لكنني أريدكِ أن

تعرفي أن ما فعله أبوكِ جسديًّا لكِ، لم يكن ما يؤلمكِ كفتاة صغيرة. لكنه ما فعله بإيمانكِ به هو ما حطم قلبكِ. لقد عانيتِ أسوأ الأشياء التي قد يمر بها أي طفل على يد بطلكِ...

ـ لا أستطيع حتى تخيل ما الذي شعرتِ به. لكن تذكري أن الأشياء التي فعلها بكِ لم تكن أبدًا متعلقة بكلينا، عندما نكون معًا مثل الآن. ألمسك لأنني أريد أن أجعلكِ سعيدة. أقبِّلك لأن لديكِ أكثر فم لا يصدق رأيته من قبل، وتعرفين أنني لا أستطيع إلا أن أقبّله. وعندما أمارس الحب معك ـ أفعل هذا بالضبط. أمارس الحب معك لأنني أحبّك. الشعور السيئ المرتبط بلمسكِ جسديًّا طوال حياتك، لا ينطبق عليَّ وعلينا. ألمسكِ لأنني أحبكِ، وليس لأي سبب آخر».

أقبَّلها برفق، وأقول: «أحبَّك».

تقبلني أقوى من أي مرة قبلتني بها وهي تشدني إلى السرير معها. نستمر في التقبيل وتستمر في السماح لي باستكشاف كل جزء منها بفمي ويدي. عندما أستعد لها بعد أن أضع واقيًا آخر. أنظر إليها وأخيرًا أراها تنظر إليَّ بقسمات هادئة. الحب في عينيها الآن لا يمكن إنكاره، لكنني ما زلت أريد أن أسمعها، وهي تقولها.

ـ «أخبريني أنكِ تحبينني».

تحكم قبضتها حولي، وهي تنظر إليَّ بقوة في عيني. تقول بحزم: «أحبِّك يا هولدر جدًّا».

بمجرد أن تخرج الكلمات من فمها، يستهلكني تمامًا شعور بالسلام. لأول مرة منذ اللحظة التي خُطفت فيها مني، أعرف كيف هو شعور الغفران.

ـ «أتمنى لو أنكِ تشعرين بما فعله ذلك بي للتو».

أجذب فمها لفمي في الوقت ذاته الذي تحتل فيه قلبي تمامًا.

الفصل الثالث والأربعون

عندما أفتح هاتفي أجد فيضًا من الرسائل، العديد من بريكن وأمي. هناك مكالمات فائتة من هاتف سكاي، أستطيع أن أتوقع أنها من كارين.

لا أستمع لأي من الرسائل الصوتية، وأعرف أن الجميع قلقون علينا، خاصة كارين. لست متأكدا كيف يتناسب ما فعلته مع صورتها، لكنني أجد من الصعب تصديق أن ما فعلته كان من مكمن الشيطان.

تتقلب في السرير فتصدر حفيفًا ما، وأنظر إليها وأميل للأمام لأقبِّلها، لكنها تدير وجهها بعيدا، وأقبِّل خدها بدلًا من ذلك.

تتمتم وهي تنزلق من السرير: نَفَس الصباح، تتجه إلى الدش، أتحقق من الوقت، وأقرر أن أجمع الأغراض لأن المغادرة ستكون خلال ساعة.

بعد أن أعبئ أغلب الأغراض، تخرج من الحمام، وتسأل: «ماذا تفعل؟».

أرمقها، وأقول: «لا يمكن أن نبقى هنا للأبد سكاي. يجب أن نستوضح ماذا تريدين أن تفعلي».

تسرع تجاهي، وتقول: «لكنني لا أعرف بعد. ليس لدي أي مكان لأذهب إليه».

صوتها مليء بالذعر، أذهب إليها من أجل أن أهدئ عقلها.

ـ «أنا موجود سكاي. اهدئي، نستطيع أن نعود لبيتي ونستوضح هذا. بجانب أننا ما زلنا في المدرسة. لا نستطيع التوقف عن الذهاب، وبالتأكيد لا يمكننا العيش في فندق إلى الأبد».

تقول: «يوم واحد آخر. أرجوك دعنا نبقى ليوم واحد آخر، ثم نرحل. أريد أن أحاول استيضاح الأمور، ومن أجل ذلك، أريد أن أذهب إلى بيتي القديم مرة أخرى».

لا أعرف كيف يمكن أن تفكر أن الرجوع إلى هذا البيت بأي طريقة فكرة جيدة. لا يوجد بالتأكيد شيء تريده من هناك.

ـ «لا مجال لذلك، لن أضعك في هذا مجددًا. لن تذهبي إلى هناك».

تقول متوسلة: «أحتاج إلى هذا يا هولدر. أقسم أنني لن أغادر السيارة هذه المرة. لكنني أحتاج أن أرى البيت مرة أخرى قبل أن نرحل. تذكرت الكثير عندما كنت هناك. أحتاج فقط القليل من الذكريات قبل أن تعيدني، ويكون عليَّ أن أحدد ماذا أفعل».

يا إلهي إنها عنيدة. أخطو على الأرض غير مدرك كيف تستطيع أن تفعل ذلك.

تقول مجددًا: «أرجوك».

لا أستطيع أن أقول لا لهذا الصوت.

أتأوه: «حسنًا، أخبرتك أنني سأفعل ما تشعرين أنكِ تحتاجين إلى أن أفعله أيًّا كان، لكنني لن أعلق كل هذه الثياب مرة أخرى».

تضحك وتسرع إليَّ، ملقية بذراعيها حول عنقي.

ـ «أنت أفضل وأكثر صديق حميم تفهمًا في العالم أجمع».

أبادلها العناق وأتنهد.

ـ «لا، ليس صحيحًا، أنا أكثر صديق حميم مطيع في العالم أجمع».

***

نجلس في سيارتي على بعد شارع من بيتها القديم، ممسكًا بعجلة القيادة بقوة، خائفًا من أنني قد أكسرها. وصل أبوها لتوه في الممر الخاص، وبقدر ما كنت متهورًا وغاضبًا في الماضي، لم تكن لدي الرغبة من قبل لأقتل أحدهم فعلًا حتى الآن. مجرد رؤيته تجعل معدتي تنقلب ودمي يغلي. أرفع يدي للمقود، لمعرفتي أنه لا شيء جيد قد يأتي، إذا لم أقد بعيدا الآن.

تقول، وهي تشد يدي بعيدًا عن المقود: «لا ترحل. أريد أن أرى كيف يبدو».

أتنهد وأستند إلى المقعد، أريد أن تسرع، وتحصل على ما تريده، لأن هذا سيئ سيئ سيئ.

تهمس: «يا إلهي». أستدير إليها راغبًا في معرفة ما الذي جعلها تقول ذلك. تقول: «لا شيء، هو فقط يبدو مألوفًا. ليست لدي صورة له في رأسي على الإطلاق، لكنني إذا رأيته يسير على الطريق، سوف أعرفه».

نشاهده، بينما ينهي اتصالًا على هاتفه المحمول، ويسير إلى صندوق البريد.

أسألها: «ألم تكتفي؟ لأنني لا أستطيع البقاء هنا مرة أخرى، دون أن أقفز من السيارة، وأركله».

تقول، وهي مستندة إلى مقعدها لتنظر أفضل: «غالبًا». لا أفهم لماذا تحاول أن تراه حتى، ولا أفهم كيف لا تريد أن تقفز من هذه السيارة لتخصيه، لأن هذه هي الرغبة الوحيدة التي لدي الآن.

بعد أن اختفى أبوها أخيرًا داخل البيت، أستدير وأنظر إليها.

ـ «الآن؟»

تومئ، وتقول: «نعم، نستطيع أن نغادر الآن».

أضع يدي على مفتاح المحرك، وأشغل السيارة، ثم أشاهدها في رعب، وهي تفتح الباب، وتسرع خارج السيارة.

تبًّا ماذا؟

أوقف السيارة، وأفتح بابي راكضًا خلفها. أطاردها طوال الطريق خلال الحديقة الأمامية إلى منتصف درجات الرواق. ألف ذراعي حولها وأرفعها، ثم أستدير عائدًا إلى السيارة. تحاول أن تصارعني وتركلني وأفعل كل ما في استطاعتي لأخرجها بعيدًا بقدر الإمكان من البيت، حتى لا يسمعها.

أقول من بين أسناني المطبقة: «تبًّا، ماذا تظنين أنكِ تفعلين؟».

ـ «دعني الآن يا هولدر، وإلا صرخت، أقسم أنني سأصرخ».

أتركها وأديرها لتواجهني، وأمسك كتفيها بإحكام، وأحاول أن أهز بعض الإحساس فيها.

ـ «لا تفعلي هذا سكاي. أنتِ لستِ بحاجة لمواجهته ثانية، ليس بعد ما فعله. أريدكِ أن تمنحي نفسكِ وقتًا أطول».

تنظر إليَّ وتبدأ في هز رأسها.

ـ «عليَّ أن أعرف إذا كان يفعل ذلك مع شخص آخر. أحتاج أن أعرف إذا كان لديه المزيد من الأبناء. لا أستطيع أن أتجاوز هذا، وأعرف أنه قادر على تكراره. يجب أن أراه. يجب أن أتحدث معه، وأحتاج أن أعرف أنه لم يعد هذا الرجل قبل أن أسمح لنفسي بالعودة إلى هذه السيارة والرحيل فقط».

آخذ وجهها في يدي، وأحاول التفكير معها.

ـ «لا تفعلي هذا، ليس الآن. يمكن أن نجري بعض المكالمات الهاتفية. سنجد ما تريدين معرفته عنه عبر الإنترنت. أرجوكِ سكاي.

ألفها تجاه السيارة وتتنهد، أخيرًا تلين وتبدأ في السير معي تجاه السيارة».

ـ «هل هناك مشكلة هنا؟»

يستدير كلانا على صوته. يقف أسفل درج الفناء، ينظر إليَّ بعناية. إذا لم يكن عليَّ أن أمنع سكاي جسديًّا من السقوط على الأرض الآن، كنت سأتعجله.

ـ «أيتها الشابة الصغيرة، هل يؤذيكِ هذا الرجل؟»

تضعف بين ذراعي في اللحظة التي يتحدث فيها إليها مباشرة. أشدها إلى صدري. أهمس: «دعينا نرحل». أديرها تجاه السيارة. أحتاج إلى أن أبعدها عنه، وأحتاج فقط أن أدخلها السيارة.

يصرخ: «لا تتحركا».

تتجمد سكاي من صوته، لكنني أستمر في المحاولة لحثها إلى السيارة.

ـ «استدر».

لا أستطيع أن أجبر سكاي على الاتجاه للأمام في هذه اللحظة، ولا توجد طريقة لأخرج من هذا الموقف. أبدأ في لفها معي، وأبقي ذراعي ملفوفًا حولها. تنظر إلى عيني، وهناك رعب فيهما أكثر مما تخيلت أن يشعر به شخص واحد.

أهمس في أذنها قائلًا: «حاولي التمثيل، قد لا يتعرف إليكِ».

تومئ وكلانا نواجه أباها الآن. لست مشغولًا بحقيقة أنه يمكن أن يتعرف إليَّ. منذ اليوم الذي ضاعت فيه هوب، لم يتحدث إليَّ أبدًا. آمل حقًّا ألا يتعرف إليها، لكنني أعرف أنه سيفعل. الوالد قد يتعرف على طفله رغم طول المدة.

يسير تجاهنا، وكلما اقترب، أرى في عينيه أنه يعرفها.

تبًّا.

يتوقف عندما يكون على بعد خطوات منا، ويحاول أن ينظر في عينيها، لكنها تضغط نفسها في جسدي، وتنظر إلى الأرض.

يقول: «الأميرة؟».

تبدأ في السقوط من ذراعي، وأنظر إليها. تعود عيناها إلى الخلف في رأسها، وهي تسقط، وأبقي قبضتي محكمةً عليها وأريحها على الأرض تمامًا، حتى أتمكن من الإمساك بها جيدًا. أحتاج أن أخرجها من هنا الآن.

أمرر يدي تحت ذراعيها لأشدها لفوق، ويقترب أبوها ويمسك يديها ليساعدني.

أصرخ: «لا تمسَّها». على الفور يرجع إلى الوراء، ناظرًا إليَّ في صدمة.

أعاود النظر إليها، وأمسك رأسها مُحاولًا أن أعيد إليها وعيها.

ـ «حبيبتي افتحي عينيكِ، أرجوكِ».

جفناها ينفتحان وتنظر إليَّ، وأقول لأطمئنها: «أنتِ بخير. لقد فقدتِ وعيكِ. أريدكِ أن تقفي، علينا أن نرحل».

أشد ساقها وأثبتها عليَّ، وأمنحها لحظة لتستعيد قوتها. أبوها فوقها تمامًا الآن.

يقول محدقًا بها، وعيناه مليئتان بالدموع: «إنه أنتِ.. هوب؟ هل تذكرينني؟».

أقول لها محاولًا أن أشدها معي: «دعينا نرحل». عليها أن تعرف كم أحاول أن أمتنع عن مهاجمته الآن. نحتاج إلى أن نرحل.

تقاوم جذبي لها، عندما يتقدم أبوها خطوة أخرى تجاهها، فأشدها خطوة أبعد منه.

يقول مرة أخرى: «هل أنتِ؟ هوب هل تتذكرينني؟».

جسدها كله يزداد توترًا.

ـ «كيف أنساك؟»

يستنشق نفسًا، ويقول: «إنه أنتِ»، وهو يحرك يده بعصبية أسفل جانبه.

ـ «أنتِ على قيد الحياة. أنتِ بخير».

يخرج جهاز اللاسلكي، لكنني أتقدم خطوة وأسقطه من يده قبل أن يستخدمه للإبلاغ.

أقول: «لو كنت مكانك ما جعلت أحدًا يعرف أنها هنا، أشك أنك تريد أن تصبح شخصًا منحرفا، على الصفحات الأولى من الأخبار».

الدماء تنفد من وجهه.

ـ «ماذا؟»

يعاود النظر إلى سكاي، ويهز رأسه.

ـ «هوب، أيًا كان من حدَّثك.. لقد كذبوا عليكِ. قالوا لكِ أشياء عني ليست حقيقية».

يقترب خطوة أخرى، وعليَّ أن أشدها للخلف مجددًا.

ـ «من خطفك هوب؟ مَن هو؟»

تبدأ في هز رأسها ذهابًا وجيئة. تقول، وهي تتقدم تجاهه بخطوة واثقة: «أتذكر كل شيء فعلته بي. ولو أنك منحتني ما أنا هنا من أجله، أقسم لك أنني سأبعد، وأنك لن تسمع عني مرة أخرى».

يهز رأسه، غير راغب في تصديق أنها تذكرت. يشاهدها لدقيقة، وأعلم أنه أُخِذ على حين غرة مثلنا.

يسألها: «ما الذي تريدينه؟».

تقول: «أريد كل شيء لديك ينتمي إلى أمي».

تمسك سكاي بيدي الملفوفة حول خصرها وتعتصرها. إنها مرعوبة.

يرمقني أبوها ثم يعود إلى سكاي. يقول بهدوء: «يمكننا أن نتحدث بالداخل». ينظر حول الجيران بقلق، ليتأكد أنه لا يوجد شهود. حقيقة أنه يبحث عن شهود تضيء علامة تحذير ضخمة. ليس هناك ما يشير إلى ما يقدر عليه هذا الرجل.

أطلب منه أن يترك مسدسه. يتوقف، ثم يخرج مسدسه من حافظة، يضعه برفق على درجات الرواق.

أقول: «كلاهما».

يصل إلى الباب، ثم يخرج مسدسًا آخر من ساقه ويتركه على الرواق تمامًا قبل أن يدخل البيت. ألف سكاي لتواجهني قبل أن ندخل من الباب.

ـ «سأبقى هنا والباب مفتوح. أنا لا أثق به. لا تذهبي أبعد من غرفة المعيشة».

تومئ وأقبِّلها بسرعة، ثم أراها، وهي تستدير، وتدخل إلى غرفة المعيشة. تسير إلى الأريكة وتجلس، وهي تنظر إليه بحذر طوال الوقت.

يرفع عينيه إليها، ويقول: «قبل أن تقولي أي شيء، يجب أن تعرفي أنني أحببتك، وندمت على ما فعلته كل ثانية في حياتي».

تقول: «أريد أن أعرف لماذا فعلت هذا؟».

يستند إلى الخلف في مقعده، ويفرك عينيه بيديه، ويقول: «لا أعرف، بعد أن ماتت أمكِ، بدأت في الشرب بكثرة ثانية. لم يكن الأمر كذلك إلا بعد عام، عندما كنتُ ثملًا للغاية في ليلة، ثم صحوتُ في النهار التالي، وعرفتُ أنني فعلت شيئًا بشعًا. تمنيتُ أن يكون فقط حلمًا فظيعا، لكن عندما ذهبت لأوقظكِ هذا النهار، كنتِ مختلفة. لم تكوني الفتاة الصغيرة السعيدة التي اعتادت أن تكون كذلك. في المساء، أصبحتِ بطريقة ما شخصًا مرعوبًا مني. كرهت نفسي. لم أكن حتى متأكدًا مما فعلت بكِ لأنني كنت ثملًا للغاية لأتذكر. لكنني عرفت أنه شيء مريع. وآسف جدًّا. لم يحدث هذا ثانية، وفعلت كل ما أستطيع فعله لأصالحكِ. اشتريت لكِ الهدايا طوال الوقت، وأعطيتكِ كل ما تريدينه. لم أريدكِ أن تتذكري هذه الليلة».

تمسك بركبتيها، وأستطيع أن أرى من الطريقة التي تصارع فيها من أجل أنها تفعل كل ما في استطاعتها لتبقى هادئة.

تقول: «كان يحدث ليلة... بعد ليلة». على الفور أسرع إلى الأريكة، وأنزل على ركبتي إلى جوارها. ألف ظهرها بذراعي حتى تستطيع الصمود.

ـ «لقد كنت خائفة من الذهاب إلى النوم وخائفة من الاستيقاظ، والاستحمام، والكلام معك. لم أكن فتاة صغيرة خائفة من الوحوش في خزانتها، أو تحت سريرها. كنت خائفة من الوحش الذي يفترض أن يحبني. كان يفترض أن تحميني من الناس أمثالك».

الألم في صوتها موجع للقلب، وأريدها أن تخرج من هنا، ولا أريدها أن تضطر لسماعه، وهو يتحدث.

تسأله: «هل لديك أي أولاد؟».

ينزل وجهه، ويضع كفه على جبينه، لكنه يفشل في أن يجيبها، وتصرخ: «هل لديك؟».

يهز رأسه، ويقول: «لا، لم أتزوج بعد أمكِ».

ـ «هل أنا الوحيدة التي فعلت بها هذا؟»

يبقي عينيه معلقتين بالأرض، متجنبًا أسئلتها.

تقول، وصوتها هادئ الآن: «أنت مدين لي بالحقيقة. هل فعلت هذا مع أحد آخر قبل أن تفعله معي؟».

هناك صمت طويل. هو يحدق في الأرض غير قادر على الاعتراف بالحقيقة. هي تحدق به منتظرة منه أن يمنحها ما أتت من أجله.

بعد صمت طويل تقف، وأمسك بذراعها، لكنها تنظر إلى عيني وتهز رأسها، وتقول: «أنا بخير». لا أريدها أن تذهب إليه، لكنني أريد أن أسمح لها بالتعامل مع هذا، بالطريقة التي تريدها.

تسير إليه، وتنزل على ركبتيها أمامه، وتقول: «كنت مريضة، وكنا ـ أنا وأمي ـ في السرير، وعدت أنت من العمل، بعد أن كانت ساهرة معي طوال الليل، وتشعر بالتعب، لذا طلبت منها أن تذهب لتستريح قليلًا».

ينظر إلى عينيها كأب نادم. لا أعرف كيف؟

ـ «حملتني في هذا اليوم كما يفترض بأب أن يحمل ابنته. وغنَّيت لي. أتذكر أنك كنت تغني لي أغنية عن شعاع الأمل. قبل أن تموت أمي... قبل أن تتعامل مع وجع القلب... لم تكن دائمًا تفعل هذه الأشياء بي. هل هذا صحيح؟»

يهز رأسه ويلمس وجهها. لدي رغبة بقطع يده، مثل رغباتي في قطع يد جرايسون. لا أريد هذه المرة أن أتوقف عند يده، وأريد أن أقطع رأسه وأخصيه و..

يقول لها: «لا، هوب.. أحببتكِ جدًّا، وما زلت، أحببتك أنتِ وأمكِ أكثر من الحياة نفسها، لكن عندما ماتت، ماتت الأشياء الجيدة معها».

تقول: «أنا آسفة أنك مررت بهذا، أعرف أنك أحببتها. أتذكر، لكن معرفة ذلك لا تجعل الأمر أسهل في أن أجد في قلبي قدرة على مسامحتك على ما فعلت. لا أعرف لماذا أيًّا كان ما بداخلك فهو مختلف عما داخل الآخرين... حتى تسمح لنفسك أن تفعل ما فعلت بي، لكن رغم الأشياء التي فعلتها بي، أعرف أنك تحبني. ومن الصعوبة عليَّ أن أعترف أنني كنت أحبك أيضًا. أحببت كل الأمور الجيدة فيك».

تقف وتتراجع خطوة إلى الوراء.

ـ «أعرف أنك لست سيئًا تمامًا، لكن إذا أحببتني كما تقول، وإذا أحببت أمي على الإطلاق... افعل ما تستطيع فعله لتجعلني أشفى. أنت مدين لي بهذا. كل ما أريده منك أن تكون صادقًا حتى أستطيع أن أغادر من هنا ببعض مظاهر السلام. هذا كل ما أنا هنا من أجله، أريد فقط سلامًا».

يبكي أبوها الآن، وتعود إليَّ وأستطيع أن أقول بصدق إنني مندهش منها الآن. مندهش من تصميمها وشجاعتها. أقرب يدي أسفل ذراعها، حتى أجد خنصرها وأمسك به. تلف خنصرها بإحكام حول خنصري في المقابل.

يتنهد أبوها بعمق، ثم ينظر إليها.

ـ «عندما بدأت أشرب... حدث هذا مرة. فعلتها مع أختي الصغيرة، لكنها كانت مرة واحدة. كان هذا قبل أن أقابل أمكِ بسنوات».

تزفر نفسًا.

ـ «ماذا حدث بعدي؟ هل فعلتها مع أحد آخر منذ أن خُطِفت؟»

من الواضح أنه فعل، بدليل الشعور بالذنب الذي اكتسى ملامحه. تسأله: «من؟ وكم؟».

يهز رأسه قليلًا.

ـ «كانت هناك واحدة أخرى. توقفت عن الشراب منذ سنوات عدة، ولم ألمس أحدًا منذ ذلك الحين. وكان هذا في أقصى أوقات إحباطي من الحياة. عندما أكون متزنًا، أستطيع التحكم في رغباتي، لذا لم أعد أشرب مرة أخرى».

تسأله سكاي: «مَن كانت هي؟».

يومئ برأسه إلى اليمين.

تجاه البيت المقابل الذي عشت فيه.

البيت الذي عشت فيه مع ليز.

لم أسمع أي كلمة بعد هذا.

الفصل الرابع والأربعون

يمكنني القول إن رؤية أختي ميتة هو أسوأ شيء حدث لي على الإطلاق. لم يكن كذلك. أسوأ شيء حدث لي أتى في هذه الليلة بعد ذلك، عندما كان عليَّ أن أخبر أمي أن ابنتها ماتت.

أتذكر عندما جذبت ليز إلى صدري، أفعل كل ما أستطيعه لأفهم ما يحدث. حاولت أن أفهم لماذا لا تستجيب. لماذا لا تتنفس أو تتحدث أو تضحك. لم يكن منطقيًّا أن يكون أحدهم هنا في دقيقة، ثم في الدقيقة التالية لا يصبح هنا.

لا أعرف كم حملتها. يمكن أن يكون لثوانٍ، ويمكن أن يكون لدقائق. تبًّا، كنت خارج نطاق الزمن ربما لساعات. أعرف أنني كنت ما زلت ممسكًا بها، عندما سمعت الباب الأمامي يغلق أسفل الدرج.

أتذكر ذعري، لعلمي بما سيحدث. كنت على وشك أن أنزل الدرج، وأنظر في عين أمي. كنت على وشك أن أخبرها أن ابنتها ميتة.

لا أعرف كيف فعلت ذلك، ولا أعرف كيف وجدت القوة لأقف. عندما وصلت إلى قمة الدرج، هي وبراين كانا ينزعانستراتهما. أخذ سترتها واستدار ليعلقها على رف المعاطف. رمقتني وابتسمت، ثم توقفت عن الابتسام.

بدأت أنزل الدرج متجهًا إليها. كان جسدي ضعيفًا للغاية، كنت أنزل ببطء، وأشاهدها طوال الوقت. لا أعرف إن كان لديها حدس الأمهات أم أنها استطاعت فقط أن تعرف ما حدث من النظرة على وجهي، لكنها بدأت تهز رأسها وتبتعد عني.

بدأت أبكي، وبدأ الذعر، واستمرت في الرجوع إلى الخلف بعيدًا عني، حتى أصبح ظهرها للباب الأمامي. كان براين ينقل بصره بيننا، غير مدرك تمامًا ما يحدث.

استدارت وأمسكت بإطار الباب ضاغطةً خدها إليه، بينما تغمض عينيها بشدة، كأنها تحاول أن تستبعدني، وإذا استبعدتني فلن تواجه الحقيقة.

جسدها منهك من الحزن، وكانت تبكي بشدة، دون أن يخرج حتى صوت من فمها. أتذكر أنني عندما وصلت إلى نهاية الدرج ورأيتها من مكان وقوفي، وهي تمنح كلمة مدمر معنى

جديدا تمامًا. لقد آمنت حقًّا في هذه اللحظة أن كلمة مدمر يجب أن تحجز للأمهات.

لم أعد أؤمن بهذا.

فكلمة مدمر يجب أن تحفظ للإخوة أيضًا.

***

أهمس وأنا أستدير بعيدًا عن سكاي وأبيها: «ليز. يا إلهي، لا». أضغط رأسي على إطار الباب وأمسك مؤخرة عنقي بكلتا يدي. أبدأ في البكاء بشدة حتى لا أتمكن من إصدار صوت. صدري يؤلمني وحلقي يؤلمني، أما قلبي فقد طُمِس تمامًا.

تأتي سكاي من خلفي، وتلف ذراعيها حولي، محاولةً أن تريحني بأي طريقة، لكنني لا أستطيع أن أشعر بها، ولا أشعر بالتدمير بعد الآن، لأن كل ما أشعر به هو القدر الهائل من الكراهية والغضب.

أحاول أن أمنع نفسي عن الاندفاع إليه، لكنني لا أظن أن لدي تحكمًا كافيًّا بالنفس. ألف ذراعي حول سكاي وأشدها عليَّ، آملًا في أن وجودها قد يساعدني لأهدأ، لكن هذا لا يحدث. الشيء الوحيد الذي قد يهدئني هو معرفة أن الرجل الذي خلفي لم يعد يتنفس.

هو السبب في أن ليز لم تعد هنا.

هو من كسر هوب. هو السبب أن تعرف أمي معنى التدمير. هذا النذل هو من سرق قوة أختي منها، وأريده ميتًا. لكنني أريد أن أكون من يفعلها.

أبعد ذراعي عن سكاي وأدفعها بعيدًا عني. أستدير لأواجه أباها، لكنها تقف بيننا تواجهني بعينين متوسلتين، تدفعني في صدري. تعرف ما أريد أن أفعله به، وتحاول أن تدفعني خارج الباب. أبعدها عن طريقي، لأنني لا أعرف ما أنا قادر عليه الآن، ولا أريدها أن تؤذى.

أتقدم تجاهه، لكنه يصل إلى خلف الأريكة، ثم بسرعة يستدير ممسكًا بمسدس، ولا أهتم بأنه يمسك مسدسًا، لكن غريزة الحماية تباغتني، عندما أفكر في سكاي، لذا أتوقف. ويشد جهاز الإرسال إلى فمه بيده الفارغة، مُبقيًا مسدسه مُصوبًا إليَّ طوال وقت تحدثه في الجهاز.

ـ ضابط في 3522 شارع أواك.

كلماته ترن في رأسي على الفور وأدرك ما هو على وشك فعله.

لا.

لا، لا، لا.

ليس أمام سكاي.

يلف المسدس تجاه نفسه، ثم ينظر إليها، ويهمس: «أنا آسف يا أميرة».

أغمض عيني، وأصل إليها في الثانية التي يطلق فيها النار على نفسه. أغطي عينيها، وتبدأ في الصراخ الهيستيري. تشد يدي من على عينيها، عندما يسقط على الأرض، ما يجعلها تصرخ بصوت أعلى.

أثبِّت يدي على فمها، وأشدها خارج الباب الأمامي. إنها هيستيرية جداً لأحملها الآن، لذا أسحبها خلفي.

الشيء الوحيد الذي يجري في رأسي في هذه اللحظة، هو كيف سنركب السيارة. علينا أن نهرب من هنا، قبل أن يجد أحدهم أننا كنا هنا، لأنه إذا وجد أحدهم أننا كنا هنا، لن يبقى عالم سكاي كما هو أبدًا.

عندما أصل إلى السيارة أبقي يدي مثبتة على فمها، وأجعل ظهرها لبابها، ناظرًا إليها في عينيها بقوة.

أقول لها: «توقفي. أحتاج أن تتوقفي عن الصراخ الآن».

تومئ بقوة، وبعينين متسعتين.

أقول محاولًا أن أجعلها تفهم تداعيات ما يمكن أن يحدث إذا لم نرحل الآن: «هل سمعت هذا؟ إنه صوت سيارة الشرطة يا سكاي. سيكونون هنا في أقل من دقيقة. سوف أسحب يدي، وأريدكِ أن تدخلي السيارة بهدوء قدر ما تستطيعين حتى نرحل من هنا».

تومئ ثانية، فأبعد يدي وأدفعها بسرعة داخل السيارة. أسرع إلى مقعد السائق وأركب، ثم أشغل السيارة وأقود بعيداً. تميل إلى الأمام في المقعد، وتسقط رأسها بين ركبتيها. تستمر في قول: «لا، لا، لا» من خلف أنفاسها، طوال الطريق إلى الفندق.

الفصل الخامس والأربعون

بمجرد أن نصبح داخل غرفتنا في الفندق، أذهب بها إلى السرير. إنها تمر بإحدى لحظاتها التي تشرد فيها تمامًا، وأنا لا أفعل شيئًا لأخرجها من هذا. على الأغلب من الأفضل أن تبقى هكذا لبرهة.

أنزع قميصي المغطى بالدماء الآن. أنزع جوربي وحذائي والجينز وألقي بها جميعًا جانبًا. أذهب إلى حيث لا تزال سكاي واقفة وأنزع سترتها. هناك دماء في كل مكان عليها، وأنا أحاول أن أسرع حتى أستطيع أن أدخلها إلى الحمام وأغسلها. تستدير أخيرًا لتواجهني بوجه خالٍ من التعبيرات. أضع سترتها على الكرسي الذي بجانبنا، ثم أنزع قميصها من رأسها.

أصل إلى ذر بنطال الجينز، وأفتحه، ثم أنزله. عندما أصل إلى قدميها تظل واقفة، أنظر إليها، وأقول: «أريدكِ أن تخرجي منه حبيبتي».

تنظر إليَّ وتضع يديها على كتفي، بينما أشد الجينز عنها، قدم في كل مرة. أشعر بها تمسك شعري وتمشطه بأصابعها. ألقي بالبنطال جانبًا، وأنظر إليها. إنها تهز رأسها وهي تنظر للأسفل إلى يديها، اللتين تتحركان الآن بعصبية على بطنها. إنها تلطخ بطنها كلها بدماء أبيها، في محاولة لأن تمسحها. إنها تلهث محاولة أن تصرخ، لكن لا شيء يصدر منها. أقف وعلى الفور ألتقطها وأسرع بها إلى الدش. أريد أن أمحو هذا، عنها قبل أن تفقد السيطرة تمامًا.

أجلسها أسفل الدش، وأجري الماء. بمجرد أن يكون دافئًا، أغلق ستائر الدش وأبعد معصميها عن بطنها. ألف ذراعيها حولي وأشدها إلى صدري، ثم أديرها، حيث تقف تحت الماء المتدفق. عندما تأتي المياه على وجهها تشهق، ويبدأ الوضوح في العودة إلى عينيها. ألتقط الصابون والمنشفة وأفركهما تحت الماء، ثم أستدير وأبدأ في مسح الدماء عن وجهها.

أهمس وأنا أحدق في عينيها، قائلًا: «أمسحه عنكِ».

تغمض عينيها، وبرفق أغسل كل بقعة دماء من على وجهها. عندما تصبح نظيفة أخيرًا، أصل خلفها لأنزع ربطة شعرها.

تفتح عينيها وأضع يدي مطمئنًا على كتفها: «انظري إليَّ سكاي».

ـ «سوف أنزع حمالة صدرك الآن. أريد أن أغسل شعركِ، ولا أريد أن ألطخها بشيء».

تتسع عيناها من كلماتي، وتسحب ذراعيها من أشرطة حمالة الصدر، ثم بسرعة تنزعها من رأسها.

تقول بسرعة مشيرة إلى الدماء التي في شعرها: «أزل كل شيء. انزعه عني».

أمسك رسغيها ثانية، وألف ذراعي حولها.

ـ «سوف أنزعه. تمسكي بي وحاولي أن تسترخي، وسوف أفعل».

أصب الصابون في يدي وأضعه على شعرها. أغسله مرات عدة قبل أن تجري المياه نظيفة أخيرا. عندما أنتهي من غسله، أبدأ في غسل شعري.

أغسل ما أستطيعه، لكن دون أن أتمكن من رؤية نفسي. لا أعرف إنْ كنت غسلت كل شيء. لا أريد أن أسألها أن تساعدني في فعل ذلك، لكن عليَّ أن أتأكد أن الدماء لم تعد موجودة.

ـ «سكاي أريدكِ أن تتأكدي أنني أزلته كله. أريدكِ أن تمسحي أي شيء نسيته».

تومئ، وتأخذ المنشفة من يدي، ثم تنظر إلى شعري وظهري وكتفي، وتفرك أذني بالمنشفة. تسحب المنشفة بعيدًا عني، وتنظر إليها، وهي تمررها تحت المياه المتدفقة.

تهمس: «لقد ذهب كله».

آخذ المنشفة، وألقيها على حافة الحوض.

لقد ذهب كله، أكرر في رأسي.

ألف ذراعي حولها وأغمض عيني، أستطيع أن أشعر بها تتعاظم، الأسئلة، والذكريات، وكل الأوقات التي ضممت فيها ليز ليلًا، وهي تبكي، وليست لدي فكرة ماذا فعل بها، ولا أعرف ما مرت به.

أكره أنه هرب بأفعاله لمدة طويلة للغاية، وهرب مما فعله لسكاي ولأخته ولليز. وأسوأ جزء أنه لم يعد حيًّا لأتمكن من قتله.

تنظر سكاي إليَّ، وعيناها مليئتان بالتعاطف. للحظة لم أفهم، ثم أدرك أنني أبكي، وأنها حزينة لأجلي مثل حزني لأجلها. يبدأ كتفاها في الارتجاف، تنهيدة تغادرها، وتصفع فمها بيدها، وتغمض عينيها بشدة.

أشدها إلى صدري، وأقبِّل جانب رأسها.

تبكي وتقول: «هولدر أنا آسفة للغاية».

أحكم قبضتي حولها وأضغط خدي إلى قمة رأسها. أغمض عيني وأبكي لأجلها ولأجل ليز ولأجل نفسي.

تلف ذراعيها حول كتفي ممسكةً بي بإحكام، ثم تضغط شفتيها إلى عنقي. تقول بهدوء: «أنا آسفة. لم يكن أبدًا ليلمسها إذا كنت..».

أمسك بذراعيها وأبعدها عني حتى أستطيع أن أنظر في عينيها. أمسك وجهها بكلتا يدي وأقول: «لا تقولي هذا.. لا أريدك أبدًا أن تعتذري على أي شيء فعله هذا الرجل. هل تسمعينني؟ إنه ليس خطأكِ سكاي. عديني أنكِ لن تدعي فكرة مثل هذه تتملككِ ثانية».

تومئ، وتقول: «أعدك».

أستمر في التواصل معها بعيني، محتاجًا أن أعرف أنها تخبرني الحقيقة. هذه الفتاة لم تفعل شيئا يستدعي الاعتذار، ولا أريدها أبدًا أن تفكر هكذا مرة أخرى.

تلقي بذراعيها حول عنقي، وكلانا يزرف الدموع الآن. نضم بعضنا بعضًا بإحكام. تقبِّل عنقي مرارًا، راغبةً في طمأنتي بالطريقة الوحيدة التي تعرفها.

أقرب شفتي من كتفها وأقبِّلها في المقابل. تضمني بقوة أكبر وأدعها. أدعها تضمني بما تستطيعه من قوة. أستمر في تقبيل عنقها وتستمر في تقبيل عنقي، كلانا يأخذ طريقه إلى فاه الآخر. قبل أن أصل إلى شفتيها، أتراجع وأنظر في عينيها. وتنظر في عيني ولمرة واحدة في حياتي، أستطيع أن أقول بصدق إنني وجدت الشخص الوحيد الآخر في هذا العالم الذي يستطيع أن يفهم ذنبي ويفهم ألمي، ويتقبل ما أنا عليه.

اعتدت أن أظن أن الجزء الأفضل مني مات مع ليز، لكن الجزء الأفضل مني يقف الآن أمامي.

في حركة سريعة، أباغت شفتيها بشفتي وأمسكها من شعرها. أدفعها إلى جدار الدش وأقبِّلها كثيرا، أعرف أنها قد لا تشك أبدًا ولو لثانية في كم أحبها. أنزل يدي إلى فخذيها وأرفعها حتى يلتف ساقاها حول خصري.

أضغط نفسي بها وأستمر في تقبيلها راغبًا في أن أشعر بها، بدلًا من الألم الذي يحاول أن يسيطر. لا أريد شيئًا إلا أن أكون جزءًا منها الآن، وأدع كل شيء آخر في حياتينا يتلاشى.

أقول بعد أن أبعد عنها وأتفرس في عينيها: «قولي لي إن هذا جيد، قولي لي أنه من الجيد أن أكون بداخلك الآن... لأن بعد كل ما مررنا به اليوم، أشعر أنه من الخطأ أن أريدك مثلما أريدك الآن».

تلقي ذراعيها حول عنقي وتمسك شعري، تشد فمي ليعود لفمها، تريني أنها تريد هذا بقدر ما أريده. أشهق وأشدها بعيدًا عن جدار الدش، ثم أذهب بها خارج الحمام إلى غرفة النوم. أسقطها في السرير ثم أمسك بسروالها وأشده تحت ساقيها. أتصادم مع فهما وأنزع سروالي، الذي أصبح غارقًا بالمياه. أبتعد عنها مدة تكفي لارتداء الواقي الطبي، ثم أمسك ردفيها وأجرها إلى طرف السرير. ألف ساقها إلى جانبي وذراعي الآخر تحت كتفها.

تنظر إليَّ، وأبقي عيني معلقتين بعينيها، ثم ألجها. في الثانية التي أصبح داخلها، لا يبدو هذا كافيًا. أضغط شفتي إلى شفتيها وأحاول أن أبحث عن الشيء المفقود في اللحظة. أتحرك داخلها وخارجها، محمومًا مع كل دفعة أكثر وأكثر، محاولًا بيأس أن أصل لشعور لا أعرف حتى أنه موجود. ترخي جسدها على جسدي وتتبع الحركات، سامحة لي بأن أتحكم.

لكنني لا أريد هذا الآن.

هذه هي مشكلتي.

عقلي منهك ومتعب للغاية، وقلبي يؤلمني جدًّا الآن. أنا فقط أحتاج إلى مساعدتها لأكتشف كيف يمكن أن أتوقف عن أصبح البطل لمرة واحدة.

أبتعد عنها وتنظر إلي، لا تتساءل لماذا تباطأت كثيرًا معها. هي فقط تضع يديها على وجهي وتمرر أصابعها برفق على عيني وشفتي وخدي. أدير فمي لبطن كفها وأقبِّله، ثم أسقط فوقها، متوقفا تمامًا. أبقي نظرتي معلقة بنظرتها وأشدها إلي، ثم أرفعها بينما أقف. ما زلت داخلها وهي ملتفة حولي، لذا أدير ظهري إلى السرير وأجلس على الأرض. أميل لأقبِّل شفتها السفلى برقة، ثم فهما كله.

أضع يدي على خدها والأخرى على ردفها. أبدأ في الحركة تحتها، ببطء أرشدها بيدي، راغبا في أن أجعلها تتحكم. أحتاج إلى رغبتها في أن تريحني بالطريقة التي أريد دائمًا أن

أريحها بها.

أهمس محدقًا في عينيها: «تعرفين كيف أشعر تجاهك. تعرفين كم أحبّك. تعرفين أنني قد أفعل كل ما أستطيعه لأنزع عنك ألمك، حسنًا؟».

تومئ دون أن تبعد نظرها عن نظري، حتى ولو لثانية.

ـ «أحتاج لهذا منك الآن بإلحاح يا سكاي. أحتاج أن أعرف أنكِ تحبينني لهذه الدرجة».

قسماتها تصبح ناعمة، وعيناها مليئتان بالعطف. تشبك يدينا معًا وتضعهما على قلبينا. تداعب بإبهامها يدي وترتفع قليلًا، ثم تنزلق ببطء عائدة لي ثانية.

الشعور الذي لا يصدق الذي اجتاح جسدي، جعل رأسي ينهار على الفراش الذي خلفي. أشهق غير قادر على إبقاء عيني مفتوحتين.

تهمس: «افتح عينيك». وهي ما زالت تتحرك علي.

ـ «أريدك أن تشاهدني».

أرفع رأسي وأشاهدها. إنه أسهل شيء طُلِب مني أن أفعله. لأنها تفعلها بطريقة جميلة الآن.

تقول: «لا تنظر بعيدًا ثانية». وهي ترفع نفسها. عندما تنزلق إلى حجري، بالكاد أستطيع أن أبقي رأسي في الأعلى، خاصة عندما يفلت من شفتيها هذا الأنين وتعتصر يدي بقوة أكبر.

تقول: «المرة الأولى التي قبّلتني بها واللحظة التي لمست فيها شفتاك شفتي، سرقت قطعة من قلبي في هذه الليلة».

سرقتِ قطعة من قلبي أيضًا.

ـ «المرة الأولى التي قلت لي فيها إنك تحيا بي لأنك لم تكن مستعدًا بعد لتقول إنك تحبني. هذه الكلمات سرقت جزءًا آخر من قلبي».

لكنني أحببتك، أحببتك جدًّا.

أفتح يدي وأضعها على قلبها: «الليلة التي عرفت فيها أنني هوب. أخبرتك أنني أريد أن أكون وحدي في غرفتي. عندما استيقظت ورأيتك في سريري أردت أن أبكي يا هولدر. أردت أن أبكي لأنني أردتك هناك معي بشدة. عرفت في هذه اللحظة أنني أحبُّك. وأحب الطريقة التي تحبني بها. عندما لففت ذراعك حولي وضممتني، عرفت أنه مهما حدث في حياتي، أنت بيتي. سرقت في هذه الليلة الجزء الأكبر من قلبي».

أنا لم أسرقه، أنتِ من منحتِني إياه.

تدنو من فمي بفمها وأرخي رأسي على الفراش وأدعها تقبِّلني.

تهمس، وهي تبتعد عن شفتي: «أبقيهما مفتوحتين». أفعل ما تقوله، وبطريقة ما أفتح عيني مجددا، وأنظر إليها مباشرة في عينيها.

ـ «أريدك أن تبقيهما مفتوحتين، لأنني أريدك أن تشاهدني وأنا أمنحك الجزء الأخير من قلبي».

هذه اللحظة الآن، غالبًا تستحق كل أوقية ألم كان عليَّ أن أتحملها.

أحكم قبضتي على يديها، وأميل عليها، لكنني لا أقبِّلها. نصبح قريبين بقدر المستطاع، ونبقي عيوننا مفتوحة حتى آخر لحظة. حتى تستهلكني تمامًا وأستهلكها، ولا أعرف أين يتوقف حبي، ويبدأ حبها.

بمجرد أن أبدأ في الارتجاف والأنين تحتها، يسقط رأسي على الفراش، وتسمح لي بأن أغمض عيني هذه المرة، وتستمر في الحركة فوقي حتى أتوقف تمامًا.

أمنح قلبي لحظة ليهدأ، ثم أرفع رأسي وأنظر إليها. أبعد يدي عن يديها وأمررهما على شعرها حتى نهاية رأسها. شفتاي تتواصلان مع شفتيها وأقبِّلها دافعًا إياها من فوق إلى الأرض تحتي. أضع يدي بيننا بكف مفتوح على بطنها، ثم أنزلها ببطء حتى أجد البقعة التي تجعل صوتها المفضل لدي يهرب من فمها. أشرب كل أنَّة ونفس يغادر شفتيها. وأدعها تبقي عينيها مغمضتين، لكنني أبقي عيني مفتوحتين، وأشاهدها تسرق آخر قطعة من قلبي.

الفصل السادس والأربعون

ليز،

ليس، لدي الكثير لأقوله، لكنني لا أعرف حتى كيف أبدأ. كل أمور سكاي أفضل. لقد عادت إلى البيت مع كارين الآن، إلى حيث تنتمي.

عرفت أن كارين لم تؤذِ سكاي. أستطيع أن أقول من الوقت القليل الذي قضيته معهما، إن كارين تحبها مثلما أحبها. اتضح أنني على حق. خطفت كارين سكاي من أبيها، لأن كارين عرفت ما كان يفعله بها. كانت كارين أخته، عمة سكاي. وقد مرت بكل شيء مرت به سكاي.

خطفتها لأنها لم تستطع أن تجلس فقط، وتسمح لما يحدث بأن يستمر. والآن بعد أن عرفت سكاي الحقيقة، قررت أن تبقى مع كارين. أنقذت كارين حياة هذه الفتاة كلها، وأنقذت مستقبلها كله، ولا شكر يمكن أن يكفيها.

قلت ذلك لسكاي وسأقوله لكِ، فالشيء الوحيد الذي تمنيت لو أن كارين فعلته بطريقة مختلفة، هو أن تخطفكِ أيضًا.

لم أعرف ليز، ولم تكن لدي فكرة عما كان يفعله معك، وأنا آسف للغاية.

سوف أخبركِ بالمزيد غدًا، لكن الليلة احتجت فقط أن أخبركِ بأنني أحبكِ.

هـ

الفصل السابع والأربعون

عيد هالوين سعيد. بالتأكيد آمل أن تقرري ارتداء شيء مثير، ولو لمرة.

أنقر ذر الإرسال وأضع الهاتف على منضدة السرير، ثم أخرج من السرير. لم أترك بيت سكاي إلا بعد الرابعة في هذا الصباح، ثم أتيت إلى البيت، وكتبت ملحوظة لليز، قبل أن أدخل إلى السرير. كانت أيامًا من النوم القليل والعواطف الجياشة.

أذهب إلى الخزانة، وألتقط تيشيرت، ثم أشده من رأسي. يصدر هاتفي صوتًا فأذهب إليه، وألتقطه لأقرأ رسالتها.

أهلًا هولدر، أنا كارين، ما زلت لم أعد هاتف سكاي إليها، لكنني سأنقل لها الرسالة، أو لا.

أضحك وأراسلها.

لول... آسف على هذا. لكن بما أنني أراسلك، كيف هي اليوم؟

أنتظر ردها الذي لا يتأخر.

إنها بخير. لقد مرت بالكثير، وأعرف أن هذا سيحتاج إلى وقت. لكنها أشجع فتاة أعرفها، لذا لدي إيمان تام بها.

أبتسم وأراسلها ثانية.

نعم. إنها نوعًا ما تذكرني بأمها.

ترسل لي قلبًا. أضع هاتفي على السرير وأجلس جواره. ألتقطه وأمرر شاشته حتى أجد رقم أبي.

أهلًا أبي، أفتقدك، وأفكر في أن أجلب صديقتي الحميمة إلى زيارة خلال إجازة عيد الشكر. أريدك أن تقابلها. أخبر باميلا أنني أعدها أن أبقى بعيدًا عن أريكتها.

أنقر ذر الإرسال لكنني أعرف أن هذه الرسالة لا تكفي، لذا أرسل له أخرى.

وأنا آسف حقًّا.

أضع الهاتف جانبًا وأنظر في الغرفة على الدفتر الذي ما زال يرقد على الأرض، حيث ألقيت به، الدفتر الذي يحتوي على أغلب ملاحظاتي إلى ليز.

ما زلت لا أريد أن أقرأه، لكنني أشعر أنني مدين لها به. أقف وأذهب إليه. أنثني وألتقطه في اللحظة التي أنزل بها على الأرض. أستدير إلى الجدار، وأرفع ركبتي، ثم أفتح الدفتر، وأقلِّب فيه حتى آخره.

الفصل السابع والأربعون ونصف

عزيزي هولدر،

إذا كنت تقرأ هذا، أنا آسفة جدًّا، لأنك إذا كنت تقرأ هذا، فأنا أعرف ما فعلته بك.

لكنني أتمنى ألا تجد هذه الرسالة أبدًا. أتمنى أيًّا كان من سيجد هذا الدفتر ألا يرى منه فائدة، ويتخلص منه، لأنني لا أريد أن أحطم قلبك. لكن لدي الكثير لأقوله لك، والذي لم أتمكن أبدًا من قوله لك وجهًا لوجه، لذا فسأفعل ذلك هنا بدلًا من ذلك. سوف أبدأ مما حدث عندما كنا صغارًا، مع هوب.

أعرف كم لمت نفسك منذ رحيلك عنها، لكنك تحتاج إلى أن تدرك أنك لم تكن الوحيد يا هولدر. رحلت أيضًا عنها، وأنت كنت تفعل ما يفعله أي طفل آخر في هذا الوضع. كنت تثق أن الكبار في حياتها يفعلون ما فيه صالحها. كيف يمكن أن تتوقع ما سيحدث عندما ذهبت إلى هذه السيارة؟ لا يمكنك، لذا فقط توقف عن التفكير في أنك من الممكن أن تفعل شيئًا مختلفًا. لم تكن لتفعل، ويجب ألا تفعل. ركوب هوب في هذه السيارة هو أفضل شيء حدث لها على الإطلاق.

بعد أسابيع عدة من خطفها، سألني أبوها إذا كان يمكن أن أساعده في عمل بعض الملصقات. بالطبع، أردت أن أساعده. كنت لأفعل أي شيء قد يساعد على عودة هوب لنا.

عندما دخلت إلى هذا البيت، شعرت أن هناك شيئًا خاطئًا. أدخلني إلى غرفة نومها، وأخبرني أن أدوات الملصقات في غرفة هوب، ثم أغلق الباب خلفنا، وحطم حياتي تمامًا.

استمر هذا لسنوات حتى وصلت إلى حدٍّ لم أعد قادرة على تحمِّل المزيد، وأخبرت أمي.

على الفور ذهبت إلى قسم الشرطة. في اليوم نفسه، قابلت معالجًا نفسيًّا، ووثَّق اعترافي. كنت فقط تسع أو عشر سنوات، لذا لا أتذكر الكثير عنه. أتذكر فقط الأسابيع التي مرت وأبي وأمي عليهما أن يذهبا إلى قسم الشرطة مرات عديدة. طوال هذا الوقت الذي يمر، لم يعد والد هوب أبدًا إلى البيت.

عرفت فيما بعد أنه قبض عليه، واكتمل التحقيق وصعد الأمر إلى المحكمة. أتذكر اليوم الذي أتت أمي إلى البيت وأخبرتني أننا سننتقل. لم يستطع أبي أن يترك عمله، ورفضت هي أن تبقينا في أوستن، لذا انتقلت بنا، ولا أعرف إن كان لديك علم بهذا، لكنهما حاولا إيجاد حل.

حاول أبي أن يجد عملًا يمكن أن يدعمنا في المدينة الجديدة، لكنه لم يجد، وأظن أنهما أدركا أن الأسهل أن ينفصلا، ربما لام كل منهما الآخر على ما حدث لي.

عندما أنظر إلى العلاج الذي عرضته أمي عليَّ، أشعر بالغضب لأنها لم تدرك أنها بحاجة إلى العلاج أيضًا. وأتساءل دائمًا إن كان زواجهما كان يمكن إنقاذه، إذا تحدثا مع أحد عن مشاعرهما.

ومع ذلك، بقيت تحت العلاج لسنوات، ومن الواضح أنه لم ينقذني، كنت أتمنى أن يكون العلاج قد نجح، أو ربما لو كنت أعرف كيفية تطبيقه تطبيقًا صحيحًا. على الرغم من أن العلاج ساعدني على مدى سنوات، لم ينجح في إنقاذي في كل مرة تُغلق فيها عيناي ليلًا. وبصرف النظر عن محاولات أمي لإنقاذي، لم تكن قادرة على ذلك. وربما لم أكن أتوقع الإنقاذ. أردت فقط أن أُترك.

عرفت بعد العديد من السنوات أن والد هوب لم يدفع أبدًا ثمن ما فعله بي وبهوب. كان متلاعبًا لأقصى حد، وجعل الأمر يبدو كأنني كنت ألومه على اختفاء هوب، وهذه كانت طريقتي في الانتقام منه. المجتمع كله احتشد خلفه. لم يستطيعوا تصديق أن أحدًا قد يتهم رجلًا بهذا الفعل الشنيع، بعد أن انتزعت منه ابنته.

لذا فقد هرب بفعلته، وأصبح حرًّا ليفعل ما يشاء، وشعرت كما لو أنني حبست في الجحيم إلى الأبد.

لم ترد أمي أن تجعلك تعرف ما حدث لي. كانت خائفة مما قد يفعل هذا بك. كلانا رأى كم لمت نفسك على ما حدث لهوب، ولم ترد أن تراك تتألم أكثر من ذلك. وأنا أيضًا لم أرد أن أرى ذلك.

الآن، يأتي الجزء الأصعب في الرسالة، وهو صعب عليَّ جدًّا لتوصيله، لأنني تحمَّلت الكثير من الشعور بالذنب بسببه. كل يوم رأيت الألم في عينيك، وكان يتعيَّن عليَّ أن أعترف لك بما أنا على وشك أن أقوله، لأنني كنت أعلم أن ذلك سيخفف من الألم الذي تعانيه.

لكنني لم أستطع أن أجد طريقة لأخبرك أن هوب حية. إنها بخير، ورأيناها أنا وأمي مرة، منذ ثلاث سنوات. كنت في الرابعة عشرة، وكنا نأكل في مطعم. كنت آخذ مشروبًا، عندما رأيتها تدخل من الباب. عدت إلى أمي، وأعرف أنني كنت باهتة مثل شبح، لأنها تخطت المائدة وأمسكت بيدي.

ـ ليزلي ماذا هناك يا حبيبتي؟

لم أستطع أن أتكلم، كل ما استطعت فعله هو التحديق في هوب، واستدارت أمي، وفي الثانية التي وقعت فيها عيناها عليها، عرفت أنها هي، وصمت كلانا من المفاجأة.

قادتهما النادلة إلى مائدة مجاورة لنا. كنا نجلس هناك، نحدق بها. نظرت هوب إليَّ عندما جلست، ثم نظرت بعيدًا كأنها لم تعرفني. حطم قلبي أنها لم تعرفني، وأظن أنني بكيت في هذه اللحظة. كنت فقط عاطفية للغاية، ولم أعرف ماذا أفعل. أشرت إلى السوار الذي في رسغي، وهمست باسمها، لأعرف إن كانت ستسمعني وتستدير مرة أخرى.

لم تسمعني، لكن المرأة التي معها سمعتني. اندفع رأسها تجاهنا بذعر مطلق في عينيها، أربكني هذا وأربك أمي.

نظرت المرأة إلى هوب. وقالت وهي تقف: «أظن أنني نسيت الفرن مشتعلًا، علينا أن نرحل».

بدت هوب مرتبكة، لكنها أيضًا وقفت، وسارت أمها بها تجاه مخرج المطعم، عندما وقفت أمي وأسرعت خلفهما، وفعلت ذلك أيضًا.

عندما أصبحنا جميعًا في الخارج، أسرعت المرأة بهوب إلى السيارة، ثم أغلقت الباب فورًا. سرنا خلفها، وبمجرد أن استدارت المرأة وواجهت أمي، امتلأت عيناها بالدموع.

توسلت المرأة قائلةً: «أرجوكِ». لم تقل أي شيء بعد ذلك. حدقت أمي بها لبرهة، دون أن تقول شيئًا في المقابل. ووقفت أنا فقط هناك، محاولةً أن أفهم ما يحدث.

سألت أمي أخيرًا: «لماذا أخذتها؟».

بدأت المرأة تبكي، واستمرت في هز رأسها، وقالت: «أرجوكِ، لا يمكن أن تعود إليه، أرجوكِ لا تفعلي ذلك بها، أرجوكِ».

أومأت أمي، وتقدمت خطوة، ووضعت يدها مطمئنة على كتف المرأة. قالت أمي: «لا تقلقي». ونظرت أمي إليَّ، والدموع تملأ عينيها، ثم نظرت إلى المرأة.

ــ «كنت سأفعل كل ما يتطلبه الأمر لأبقي ابنتي آمنة أيضًا».

نظرت المرأة إلى أمي في ارتباك. أعرف أنها لم تفهم بالضبط كم الأشياء التي تعرفها أمي، لكنها فهمت أمي بصدق. أمالت رأسها وزفرت، وقالت وهي تتراجع بعيدًا عنا: «شكرًا لكِ».

فتحت بابها وركبت سيارتها، ثم ذهبا بعيدًا. لم أعرف أين تعيش، ولم نعرف اسم المرأة، ولم نعرف أبدًا الاسم الذي أصبح لهوب الآن.

توقفت عن ارتداء السوار منذ هذا اليوم لأنني عرفت بقلبي أنه يجب ألا يجدها أحد، لكنني أردتك أن تعرف يا هولدر، أردتك فقط أن تعرف أنها حية، وأنها بخير، وأن رحيلك عنها في هذا اليوم كان أفضل شيء فعلته لها.

قضيت آخر ثماني سنوات أو ما شابه ذلك موجودة في هذا الكابوس الدائم، وأنا فقط متعبة. العلاج والأدوية ساعدا في تخدير الألم، لكن الخدر هو ما لم أرد أن أكابده يا هولدر. وهذا سبب أنني خططت لما أحتاج لأفعله، وهذا ما قادك لتقرأ هذه الرسالة.

أنا منهكة ومتعبة من عيش حياة لا أريد حقًّا أن أعيشها لأكثر من ذلك. أنا متعبة من التظاهر لأجلك بأنني سعيدة، لأنني لست سعيدة. كل مرة أبتسم فيها أشعر كأنني أكذب عليك، لكنني لا أعرف كيف أعيش بطريقة أخرى. وأعرف أنني عندما أنفذ هذا سوف أكسر قلبك. أعرف أن هذا سيدمر والديَّ، وأعرف أنك ستكرهني.

لكن معرفة كل هذا لن تجعلني أغيِّر رأيي. لقد فقدت القدرة على الاهتمام، لذا من الصعب التعاطف مع ما ستختبره بعد رحيلي. لا أتذكر ماذا كان يشبه أن تهتم بما يكفي بالحياة، وفكرة الموت تكاد تدمرني. لذا أحتاج إلى أن أخبرك بأنني آسفة، لكنني لا يسعني إلا أن أفعل ذلك. لقد خُذلت من هذه الحياة الكثير من المرات، لقد تعبت من فقدان الأمل، وأحبك أكثر مما تعرف.

ليز

ملحوظة: أتمنى ألا تسمح لنفسك بتصديق أنني مررت بهذا لأنك خذلتني بطريقة ما. كل تلك الليالي التي ضممتني فيها وسمحت لي فقط بالبكاء... ليست لديك فكرة كم مرة أنقذتني بالفعل.

الفصل الثامن والأربعون

أسقط الدفتر على الأرض.

وأبكي.

الفصل التاسع والأربعون

أذهب إلى مكتب أمي وهي تتحدث إلى الهاتف. تنظر إليَّ عندما أغلق الباب خلفي، وأسير إلى مكتبها وأشد السماعة من أذنها وأمسك بها.

أسألها: «كنتِ تعرفين ماذا فعل هذا النذل بليز؟». أمسح عيني بظهر كفي، بينما تقف وعيناها تمتلئان بالدموع.

ـ «هل عرفت ما فعله بهوب؟ وأن هوب حيَّة وبخير؟ عرفت كل شيء؟»

تهز أمي رأسها، والخوف يملأ عينيها. لا تستطيع تحديد إن كنت غاضبًا أم ضائعًا، أم أنني على وشك أن أنقلب.

تقول: «هولدر، لم نستطع أن نخبرك. أعرف ماذا سيحل بك، إذا علمت أن شيئًا مثل هذا حدث لأختك».

أنهار على الكرسي، غير قادر على الوقوف مرة أخرى. تسير حول المكتب وتنزل على ركبتيها أمامي.

ـ «أنا آسفة للغاية يا هولدر. أرجوك لا تكرهني».

إنها تبكي، ناظرةً إليَّ بندم كبير واعتذار. على الفور أجد القوة لأقف مجددًا، وأشدها معي، وأقول لها ملقيًا ذراعي حول عنقها: «يا إلهي، لا، أنا شاكر لكِ أمي للغاية لأنِك تعرفين. لقد ارتحت جدًّا عندما عرفت أنك كنتِ مع ليز في كل هذا. وهوب؟».

أبعدها عني، وأنظر في عينيها.

ـ «إنها سكاي يا أمي، وسكاي بخير وأنا أحبها. أحبها كثيرًا، ولم أعرف كيف أخبرك لأنني كنت خائفًا أن تتعرفي إليها».

تتسع عيناها وتتراجع عني، ساقطةً على كرسيها.

ـ «صديقتك الحميمة؟ صديقتك الحميمة هي هوب؟»

أومئ، لمعرفتي أنه لا شيء من هذا منطقي.

ـ «أتذكرين حين قابلت سكاي في المتجر من أشهر قليلة؟ تعرفت إليها. ظننت أنها هوب، لكن عدت لأظن أنها ليست هي، ثم وقعت في حبها بشدة يا أمي. لم أتخيل أن أخبرك بالهراء الذي مررنا به خلال هذا الأسبوع».

أتحدث بأسرع مما يمكنها من أن تفهم، وأجلس على الكرسي المقابل لها، وأشده ليصبح أقرب منها، ثم أميل للأمام وأمسك بيديها.

ـ «إنها بخير، أنا بخير، أنا أكثر من بخير. وأعرف أنكِ فعلتِ أفضل ما بوسعك لليز يا أمي. أتمنى أن تعرفي ذلك أيضًا. فعلتِ كل ما في استطاعتكِ، لكن أحيانًا حتى كل الحب في العالم من الأمهات والأخوات لا يكفي للمساعدة في انتشال أحد من كوابيسه. علينا فقط أن نتقبل أن الأشياء هي ما عليه، وكل الذنب والندم في العالم لا يمكنهما أن يغيرا ذلك».

تبدأ في البكاء، وألف ذراعي حولها وأضمها.

الفصل التاسع والأربعون ونصف

أخذنا أنا وسكاي اليومين الأخيرين من الأسبوع الدراسي إجازة، وتوصلنا إلى أننا أضعنا ثلاثة أيام، ماذا لو أضعنا يومين آخرين؟ بجانب أن كارين أرادت أن تبقي عينيها على سكاي طوال الأسبوع، وكانت مهتمة بتأثير كل شيء فيها.

وافقت على أن أمنح سكاي مساحة لأيام، لكن ما لم تدركه كارين، هو أن نافذة سكاي ما زالت بها حركة مرور عادية في منتصف الليل.

قضيت الأيام السابقة في مناقشات عميقة مع أمي. أرادت أن تعرف كل شيء عرفته عن ليز وهوب، وبالطبع أرادت أن تعرف ما حدث في عطلة نهاية الأسبوع الماضي بأوستن، ثم أرادت أن تعرف كل شيء عن علاقتي بسكاي، لذا أعطيتها تقريرًا محدثًا. ثم قالت إنها تريد أن تقابلها.

دخلت سكاي فقط من الباب الأمامي، وذراعا أمي حولها، وبدأت في البكاء فورًا على الأغلب، ما جعل سكاي تتألم قليلًا. الآن هما يقفان في البهو، وأمي لا تتركها تدخل.

أقول: «لا أريد أن أقاطع هذا الشعور بالعودة إلى الوطن، لكن إذا لم تدعيها تدخل يا أمي ربما تخيفينها».

تضحك أمي وتشهق، وهي تبتعد عن سكاي. وتقول مبتسمة لسكاي: «أنتِ جميلة جدًّا». تستدير إليَّ، وتقول: «إنها جميلة يا هولدر».

أهز كتفي، وأقول: «نعم، إنها جيدة».

تضحك سكاي وتلكمني في كتفي.

ـ «تذكر الإهانات غير مضحكة إلا في شكل رسائل».

أمسكها وأشدها إلي. وأهمس في أذنها: «أنتِ جميلة جدًّا يا سكاي. أنتِ رائعة».

تلف ذراعيها حولي في المقابل، وتقول: «أنت لست سيئًا للغاية».

تمسك أمي بيديها وتأخذها مني إلى غرفة المعيشة، ثم تبدأ في قصفها بالأسئلة. أمتن لهذا رغم ذلك، لأنها لم تسألها أسئلة عن وضعها أو ماضيها، سألتها فقط أسئلة طبيعية عن ماذا

تريد أن تتخصص عندما تدخل الجامعة وأي جامعة تخطط أن تذهب إليها.

أتركهما في غرفة المعيشة ليستكملا حديثهما. تحدثنا عن تنظيف غرفة ليز، والآن وهوب هنا، أظن أنني حقًّا أستطيع فعل هذا. أعود إلى غرفة المعيشة وأعطي صندوقًا لكل منهما. أقول مشيرًا إلى الدرج: «تعاليا. لدينا غرفة لننظفها».

نقضي بقية الظهيرة ننظف غرفة ليز، ونضع صورها وكل الأغراض التي عنت لها شيئًا في صندوق، ثم نضع كل ثيابها في صناديق لنتبرع بهم لمكان خيري. آخذ كلا الدفترين، وألفهما بالجينز الذي كان ملقى على الأرض لأكثر من عام وأضعه في صندوق أحتفظ به.

بعد أن انتهت الغرفة، تنزل أمي وسكاي أسفل الدرج. أكوم الصناديق في المدخل، ثم أستدير لأغلق الباب، وقبل أن أغلقه تمامًا، أنظر إلى سريرها، لا أراها تموت، أراها تبتسم.

الفصل التاسع والأربعون وثلاثة أرباع

أقول لسكاي بينما ندخل من الباب الأمامي: «ظننت أنها قالت إنها لن تذهب في عطلة نهاية الأسبوع».

ـ «توسلت إليها أن تذهب. لقد التصقت بي مثل الصمغ لأيام الآن، وأخبرتها أنها إذا لم تذهب، وتقيم هذا الشيء بالسوق المتجول، سوف أهرب».

نتخذ طريقنا إلى غرفة نوم سكاي، وأغلق الباب خلفنا.

ـ «إذًا، هذا يعني أنني يمكن أن أجعلك تحملين الليلة؟»

تستدير وتواجهني، ثم تهز كتفيها. «أظن أننا يمكن أن نتدرب»، تقول مبتسمة.

ونفعل. نتدرب على الأقل ثلاث مرات مختلفة قبل منتصف الليل.

***

نستلقي في سريرها، متشابكين معًا تحت غطائها. تمسك بيدينا المشبكتين بيننا، وتحدق بهما. تقول برفق: «أنا أتذكر، كما تعرف».

أميل رأسي حتى يقابل رأسها على الوسادة.

ـ «ماذا تذكرتِ؟»

تبعد أصابعها، ثم تلف خنصرها حول خنصري.

ـ «أتذكر أول مرة تمسك بيدي هكذا. وأتذكر كل ما قلته لي في هذه الليلة».

أغمض عيني، وأستنشق نفسًا عميقًا.

ـ «ليس بعد أن أحضرتني كارين إلى هنا بكثير، طلبت مني أن أنسى اسمي القديم، وكل الأشياء السيئة المرتبطة به. ففكرت بك... وأخبرتها أنني أريد أن يكون اسمي سكاي».

تنهض على مرفقيها وتنظر إليَّ.

ـ «كنت دائمًا هنا. حتى وأنا لا أستطيع التذكر... كنت دائمًا هنا».

أدس شعرها خلف أذنها وأقبّلها، ثم أتراجع، وأقول: «أحبكِ جدًّا يا سكاي».

ـ «أحبك أيضًا يا هولدر».

أسحب ذراعي من تحتها، وألفها لتبقى على ظهرها، ناظرًا إليها.

ـ «هل تصنعين لي معروفًا؟»

تومئ.

ثم أقول: «من الآن فصاعدًا، أريدكِ أن تناديني دين».

الفصل الأخير

ليز، لقد مر وقت. تعثرت بهذه الرسائل اليوم بعد أن احتجت إلى الصناديق لأحزمها من أجل الجامعة. تعثرت أيضًا بالجينز الذي بقي في أرضية غرفة نومكِ لأكثر من عام، وألقيت به في السلة الكبيرة من أجلكِ، على الرحب والسعة.

حسنًا، أنا سأذهب إلى الجامعة. ظريف جدًّا، أليس كذلك؟ لا يزال أمامي شهر قبل أن أرحل، لكن سكاي رحلت إلى هناك بالفعل منذ شهرين. حصلت على كل اعتماداتها من تعليم المنزل، لذا في التخرج من المدرسة الثانوية مباشرة رحلت لتبدأ قبلي، إنها منافسة جدًّا.

لكنني لست قلقًا، لأنني أخطط لأفاجئها بمجرد أن أصل إلى هناك. لدي هذه الخطة الشريرة كلها بالتفصيل. في كل مرة أمسك بها تذاكر أو تحل واجبها، سوف أهمس لها فقط بشيء مثير أو أستعرض أمامها غمازاتي، ثم ستضطرب تمامًا، وتنحرف وستتخلف عن واجباتها، وترسب في فصولها، وسأحصل على درجتي أولًا والفوز سيكون لي!

أو سأدعها تفوز، ونوعًا ما، أحب أن أدعها تفوز في بعض المرات. أفتقدها بجنون، لكننا سنصبح في المدينة نفسها مرة ثانية بعد أقل من شهر. مدينة بلا آباء، مدينة بلا حظر تجول.

وإذا كان عليَّ أن أفعل أي شيء إزاء هذا، فسوف تحصل على خزانة مليئة بلا شيء إلا الفساتين. بالنظر إلى هذا، أعتقد أن كلينا، ربما سينتهي بالسقوط. حدث الكثير منذ آخر مرة كتبتُ لكِ، لكن أيضًا لا شيء حدث. مقارنةً بالشهور الأولى التي تبعت عودتي من العيش مع أمي في أوستن.

بمجرد أن عرفت سكاي الحقيقة، تساهلت كارين في قيود التكنولوجيا، وأحضرت لها هاتفًا من نوع «آيفون» في عيد ميلادها الحقيقي، ولديها حاسوب الآن، لذا اعتدنا أن نرى بعضنا كل ليلة من خلال تطبيق سكايب (تطبيق اتصالات متخصص في توفير المكالمات المرئية، والمكالمات الصوتية بين الحواسيب). أحب سكايب كثيرًا بالمناسبة.

والداي جيدان، فأبي لم يخمن الأمر تخمينًا صحيحًا، عندما قابل سكاي، وهذا ما لم أعتقد حقًّا أن يحدث. لم يمضِ أبدًا العديد من الوقت حولها، عندما كنا صغارًا، لأنه كان يعمل كثيرًا. إنه يحبها، رغم ذلك. وأمي لا تكتفي منها. وهذا ـ نوعًا ما ـ يستوقفني، كم أصبحتا قريبتين، لكنه أيضًا جيد لأمي. أظن أن وجود سكاي كجزء من العائلة الآن، ساعدها لتخفف من بعض الحزن الذي ما زالت تشعر به من موتكِ.

ونعم، ما زلنا نشعر به. جميع من أحبوكِ ما زالوا يشعرون بهذا. وبينما أنا لم أعد أستحضر موتكِ بعد ذلك، ما زلت أفتقدكِ بشدة، خاصة عندما يحدث شيء أعرف أنكِ ستفكرين كم هو مضحك.

أشعر بالحزن عندما أدرك أنني الوحيد الذي يضحك، وأنني أفتقد ضحكتكِ. يمكنني الاستمرار في سرد الأشياء التي أفتقدها فيكِ حتى أشعر بالأسف على نفسي مجددًا، لكنني تعلمت خلال العام الماضي ما يعني حقًّا أن تتمكن من افتقاد شخص ما. أن تفتقد شخصًا ما، يدل على أنك كنت محظوظًا، لأنك كان لديك هذا الشخص في بداية حياتك، وأن سبعة عشر عامًا لا يبدو وقتًا كافيًا لقضائه معكِ خلال دورة حياتي، لذلك أشعر بالامتنان لكوني أكثر الإخوة حظًّا في العالم.

سوف أذهب لأعيش حياتي الآن يا ليز. حياة أستطيع فعلًا أن أتطلع فيها إلى الأمام، وظننت أنني لن أتمكن من قول هذا أبدًا. ظننت أنني سأكون دائمًا ميؤوسًا منه، لكنني أجد الأمل كل يوم. وأحيانًا أجده في المساء أيضًا... عبر سكايب.

هـ

شكر

أولًا وقبل كل شيء، شكر كبير إلى جريفين بيتيرسون بتشريف غلاف «فقدان الأمل». طيبتك وتواضعك محل تقدير كبير مني، ومثله تمامًا من القراء.

أود مرة أخرى أن أشكر كل المدونين للدعم غير المحدود. دونكم، لم تكن هذه الكتب لتبقى محتملة.

في أثناء عملية كتابة روايتي «ميؤوس منه»، و«فقدان الأمل». لم أتوقع نهائيًّا الدعم وردود الأفعال التي وصلتني من القراء. الكثير منكم شاركوني قصصهم، استغرقتم الوقت لتجعلوني أعرف كم ساعدتكم هذه الكتب في مقاومة صراعاتكم و«فصول الاستراحة». من أجل ذلك، أشكر كل شخص منكم تواصل معي؛ لهذا السبب أستمر في الكتابة، لأنكم مستمرون في دعمي.